أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2018/02/04 الموافق لـ18 جمادى الأولى 1439
السنة 40 العدد 10890
Sunday 04/02/2018
40th Year, Issue 10890

العرب
alarab.co.uk

موسى مصطفى موسى
كومبارس سياسي بالمعنى المباشر للكلمة
»ص8

اليسار التونسي فاقد لزعيم يلم شتاته
»ص4

مفاجأة مهرجان روتردام السينمائي
إسرائيلية وفلسطيني وحب حرام
»ص15

بروباغندات متضاربة تغطي على خسائر الحرب في عفرين

● الأتراك يتهمون الخصوم بإيواء داعش والأكراد يركزون على جرائم «الحر» وجيش أردوغان

❑ **أنقرة** – لا أحد يمكن أن يعرف الخسائر الحقيقية في صفوف الجيش التركي أو المقاتلين الأكراد في مواجهات عفرين بسبب سيطرة البروباغندا والبروباغندا المضادة، حيث يعمد كل طرف إلى تضخيم أخطاء خصمه، والدعاية لنجاحاته العسكرية والأخلاقية في المعركة.

ويحفل الإعلام الموالي لأنقرة في كل يوم بتقارير عن تمكن القوات التركية من تحييد المقاتلين الأكراد مع تقليل ضحايا الجيش التركي وحلفائه من مقاتلي الجيش السوري الحر الذي يتحرك تحت أوامر وتوجيهات القيادة العسكرية التركية.

وزج الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بالعشرات من الأشخاص في السجن لمعارضتهم الهجوم على عفرين وبينهم إعلاميون وأطباء ونشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي.

وفي ظل محدودية تأثير الادعاءات التركية التي تصنف المقاتلين الأكراد كإرهابيين، عمل الإعلام الحربي التركي على اختلاق قصص عن احتضان هؤلاء المقاتلين للمئات من مسلحي داعش في محاولة لكسب الرأي العام التركي والغربي الذي مازال غير مصدق لمبررات أنقرة في اجتياح شمال سوريا.

وكشف القيادي في الجيش السوري الحر، جميل كرمو، أن التنظيمات الكردية جندت في صفوفها عناصر من تنظيم "داعش" داخل سوريا.

وفي مقابلة مع وكالة الأناضول التركية، قال كرمو إن "ب ي د/بي كا كا" أرسل المئات من هؤلاء إلى مدينة عفرين (شمالي سوريا) لقتال الجيش التركي و"السوري الحر"، مقابل وعود –خاصة للأجانب منهم– بإزالة أسمائهم من قوائم الإرهاب في بلدانهم.

وأشار إلى أن مسلحي تنظيم داعش الذين تم تجنيدهم "هم عناصر محليون وأجانب على حد سواء".

وأوضح أن "المحليين يتم إطلاق سراحهم من السجون مقابل قتالهم في صفوف التنظيم، أما الأجانب فيُعطون وعودا بإزالة أسمائهم من قوائم الإرهاب في بلدانهم، عبر تسجيلهم كمقاتلين ضمن صفوفهم".

ويقول رامي عبدالرحمن مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان إن الأتراك والأكراد يخوضون حربا إعلامية شرسة بالفعل وبسبب ذلك تُروج الكثير من المغالطات حول ما يدور في عفرين.

وأبرز مثال على ذلك كما يقول عبدالرحمن لدوتشيفيله هو عدد القتلى من الجانبين، كاشفا عن أن "الأتراك ينشرون أعدادا غير حقيقية لعدد القتلى في صفوف الوحدات الكردية وكذلك يفعل الأكراد أيضا إذ ينشرون أرقاما لا علاقة لها بالواقع كما ينشرون أيضا معلومات زائفة حول الدمار الذي ألحقوه بمعدات العدو وحجم المناطق التي خسروا سيطرتهم عليها".

واتهمت قناة الأناضول التنظيمات الكردية بأنها نشرت صورا من وقائع وتواريخ مختلفة والإيهام بأنها حدثت في منطقة عفرين السورية خلال عملية "غصن الزيتون" التي ينفذها الجيش التركي.

وذكرت الوكالة التركية بأنه في 27 يناير الماضي، استخدم أنصار التنظيمات الكردية صورة طفلة تبكي على لافتة بعنوان "أوقفوا الهجمات التركية على عفرين"، خلال مسيرة نظموها في مدينة كولونيا الألمانية.

وأضافت أنه تبيّن أن الصورة تعود إلى طفلة غزاوية، وسبق أن استخدمت في خبر بتاريخ 7 أغسطس 2014، لكن أنصار التنظيم نسبوها لغصن الزيتون، زاعمين أنها في عفرين. كما استخدموا وسم "أوقفوا الإبادة في عفرين" مرفقا بصورة طفل يبكي، ونشروها في مواقع التواصل الاجتماعي، واتضح أنّ الصور التقطت في محافظة حلب السورية، وانتشرت في أحد مواقع الإنترنت بتاريخ 5 مايو 2016.

وبالمقابل، حرص الأكراد على التسويق لنماذج مشرفة لمقاتلين أكراد، وخاصة لمقاتلات على الجبهة.

ونقلت مواقع مختلفة خبر مقاتلة في صفوف وحدات حماية المرأة الكردية وقد فجرت نفسها أمام دبابة تركية جنوب غربي منطقة عفرين السورية، مما أدى إلى تدمير الدبابة ومقتل من فيها.

ويقول خبراء في الصورة إن الأكراد يعلمون أن موضوع المرأة مهم في الغرب وإنهم يريدون إعطاء صورة إيجابية عنهم كجهة مقاتلة تعلي من شأن النساء، وتساوي بينهن وبين الرجال في مختلف المجالات بما في ذلك على الجبهات.

الصورة تبدد دعاية أردوغان

ويضيف هؤلاء أن الأكراد راكموا تجارب كثيرة في الإعلاء من شأن السياسية والمقاتلة الكردية ما أكسبهم تعاطفا غربيا واسعا كشفت عنه مواقف جهات رسمية وفعاليات شعبية.

بالمقابل، قدمت الدعاية الكردية المضادة بذكاء الخصم في صورة من يعادي المرأة ويستهين بقيمتها الإنسانية من خلال الفيديو واسع الرواج لمقاتلة كردية قتلها عناصر من الجيش الحر المدعوم تركيا وتم التمثيل بجثّتها وتمزيق جسدها وسحلها في الشارع.

ويقول مقاتلون أكراد إن زميلتهم رفضت الاستسلام وفجرت نفسها بقنابل كانت بحوزتها، مفضلة الموت على الوقوع في الأسر.

ونشرت صفحات كردية أن "بارين كوباني" سارت على خطى "أفيستا"، وهي مقاتلة كردية فجرت نفسها قبل أيام خلال معارك عفرين.

عباس يتراجع عن التصعيد ضد إسرائيل

❑ **رام الله** – قالت مصادر فلسطينية مطلعة إن الرئيس محمود عباس تراجع عن خيار التصعيد ضد إسرائيل، ودفع باتجاه أن تؤجل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير موقفها من قرار المجلس المركزي تعليق الاعتراف بإسرائيل إلى حين مراجعة موقفها من قضية القدس.

وأكدت المصادر أن رفض اللجنة التنفيذية للمنظمة تعليق الاعتراف بإسرائيل كان متوقعا باعتبار أن هذه اللجنة يرأسها عباس، وهو لا يقدر على اتخاذ هذه الخطوة، وأن تصريحاته الأخيرة كانت مجرد بالون اختبار لموقف الإدارة الأميركية.

وقال أيمن الرقب القيادي بتيار فتح الإصلاحي لـ"العرب"، "كنّا على اتصال دائم مع أعضاء داخل اللجنة التنفيذية طوال أمس لحثهم على التصديق على توصيات المجلس المركزي للمنظمة كنوع من الضغط على إسرائيل، لكن عباس هو من قاد أعضاء اللجنة بالأغلبية إلى تأجيل القرار بالرغم من معارضة أعضاء الجبهة الشعبية وحدوث خلافات قوية أثناء الاجتماع".

وأوضح الرقب أن توصيات المجلس المركزي لمنظمة التحرير غير إلزامية للجنة التنفيذية ويكون التصويت عليها بالأغلبية الحاضرة وليس بإجماع كل الأعضاء.

وغاب عن اجتماع اللجنة الكثير من أعضائها لإدراكهم مسبقا أن القرار سوف يتجه ناحية تأجيل تعليق مسألة الاعتراف بإسرائيل من خلال ضغوط مورست عليهم.

وأكد الرقب أن رئيس السلطة الفلسطينية يدرك أنه لو اتخذ قرارا ضد إسرائيل فإن ذلك قد يعرضه للإقامة الجبرية في رام الله، وأنه ضغط لعدم تنفيذ توصيات المجلس المركزي حتى يلقي بالكرة في ملعب اجتماع القمة العربية في السعودية نهاية مارس المقبل.

ومنتصف يناير الماضي، عقد المجلس المركزي (أعلى سلطة تشريعية بالمنظمة) اجتماعا لبحث الرد على قرار واشنطن اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل.

وقرر المجلس "إحالة موضوع تعليق الاعتراف بإسرائيل لمنظمة التحرير الفلسطينية".

وكان عباس أجرى خلال الفترة الأخيرة جولة خارجية لبحث سبل تأمين رعاية دولية لعملية السلام، تكون الولايات المتحدة جزءا منها، ولا تكون هي الراعي الوحيد لها.

وتأزمت العلاقات بين رام الله وواشنطن عقب إعلان الرئيس الأميركي دونالد ترامب، في 6 ديسمبر الماضي، قراره البدء بنقل سفارة بلاده من تل أبيب إلى القدس المحتلة.

مواقف المتشددين توسع الهوة بين الألمان والإسلام

● فهم الإسلام يشهد ردة فعل عنيفة رغم برامج الحوار ● ميركل تدعم تعديل قانون يشدد العقوبات ضد خطاب الكراهية

❑ **هامبورغ** – صار من الصعب على المسلمين من دعاة الحوار مع الآخر أن يجدوا من يقتنع بالاستماع لهم في ضوء الصورة التي رسمها المتشددون عن الإسلام في ألمانيا التي تعتبر من أكثر الدول تسامحا مع أنشطة المسلمين. ووسعت تلك الصورة الهوة بشكل كبير بين الطرفين.

وأعلنت كاتايون أميربور، أول أستاذة للعلوم الإسلامية منذ 2011 في جامعة هامبورغ شمال ألمانيا، السبت أن برامج التنوير والحوار مع الإسلام لم تسهم بصورة فعلية في تغيير أنماط الفكر السائدة عنه في ألمانيا بصورة كافية، وأن هناك ردة فعل عنيفة تجاهه في الأوساط الثقافية.

وتنتقل البروفيسورة أميربور في الأول من أبريل المقبل للعمل في جامعة كولونيا غرب البلاد بعد أن كانت تعمل أستاذة للعلوم الإسلامية بجامعة هامبورغ.

وتعتبر أميربور المتزوجة من الناشر والكاتب الألماني المسلم نافيد كيرماني إحدى أهم الشخصيات الفكرية الإسلامية المثقفة في ألمانيا.

ووصفت أميربور النقاشات العلنية عن الإسلام داخل ألمانيا بأنها في وضع حرج. وأضافت أستاذة العلوم الإسلامية قائلة "الأمر يزداد سوءا، ويزداد عدوانية ورغبة في الجدل السفسطائي".

وقالت إنه كان يمكن أن ننتظر تحسن الحال بعد وضع برامج كثيرة عن الحوار والتنوير، "إلا أن الواقع يشير إلى وجود ردة فعل عنيفة يمكن إدراكها تجاه الإسلام".

وعزا متابعون للشأن الإسلامي في ألمانيا ظهور ردات الفعل العنيفة في ألمانيا تجاه المسلمين إلى العمليات الإرهابية التي نفذتها ذئاب منفردة سواء على الأراضي الألمانية أو خارجا، وهو ما جعل المواطن الألماني ينظر بريبة إلى المسلمين وإلى الإسلام ذاته الذي يزعم المتطرفون أنهم يتمسكون بتعاليمه.

ويعتقد المتابعون أن المسلمين يحتاجون إلى تحرك أكثر قوة من جانبهم لعزل المتشددين والمساعدة في مكافحة أفكارهم التي تهدد باستقطاب أبناء الجالية، فضلا عن توسيع دائرة العداء لها.

ولا يخفي هؤلاء قلقهم من أن السلطات الألمانية تكتفي حاليا بمراقبة أنشطة العائدين من سوريا والعراق كمتشددين مفترضين ما قد يصرف الأنظار عن حقيقة أكبر، وهي أن الاستقطاب الأكثر خطورة تتولاه مجموعات موجودة بألمانيا منذ عقود والسلطات تسكت عن أنشطتها مثل جماعة الإخوان المسلمين، أو الأئمة المرتبطين بتركيا.

وتقوم هذه الشبكات بعمليات استقطاب واسعة للشباب، ونجحت عمليا في بناء مجتمعات صغيرة منعزلة داخل المجتمع الغربي، وتحصل على تمويل كبير يتم ضخه دون رقابة.

وزادت أنشطة المتشددين الإسلاميين من الضغوط المسلطة على المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل التي جددت السبت استعدادها للنظر في تعديل قانون جديد يهدف إلى القضاء على خطاب الكراهية على مواقع التواصل الاجتماعي بعد أن لاقى انتقادات واسعة النطاق.

ويستهدف هذا القانون الحد من العداء تجاه المهاجرين القادمين من سوريا والعراق وأفغانستان الذين صاروا مثار شكوك مستمرة بسبب أنشطة المتشددين الإسلاميين.

وبموجب القانون الذي بدأ سريانه في الأول من يناير يمكن فرض غرامة تصل إلى 50 مليون يورو (60.1 مليون دولار) على المواقع التي لا تزيل خطاب الكراهية على الفور مما يثير المخاوف من أن تحجب تويتر وفيسبوك وغيرهما من مواقع التواصل الاجتماعي محتويات أكثر من المطلوب.

وقالت ميركل في بث مصور أسبوعي عبر الإنترنت "بالطبع ندرس الآن تبعات هذا القانون وما يحدث وقطعا سنقيمه أيضا".

وأضافت من دون الخوض في التفاصيل "قد نحتاج إلى إدخال تعديلات عليه لكن النهج الأساسي، المتعلق بحاجتنا لوضع قواعد، صحيح تماما وضروري".

وتطبق ألمانيا قوانين صارمة في ما يتعلق بالتشهير والتحريض على ارتكاب جرائم والتهديد بالعنف وتصدر أحكاما بالسجن على من ينكرون المحرقة النازية أو يحرضون على الكراهية ضد الأقليات. لكن لم تصدر أحكام قضائية إلا في عدد قليل من القضايا المتصلة بالإنترنت.

وقالت ميركل إنه لا يوجد فراغ قانوني على الإنترنت وإن القانون الجديد يضمن أن تكون الشركات المشغلة للمواقع مسؤولة عن المحتوى الذي تنشره.

نسيب لحود... الغياب والحضور
خيرالله خيرالله
»ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

المعارضة المصرية تقفز على الأهداف المرحلية

الحركة المدنية تفتقر لآليات تعيد إنتاج تجارب سياسية ناجحة

رد تحالف الحركة المدنية الديمقراطية، في بيان السبت، على تصريحات سابقة للرئيس المصري عبدالفتاح السيسي بشأن طلب تفويض من الشعب عند وجود خطر يهدد البلد. ويأتي الرد كخطوة من الحركة للقول إنها ليست معارضة كرتونية أو مجرد ديكور بل تلعب دورا في المشهد السياسي يتواصل حتى بعد انتهاء الانتخابات.

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – يسعى تحالف الحركة المدنية الديمقراطية، المكون من ثمانية أحزاب و150 شخصية عامة، إلى القفز على معارضة الحكومة المصرية للعملية الانتخابية، أملا في إيجاد نقاط سياسية تسمح له بالاستمرار عقب انتهاء الاستحقاق الرئاسي المقرر في شهر مارس المقبل، وتنهي فكرة وجود المعارضة كديكور سياسي في مصر.

وأصدرت الحركة بيانا صحافيا، السبت، استنكرت فيه تصريحات للرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، التي أشار فيها إلى إمكانية لجوئه لطلب تفويض من الشعب لدعمه في مواقفه السياسية والأمنية. وقالت الحركة إنها تشعر "بعميق القلق".

وتفتقر الحركة المدنية حتى الآن إلى القدرة على استقطاب مواطنين وإقناعهم بما تطرحه من أفكار سياسية لتشكل نواة حقيقية للمعارضة تستطيع أن تحصل على ضمانات لإقامة دولة مدنية تعددية، وهو أحد أهم التحديات الكبيرة التي تواجهها.

وتواجه الحركة معوقات ترتبط بطبيعة الأحزاب والشخصيات المنتمية إلى التحالف والتي لا ترتكن جميعها إلى خلفية شعبية قوية تمكنها من القيام بدورها كمعارضة مؤثرة في مواجهة النظام الحاكم.

ويحاول قادة هذا التحالف، الذي ظهر فجأة، الإيحاء بأنه امتداد لتحالفات سابقة لعبت دورا مهما في إزاحة نظام الرئيس الأسبق حسني مبارك ثم نظام حكم الإخوان.

> من الصعب أن يتم إقناع المواطنين بجدوى الحركة المدنية فأغلب قادة التحالف لم يتحركوا إلا مع اقتراب الانتخابات الرئاسية، ما يضفي انتهازية على مواقفهم لتبرير الإخفاق في تقديم مرشح يحظى بقبول شعبي

المشكلة أن هذه الخطوة تبدو متأخرة، ومن الصعب أن يتم إقناع المواطنين بجدواها سياسيا، فقد ظل معظم قادة هذا التحالف خاملين ولم يتحركوا إلا مع اقتراب الانتخابات الرئاسية، ما يضفي قدرا من الانتهازية على مواقفهم، لتبرير الإخفاق في تقديم مرشح معارض توافقي يحظى بقبول شعبي. المرشح موسى مصطفى موسى رئيس حزب الغد، لا يستند لشعبية ويصعب وضعه في خانة المعارضة التي كان بعيدا عنها طوال السنوات الماضية. ويرى مصطفى كامل السيد، أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة، أن ظروف تدشين الحركة المدنية الجديدة غير مرتبطة بأهداف مرحلية مباشرة نتيجة لصعوبة تحقيق مكاسب سياسية على المدى القريب، لكنها قد تحرك جانبا من المياه الراكدة.

وتضم الحركة المدنية التي تشكلت في ديسمبر الماضي، ثمانية أحزاب هي: الدستور والعدل والمصري الديمقراطي الاجتماعي وتيار الكرامة ومصر الحرية والتحالف الشعبي الاشتراكي والإصلاح والتنمية والعيش والحرية (تحت التأسيس).

وتشارك فيها 150 شخصية من سياسيين ونشطاء وشخصيات عامة، أبرزهم حمدين صباحي، الذي خاض انتخابات الرئاسة في 2014 ضد السيسي وخسرها بفارق كبير من الأصوات، وهشام جنينة الرئيس السابق للجهاز المركزي للمحاسبات، والحقوقي خالد علي والبرلماني السابق محمد أنور عصمت السادات.

وكان كل من علي والسادات يعتزم الترشح للانتخابات الرئاسية، لكنهما تراجعا عن ذلك. كما خرج من السباق كل من الفريق أحمد شفيق والفريق سامي عنان.

وأكد مصطفى كامل لـ"العرب"، أن تواصل الحركة المدنية مع المواطنين من خلال وسائل الإعلام الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي فقط، يمثل عائقا أمام قدرتها على الحشد الجماهيري، غير أنها قادرة على تعويض ذلك من خلال توسيع نطاق حركة جذب الشخصيات السياسية المؤثرة في الشارع.

وما يزيد الأمور تعقيدا أن الطريقة التي تأسست بها الحركة المدنية تواجه معارضة داخلية من قبل التيار المدني المصري المعارض للحكومة، بعد أن رفضت الحركة انضمام حركتي 6 أبريل والاشتراكيين الثوريين إليها، وكانتا من الحركات الشبابية الفاعلة قبل سنوات.

وهو ما جرى تفسيره من قبل قادة في التحالف الجديد بأن تلك الحركات تربطها صلات غير مباشرة بجماعة الإخوان، وهو ما تكرر مع حزب مصر القوية الذي يتزعمه القيادي الإخواني عبدالمنعم أبوالفتوح.

وتسبب هذا الفرز في إصابة الحركة مبكرا بالبعض من الأمراض التقليدية الخاصة بأضرار الانقسامات وتداعياتها السياسية.

وقالت مصادر بالتحالف لـ"العرب"، إن الحركة المدنية تعاني انقساما داخليا بسبب خلاف نشب عشية إعلان مقاطعتها للانتخابات الرئاسية على خلفية رغبة البعض من الأطراف انضمام التيار الإسلامي الموصوف بـ"المعتدل" والمؤمن بالعملية الديمقراطية داخل التحالف، بذريعة أن ذلك من الممكن أن يخدمها جماهيريا. غير أن ذلك الطرح واجه رفضا شديدا من قبل تيار آخر، يرى أن جميع تيارات الإسلام السياسي لا تقتنع بالديمقراطية وتسعى للدخول في تلك التحالفات لتحقيق مصالحها الشخصية، وهو ما تكرر من قبل مع جماعة الإخوان عقب ثورة يناير.

وأضاف المصدر أن البعض من المشاركين في الحركة المدنية لا يؤمنون بأنهم أضحوا بحاجة لمراجعة أفكارهم وتوجهاتهم السياسية، وسوف تكون هناك فجوات بين التيارات المنتمية داخلها، ما يصب في صالح فقدان الحركة لأي بريق سياسي لها.

لكن وجهة النظر هذه يقابلها رهان آخر يلعب عليه عدد من قيادات التحالف المؤثرين، وعلى رأسهم حمدين صباحي الذي قال لـ"العرب"، إنه يتوقع أن يحدث التيار المدني صدى واسعا بالشارع المصري يمكنه من الاستمرار. وأضاف "أن ذلك سيتحقق لسببين: الأول، ينصب أساسا على عدم رضاء الشارع عن الأوضاع الراهنة، والسبب الثاني يرتبط باتخاذ التحالف مواقف سياسية قوية تستطيع أن تغير الصورة الذهنية لدى المعارضة من خلال طرح بدائل قابلة للتنفيذ ويجري التوافق عليها".

وقال مدحت الزاهد رئيس التحالف الشعبي الاشتراكي أحد مكونات الحركة، لـ"العرب"، إن البيان التأسيسي للحركة ركز على معارضة سياسات قائمة ولم يكن ينظر إلى ربطها بالاستحقاق الرئاسي بشكل مباشر، وهو ما انعكس على المطالبات بمراجعة القرارات الاقتصادية ورفض تمديد حالة الطوارئ ورفع القيود على العمل الحزبي والحريات بصفة عامة.

رهان التعبئة

مقتل طيار روسي بعد إسقاط طائرته في سوريا

❑ **موسكو** – نقلت وكالة الأنباء الروسية (تاس) عن وزارة الدفاع الروسية، السبت، قولها إن إحدى طائراتها الحربية من طراز سوخوي – 25 أسقطت في سوريا وقتل الطيار بعد أن قفز منها بالمظلة.

وأعلنت وزارة الدفاع الروسية، السبت، عن إسقاط طائرة حربية روسية في إدلب من طراز "سو – 25" ومقتل الطيار أثناء مواجهة مع الإرهابيين.

وذكر بيان نشرته الوزارة بأن "الطائرة الروسية سو25– تحطمت عندما كانت تحلق فوق منطقة خفض التصعيد في إدلب".

وبحسب البيان فإن الطيار استطاع أن يقفز من الطائرة قبل تحطمها، وذلك في إحدى المناطق التي تقع تحت سيطرة تنظيم "جبهة النصرة" المتشدد. مضيفا أن "الطيار قد لاقى حتفه أثناء مواجهة مع الإرهابيين".

وتابع نفس المصدر "حسب المعلومات الأولية، تم إسقاط الطائرة بصاروخ محمول على الكتف مضاد للطائرات".

وقالت وزارة الدفاع الروسية إن "مركز المصلحة الروسي بالتعاون مع السلطات التركية يعمل على إعادة جثمان الطيار".

وقال مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان رامي عبدالرحمن إن "الطيار قتل خلال اشتباكه مع الفصائل الإسلامية التي حاصرته وأسرته" بعدما أسقطت طائرته من طراز سوخوي 25 بصاروخ مضاد للطائرات في منطقة سراقب في ريف إدلب الجنوبي.

وبحسب مصادر أخرى، ألقت فصائل المعارضة السورية القبض على الطيارين الروس عقب إسقاط طائرتهم بنيران المضادات الأرضية في ريف إدلب الشرقي.

وقال قائد عسكري في جيش إدلب الحر التابع للجيش السوري الحر في تصريحات لوكالة الأنباء الألمانية "إن فصائل المعارضة ألقت القبض على الطيارين في منطقة معصران شمال مدينة معرة النعمان في ريف إدلب الشرقي على بعد 5 كم عن مكان سقوط الطائرة".

وأضاف القائد العسكري أن "سربا من الطائرات الروسية تحلق على علو منخفض بحثا عن الطيارين الذين ألقت فصائل المعارضة القبض عليهم".

وقال المتحدث باسم "جيش النصر" أحد فصائل الجيش السوري الحر، محمد راشد، في وقت سابق، إن مضادات الطائرات التابعة لفصيله أسقطت طائرة حربية من طراز سوخوي 25 أثناء استعدادها لقصف منطقة سراقب في ريف إدلب الشرقي.

وكان راشد أفاد بتبعية الطائرة لقوات النظام االسوري، قبل تأكيد وزارة الدفاع الروسية أن الطائرة تابعة لقواتها.

وهذه هي أول طائرة حربية روسية يتم إسقاطها من قبل فصائل المعارضة السورية.

وصعدت روسيا هجماتها في إدلب خلال الأشهر الأخيرة لدعم حملة لقوات النظام والقوات الأجنبية المتحالفة معه للتوغل في المحافظة الواقعة تحت سيطرة المعارضة.

وتشكل محافظة إدلب مع ريف حماة الشمالي وريف حلب الغربي إحدى مناطق "خفض التوتر" التي تم الاتفاق عليها في محادثات أستانة، العام الماضي، بضمانة كل من تركيا وروسيا وإيران.

الجيش الليبي يلاحق بقايا مجموعات مسلحة جنوبي الهلال النفطي الليبي

❑ **بنغازي (ليبيا)** – قالت وكالة الأنباء الليبية، التابعة لسلطات شرق البلاد، السبت إن الجيش الليبي الذي يقوده المشير خليفة حفتر شكّل قوة "كبيرة جدا" تتكون من عدة كتائب لملاحقة بقايا جماعات متشددة بين بلدتي مرادة وزلة جنوب منطقة الهلال النفطي.

ونقلت الوكالة عن مصدر عسكري بسرية مرادة المقاتلة التابعة للقيادة العامة للقوات المسلحة أنه تم "تشكيل قوة كبيرة جدا من عدة كتائب لملاحقة بقايا الجماعات الإرهابية غرب حقل السماح النفطي، ما بين بلديتي مرادة وزلة".

وأوضح نفس المصدر أن "كتائب القوات المسلحة اتجهت إلى أماكن تمركز الإرهابيين في المنطقة المذكورة وقامت بتمشيطها بالكامل".

وقال مسؤولون عسكريون، السبت، إن قوات ليبية اشتبكت مع مسلحين يشتبه في انتمائهم لما يسمى "تنظيم الدولة الإسلامية" وقتلت ثلاثة منهم قرب حقل الظهرة النفطي الذي تديره شركة الواحة في جنوب شرق البلاد.

والواحة هي شركة مشتركة بين المؤسسة الوطنية للنفط وثلاث شركات أميركية هي هيس وماراثون وكونوكوفيليبس.

وأفاد المصدر العسكري، لوكالة الأنباء الليبية، بأن اشتباكات اندلعت مساء الجمعة أثناء خروج سرية مرادة المقاتلة في إحدى دوريات الاستطلاع اليومية لتأمين خطوط نقل النفط الخام والبعض من محطات ضخ النفط الواقعة في محيط منطقة مرادة.

وأكد أن السرية وردتها معطيات عن وجود مجموعات تابعة لتنظيم داعش غرب منطقة مرادة بحوالي 130 كم.

وأضاف أن فصيلا مقاتلا من كل من "سرية مرادة المقاتلة" و"سرية شهداء الظهرة" توجه إلى مكان وجود المجموعات التي يشتبه في انتمائها لداعش. ورفضت السيارة التي تستقلها المجموعة المشتبه بها التوقف عندما طلب منها الفصيل ذلك. وسلكت الطريق الصحراوي المؤدي إلى حقل الظهرة وقام من فيها بإطلاق النار على عناصر القوات العسكرية.

وقال المصدر العسكري إن المجموعة المسلحة تبادلت إطلاق النار مع القوة التابعة للجيش، حيث تم قتل ثلاثة من العناصر المتشددة ومن بينهم "الإرهابي المدعو أبوبكر الشيشاني".

كما تم خلال تبادل إطلاق النار مقتل خالد المعداني وجرح فتحي هلال بوعمود "من سرية شهداء زلة".

وفرت بقية عناصر المجموعة المسلحة التي يشتبه في انتمائها لتنظيم داعش، وبحسب المصادر العسكرية لم تتواصل عملية "ملاحقتها لصعوبة المكان وخوفا من وجود كمين للإرهابيين خلف المرتفعات الصخرية".

كما قالت نفس المصادر إنه تمت ملاحظة "وجود آثار عجلات سيارات عدة في محيط المكان تشير إلى وجود مجوعة أخرى".

وتمكنت القوة الليبية، إثر انتهاء العملية، من حجز السيارة التي كانت تستقلها المجموعة المسلحة. وتم العثور داخل السيارة على 5 أحزمة ناسفة وعدد من المفخخات "التي يعتقد بأنهم كانوا يحاولون وضعها على خطوط النفط بالقرب من محطة القطار لتفجيرها".

ونشر المكتب الإعلامي لسرية مرادة المقاتلة، على حسابه على موقع فيسبوك، أن القوة العسكرية التي شاركت في العملية تتكون من أفراد تابعين لسرايا وكتائب غرفة عمليات الجفرة الكتيبة 128 مشاة وسرية مرادة المقاتلة وسرية شهداء الظهرة وسرية شهداء زلة.

وأضاف أن القوة كانت بصدد "تمشيط المنطقة بين مرادة وزلة وعند اقترابها من حقل الظهرة حدث اشتباك مع مجموعة من التنظيم الإرهابي داعش".

والقوات التي تقوم بحماية المنشآت النفطية وعمليات شركة الواحة تنتمي للجيش الليبي الذي يقوده خليفة حفتر والمدعوم من مجلس النواب المتمركز في مدينة طبرق شرقي البلاد والمنبثقة عنه الحكومة المؤقتة غير المعترف بها دوليا والتي تعمل من مدينة البيضاء (شرق).

وانزلقت ليبيا نحو الصراعات منذ الإطاحة بنظام الزعيم الراحل معمر القذافي خلال العام 2011. وأمام الفوضى التي تعيشها ليبيا منذ ذلك الوقت والتي سببها التنافس على الشرعية في البلاد، رعت الأمم المتحدة اتفاقا سياسيا بين أطراف النزاع الليبية في مدينة الصخيرات المغربية خلال العام 2015.

وأقر اتفاق الصخيرات حكومة الوفاق الوطني ومجلس النواب بطبرق كسلطة تشريعية والمجلس الأعلى للدولة كسلطة استشارية. ولكن الاتفاق يشهد حاليا جمودا بسبب خلافات الأطراف الموقعة عليه.

> قوات ليبية اشتبكت مع مسلحين ينتمون لما يسمى «تنظيم الدولة الإسلامية» وقتلت ثلاثة منهم قرب حقل الظهرة النفطي الذي تديره شركة الواحة

وفي ديسمبر فجر مسلحون خط أنابيب لنقل النفط يتبع شركة الواحة ويضخ الخام لميناء السدر، مما تسبب في خفض مؤقت للإنتاج الليبي إلى نحو مئة ألف برميل يوميا. وألقى مسؤولون باللائمة على إرهابيين دون الإفصاح عن المزيد من التفاصيل.

ويتسم الوضع الأمني في ليبيا بالضعف والهشاشة وتقول مصادر إن مسلحين من تنظيم داعش يتواجدون بها منذ خسارتهم مدينة سرت في وسط ليبيا في 2016، والتي كانت معقلهم الرئيسي في البلاد.

وضع هش في الهلال النفطي

الأحزاب السنية العراقية تعيد تشكيل تحالفاتها تفاديا لأخطاء الماضي

التكتلات السياسية الجديدة تعكس مشكلة أحزاب السنة المتمثلة في تشتتها

فرض حسم موعد الانتخابات النيابية في العراق على القوى السياسية إعادة تشكيل تحالفاتها، وباتت هذه الخطوات الجديدة تغيّر ملامح المشهد السياسي في بلد يسعى إلى استعادة أمنه في مرحلة ما بعد داعش. وقررت الأحزاب السنية الدخول في تحالف مع قوى أخرى بعيداً عن الانتماء الطائفي، حيث قرر البعض منها التحالف مع إياد علاوي الشيعي الليبرالي، فيما فضل البعض الآخر من أنصار مشروع الإقليم السني التجمع في تحالف مستقل.

أنا خيار سنة العراق

❑ **بغداد** – تستعد القوى السياسية في العراق للانتخابات التشريعية المقررة في مايو القادم بالدخول في تحالفات جديدة تختلف عن التحالفات التي تشكلت سابقا، ومن بينها انضمام الأحزاب السنية إلى التحالف الذي يقوده نائب رئيس الجمهورية إياد علاوي.

ويهدف تحالف الأحزاب السنية مع علاوي الشيعي ذي التوجه الليبرالي إلى تحقيق فوز على شاكلة فوزها في انتخابات العام 2010، خاصة أن انفصالها عنه في انتخابات العام 2014 جلب لها الهزيمة.

وفي العام 2010 تحالفت "القائمة العراقية" مع علاوي وفازت بالمرتبة الأولى في الانتخابات بـ91 مقعدا، لكنها لم تحظ بمهمة تشكيل الحكومة إذ أن العرف السياسي الطائفي القائم يمنح منصب رئيس الحكومة للشيعة.

لكن التحالفات الجديدة للأحزاب السنية في العراق عكست مشكلتها الكبرى المتمثلة في تشتتها، فأنصار مشروع الإقليم السني شكلوا تحالفا مستقلا.

وتعيش الأحزاب السنية تشظيا برز منذ هجوم تنظيم داعش على المدن السنية في الأنبار والموصل وصلاح الدين وديالى، وهو ما زاد من حدة خلافاتها.

واستعدادا للانتخابات القادمة، قرر الحزب الإسلامي بزعامة سليم الجبوري رئيس البرلمان وحزب "العربية" بزعامة صالح المطلك التحالف مع رئيس ائتلاف "الوطنية" بزعامة إياد علاوي.

في المقابل، تجمعت الأحزاب السنية التي تتبنى مشروع الإقليم السني وتحويل المحافظات السنية إلى أقاليم مستقلة في تحالف واحد تحت مسمى "القرار العراقي".

> التحالفات الجديدة للأحزاب السنية في العراق تعكس مشكلتها الكبرى المتمثلة في تشتتها، فأنصار مشروع الإقليم السني شكلوا تحالفا مستقلا في حين انضم البقية إلى ائتلاف إياد علاوي

ويضم هذا التحالف أسامة النجيفي زعيم ائتلاف "متحدون" وخميس الخنجر رئيس حركة "المشروع العربي" وأحمد المساري رئيس حزب "الحق الوطني" وسلمان الجميلي رئيس حزب "المستقبل الوطني".

وتمكن "الحزب الإسلامي" الذي يمثل فرع الإخوان المسلمين في العراق من استعادة شعبيته بعد أن كان الخاسر السني الأكبر في انتخابات 2014 بفضل رئيس البرلمان سليم الجبوري عبر التقارب مع الأحزاب الشيعية لمواجهة أسامة النجيفي الذي كان حليفا له في السابق.

وسجلت مفوضية الانتخابات النيابية، في وقت سابق، وجود 27 تحالفا ستشارك في الاستحقاق القادم ومن أبرزها "النصر" بقيادة حيدر العبادي و"الفتح" بقيادة هادي العامري و"سائرون" بدعم مقتدى الصدر و"دولة القانون" بقيادة نوري المالكي، إلى جانب تحالف "القرار" بزعامة الخنجر و"الوطنية" الذي يقوده إياد علاوي.

ويشارك في الانتخابات التشريعية العراقية القادمة حوالي 200 حزب دون الالتحاق بأي تحالف انتخابي.

وهيمن الاستقطاب الطائفي على البلد خلال الانتخابات التشريعية للعام 2014، مما ساهم في استياء الأوساط العراقية من أداء الأحزاب وهو ما مكن القوى المدنية من شعبية متنامية.

وبعد 2003 ارتكزت الأحزاب العراقية على المذهبية والقومية في تركيبتها بهدف استقطاب المكون الاجتماعي الذي تمثله، وأسفر هذا الأمر عن التمسك بالانتماء الطائفي على حساب الانتماء الوطني.

وفي ظل حكم المالكي (2006–2014) خسر العراق ثلث مساحة أراضيه لصالح تنظيم داعش، قبل أن يقود العبادي البلد إلى استعادة كل تلك الأراضي بدعم من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية فضلا عن نجاحه في إحباط محاولة انفصال إقليم الشمال.

وقالت ميسون الدملوجي، المتحدثة الرسمية باسم ائتلاف "الوطنية"، إن "انضمام قوى سنية إلى تحالفنا لا يعني التخلي عن مبادئنا في نبذ المحاصصة الطائفية، وما زلنا نقف مع وحدة العراق ونسعى لتطبيق دولة المواطنة باعتباره الهدف الأسمى لنا".

وأضافت أن "ائتلاف الوطنية فتح بابه لانضمام جميع الأحزاب السياسية التي تشاركنا الأهداف ولم نضع شروطا مسبقة بشرط عدم تبني أهداف طائفية تعارض مبدأ بناء الدولة وسيادة القانون، تحالفنا اليوم يضم أكثر من ثلاثين حزبا وحركة سياسية".

ويتصارع "الحزب الإسلامي" مع ائتلاف "متحدون" على النفوذ السياسي في الموصل، ويتصارع حزب "الوطنية" ومعه حركة "الحل" مع "الحزب الإسلامي" على الأنبار، بينما تتصارع جبهة "الحوار الوطني" و"الحزب الإسلامي" مع حزب "الوطنية" في صلاح الدين.

وحسم الجدل في العراق بشأن موعد الانتخابات بعد أن أقرّ البرلمان يوم الثاني عشر من مايو القادم موعدا نهائيا، ما سيسلط ضغطا شديدا على مئات الآلاف من النازحين الذين سيكون مطلوبا منهم العودة إلى مناطقهم بغض النظر عن الظروف التي سيواجهونها في تلك المناطق المدمرة، ليساهموا في إنجاح الاستحقاق الذي يعني للقوى السياسية شيعية وسنيّة، ضمان حصّة في السلطة. وتكتسي الانتخابات المقبلة أهمية خاصة، كونها ستنتج الحكومة التي ستقود العراق في مرحلة ما بعد داعش، والتي يأمل العراقيون أن تكون مرحلة استقرار أمني وإعادة إعمار ومحاربة الفساد المستشري على نطاق واسع.

ويمثل حسم الخلاف على موعد الانتخابات انتصارا للأحزاب الشيعية الكبرى القائدة للعملية السياسية والممسكة عمليا بالسلطة، وهي على وجه العموم التي أصرت على عدم تأجيل الاستحقاق على سبيل اغتنام الظرف القائم والتحسب لأي متغيرات للحصول على نتائج تدعم مراكزها في قيادة البلاد، ما سيعني بالنتيجة إدامة الوضع القائم في العراق منذ سنة 2003 وتقليل فرص حدوث تغييرات، على الأقل في الوجوه والشخصيات التي تتولى المراكز القيادية المهمة.

ويتوقع مراقبون أن يكون السباق الانتخابي محتدما بين المتنافسين، لا سيما مع التحولات الكبيرة في شكل التحالفات التي عقدتها القوى السياسية، استعدادا لهذا الاستحقاق.

ويتنافس نحو 70 حزبا وتيارا شيعيا ونحو 40 حزبا سنيا و15 حزبا كرديا، على مقاعد البرلمان العراقي المكونة من 328 مقعدا.

ولن تكون الصورة مثالية لقسم كبير من العراقيين من بينهم مئات الآلاف من النازحين الذين هجروا مناطقهم فرارا من غزو تنظيم داعش لها ومن الحرب الضارية والمدمّرة التي دارت لاستعادتها من سيطرته.

وتحديد موعد قريب للانتخابات سيفرض على هؤلاء ضغوطا إضافية للعودة إلى منازلهم، قبل الموعد المحدّد ليُستخدموا في إنجاح الاستحقاق الذي يمثل مصلحة كبرى لجهات داخلية وخارجية، بغض النظر عن تهيئة الظروف المناسبة لعودتهم.

ونزحت الغالبية الساحقة من مناطق شمالي وغربي البلاد، ذات الأكثرية السُنية. ويعتقد الكثير من السياسيين السُنّة أن بقاء النازحين في المخيمات أو المحافظات الأخرى سيحرمهم من التصويت في الانتخابات، ما سيؤثر على حظوظ مرشحيهم في الانتخابات.

ماذا يريد أكراد سوريا؟

رانيا رضوان مصطفى

❑ من حق أكراد سوريا، كما أكراد العراق وإيران وتركيا، أن يحلموا بالدولة القومية الكردية، أو أقلّها، بإقامة حكم ذاتي يخصّهم. لا مشكلة في أن مشاعرهم القومية تميل إلى ذلك؛ المشكلة أنّ الأحزاب الكردية، بسياساتها القومية، العاطفية المتسرعة تارة، والانتهازية المُزايدة تارة أخرى، أو بكونها أياد لتدخلات خارجية، أميركية وروسية وإيرانية، وكذلك النظام، تُدمّرُ فرص الأكراد بالعيش المشترك مع بقية السوريين، تنافسهم في ذلك الفصائل المرتبطة بالدول الخارجية.

عانى كل السوريين من سياسات القمع والنهب والتهميش، وكان ذلك سببا للقيام بثورتهم ضد النظام. كان ظلمه للأكراد مضاعفا (منع الحقوق الثقافية، ومشكلة الجنسية لدى جزء من أكراد)، مما جعلهم يشاركون في الثورة إلى جانب العرب. النظام انسحب باكرا من مناطق الشمال الشرقي، وسلّمها للبايادي وميليشياته المسلحة، الذي قام بالنيابة عنه بقمع المشاركين في الثورة، عربا وكردا، وقتل واعتقل البعض، وهجّر الكثيرين، ومنهم العديد من ناشطي المجلس الوطني الكردي.

الأحزاب الكردية قامت بتضخيم المظلومية الكردية وتحويلها من مظالمَ ضدّ النظام، وضدّ ممارسات الحكومات التي سبقته، إلى مظالم ضدّ العرب الذين يشكّلون أغلبية سكانية في مناطق الجزيرة السورية والشمال، ووصفهم بالمحتلين لأراضي كردستان المتوهَّمة، والتي تمّ خلق حجج تفيد بأحقيتهم بها، والقول بأن الأكراد يشكلون أغلبية عددية في تلك المناطق، الأمر الذي تدحضه كل الإحصائيات، وتبيّن أنّ تلك الادعاءات تشمل الأكراد المتواجدين في دمشق وبقية المحافظات السورية، والمندمجين بشكل كامل مع المجتمعات العربية.

المئات من صفحات فيسبوك، التي يديرها جيش إلكتروني كردي، أُنشئت لتأييد تلك الادعاءات، ونشر الكراهية والعنصرية القومية ضد العرب، وتضخيم المظالم الكردية. وبالتالي كان من السهل على البايادي أن يستولي على أراضي بلدات عربية ويُهجّر أهلها، وأن يتصرف كحاكم متفرد بكانتون يخصّه، في ظل صمت كردي عام، بما فيه أحزاب المجلس الوطني الكردي، التي كانت تندد فقط بالانتهاكات التي يتعرض لها أكراد على أيدي البايادي؛ بعض المثقفين الأكراد اكتفوا بالتنديد ببعض المجازر بحق العرب، بسبب نشر صور فاضحة للتنكيل بجثث القتلى.

سيطرة الجهادية الإسلامية، داعش والنصرة وأحرار الشام وغيرها، على مناطق المعارضة عزّزت النقمة الكردية ضد العرب، وأبعدت الأكراد عن الثورة، كما أبعدت التوجهات الوطنية. يضاف إلى ذلك أن تلك الفصائل، الإسلامية وغير الإسلامية، كلها مرهونة لإرادة الداعمين، خاصة الداعم التركي، الذي يرفض تواجد كيان كردي على حدوده.

في ظل ضياع المشروع الوطني للثورة، وارتهان سوريا للصراع الدولي والإقليمي، التجأت قوات البايادي إلى أميركا، التي دعمتها تحت مسمى قوات سوريا الديمقراطية، لمحاربة تنظيم داعش.

منذ تحرير عين العرب (كوباني) من تنظيم داعش، اعتقدت قيادة البايادي أن أميركا ستمضي في دعم المشروع الكردي الخاص في سوريا، بعد القضاء على التنظيم؛ وأغلب الأكراد توهّموا ذلك، وحتى بعد تخلي أميركا عن مسعود البارزاني حين أعلن نيّته الانفصال. قوات قسد هي أدوات أميركا في السيطرة على الرقة ومناطق شرق الفرات، حيث أقامت قواعدها العسكرية. وراحت قوات البايادي تتصرف وكأنها حاكمة لتلك المناطق، وتمارس انتهاكات وتشديدات أمنية ضد العرب الذين يشكّلون أغلبية ساحقة فيها، إضافة إلى النازحين من مناطق أخرى؛ مما ولّد احتقانا عربيا ضد الأكراد أيضا.

سيطرت قوات حماية الشعب الكردية على عفرين، ذات الغالبية الكردية، لكنها لم تسلّمها لحكم محلي، لا هي ولا مناطق ريف حلب العربية، كمنبج وتل رفعت وغيرهما، وأعلنت نيّتها التقدم حتى البحر المتوسط. أميركا لم تدعمها في مطامحها تلك، بسبب وجود توافقات تركية روسية إيرانية، حيث تم تسليم جرابلس لتركيا وحلب للنظام وروسيا وإيران.

أردوغان، الذي لا يريد تواجد فرع البيكيكي على حدوده، بدأ عمليته العسكرية في عفرين ضد البايادي، وأعلن عن نيته السيطرة على منبج، والتوجه شرقا حتى الحدود العراقية، مستغلا النقمة العربية الجديدة ضد الأكراد بسبب انتهاكات البايادي لهم. وهو يسعى إلى كسب تأييد دولي، خاصة أميركا وفرنسا، عبر إقناعهما بأنه سيوفر مناطق آمنة لعودة المدنيين.

انخراط فصائل الجيش الحر في هذا العمل العسكري عقّد الوضع كثيرا. المعارضة السياسية ممثّلة بالائتلاف الوطني، أيّدت العملية العسكرية، رغم معارضة المجلس الوطني الكردي المشارك فيه لذلك التأييد، وانسحاب بعض أعضائه. هذا الموقف من الائتلاف، وكذلك مشاركة الفصائل العربية لمصلحة تركيا، هو موقف انفعالي خاطئ؛ بالدرجة الأولى لأنه يزكّي المزيد من الأحقاد القومية بين العرب والكرد، وكذلك لأنه يزيد من حالة التشرذم، بتمكين تركيا من مدّ نفوذها في مناطق استراتيجية بالنسبة إليها، مقابل سيطرة النظام وروسيا على أجزاء من إدلب، تطبيقا لاتفاق سوتشي بين روسيا وإيران وتركيا.

هذا ما جناه الأكراد

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

اليسار التونسي فاقد لزعيم يلمّ شتاته ولخطاب يتحدث لغة المجتمع

رغم تعدّد مبادرات التوحيد: هوس الزعامة والأيديولوجيا يعمّق أزمة اليسار

تُوجّه في الأوساط السياسية والمجتمعية التونسية العديد من الانتقادات لكل الحركات اليسارية بالبلاد، تمحورت جلها حول عدم قدرتها علىٰ اختراق النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع التونسي وبقاء خطابها يدور في فلك ثورة البروليتاريا في مجتمع لا توجد به بروليتاريا أصلا بالمعنىٰ الماركسي، وهو مختلف في تركيبته وفكره وتوجهاته ومطالبه عن المجتمعات التي تبلورت فيها الشيوعية الماركسية اللينينة، بل إن هذه الأيديولوجيا فقدت الكثير من زخمها حتىٰ في تلك المجتمعات. وتتفق مجموعة من الباحثين وأعضاء في أحزاب يسارية علىٰ أن الأرضية الراهنة في البلاد مناسبة لليسار التونسي ليراجع نفسه ويجدد خطابه بما يتوافق مع خصوصية المجتمع التونسي، ويجعله القوة السياسية الثانية بعد التيار الليبرالي العلماني الذي يستمد جذوره من الثقافة السياسية التي تأسست عليها دولة الاستقلال ضمن تاريخ كان لليسار حضور هام فيه.

وسام حمدي
كاتب تونسي

❏ **تونس** – علىٰ الرغم من عراقة الأحزاب اليسارية في تونس ومسيرتها النضالية الحافلة في مجتمع له توجّسات من الشيوعية الماركسية اللينينة، فإن كل الحركات اليسارية التونسية التي تبلورت أولىٰ لبناتها الفكرية في عشرينات القرن الماضي بتأسّس الحزب الشيوعي التونسي في العام 1920 لم تتمكّن من لمّ شتاتها أو تخطي عقبات ومعوّقات التصادم بينها حتىٰ بعد خروجها من عالم السرّية الذي ميّزها في فترتي حكم الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة ومن بعده نظام زين العابدين بن علي.

> اليسار رغم امتداده الثقافي فشل في تحقيق الانتشار الشعبي واقتصر حضوره على بعض النقابات وطلاب الجامعات

لا أحد يشكّك في نضال اليساريين وفي مساهمتهم عبر مواقفهم وأفكارهم ومبادئهم لا فقط في محاربة الدكتاتورية بل أيضا لإسهاماتهم في تاريخ الحركة الوطنية التونسية ضد الاستعمار الفرنسي (1881 – 1956)، لكن بعد ثورة يناير 2011 بات اليسار التونسي يُتّهم إلىٰ حدّ اللحظة بكونه مراهقا سياسيا تائها في برجه العاجي وحبيس المصطلحات والمفاهيم الماركسية.

ورغم بروز بوادر التجمّع والتخلّص من عُقد وأمراض الزعامة والأيديولوجيا عقب تشكّل الجبهة الشعبية، المكونة من 9 أحزاب يسارية وقومية في العام 2012، فإن الجبهة، وإن كانت القوة الثالثة في البلاد بعد حصدها 15 مقعدا في البرلمان في انتخابات 2014، لم تحقق الانتشار الذي يصبو إليه كل يساري تونسي ولم تتمكن من توظيف الثورة لصالحها ولم تستغل بالشكل الكافي اغتيال الشهيدين شكري بلعيد ومحمّد البراهمي.

يتميز اليسار التونسي رغم امتداده الثقافي بعدم انتشاره الشعبي والاقتصار علىٰ التغلغل في بعض النقابات أو صلب طلاب الجامعات وهو ما دفع بالعديد من الوجوه اليسارية خاصة بعد ثورة يناير 2011 في البلاد إلىٰ التساؤل حول تواصل تشرذم اليسار ومحاولة تقديم مبادرات تجميع أو حتىٰ فكرة تأسيس حزب يساري كبير.

أحدث مبادرات التجميع والتوحيد لليساريين في تونس أطلقها عبيد البريكي، النقابي واليساري والوزير السابق في حكومة يوسف الشاهد، وسماها "مبادرة تجميع اليسار". وأكّد البريكي في ندوة نظمت مؤخرا أن مبادرته تهدف إلىٰ تكوين حزب يساري كبير لا جبهة مكونة من أحزاب وأنها لا تطرح ضمن برنامجها التصادم مع أحزاب سياسية أخرى وذلك في إشارة إلىٰ الجبهة الشعبية.

لكنّ مراقبون في تونس يرون أن مبادرة عبيد البريكي لن تفضي إلىٰ توحيد اليسار بل ستزيد في تشتّته بمراهنته علىٰ استقطاب أنصار حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحد المنضوي منذ سنة 2012 عبر مبادرة أمينه العام آنذاك شكري بلعيد في الجبهة الشعبية.

ولا يرى الكاتب مصطفىٰ القلعي أنّ هناك معنىٰ اليوم لطرح موضوع توحيد اليسار لأنّها مسألة محسومة منذ تأسيس الجبهة الشعبيّة في أكتوبر 2012. أمّا ما عقب ذلك فهو خلع لأبواب مفتوحة وتشويش علىٰ الجبهة الشعبيّة. واعتبر أن مبادرة عبيد البريكي تأتي خارج السياق.

وقال عبدالجليل بوقرة، الباحث والمختص في شؤون اليسار التونسي لـ"العرب"، "إن فكرة توحيد اليسار في تونس تبقىٰ واردة، لكن أعتقد أن تعدّد المبادرات من ذلك المبادرة التي قدّمها عبيد البريكي ستزيد في ضرب اليسار وتشرذمه وليس العكس".

وأضاف بوقرة أن "اليساريين في تونس بجميع تشكلاتهم وتصوراتهم مازالوا لم يستوعبوا متطلبات الشعب"، مؤكدا أن "من أهم العوامل التي جعلت اليسار مشتّتا هي المعارك التي تشق قياداته والمتمثّلة أساسا في الهوس بالزعامة أو بالاختلافات الأيديولوجية اليسارية من قبيل يساري لينيني أو تروتسكي أو ماوي".

ويرى الباحث المختص في شؤون اليسار التونسي أن كل الأحزاب والقيادات اليسارية في تونس فوتت علىٰ نفسها فرصتين هامتين للانتشار أو حتىٰ الحكم وكان أولها وفق تعبيره ثورة يناير 2011.

ويضيف أن "الشعب التونسي أهدى حركات اليسار ثورة لم يتمكّن من استغلالها خصوصا أنه كان اللاعب رقم واحد في البلاد آنذاك بعد سقوط نظام زين العابدين بن علي وكانت له المشروعية في المسك بمقاليد البلاد خصوصا أن بعض قياداته أمثال حمة الهمامي اعتقلوا قبل اندلاع الثورة في 14 يناير من 2011".

قوة ولكن...

والفرصة الثانية التي أهدرها اليساريون في تونس للتجمّع والانتشار الشعبي، فكانت وفق عبدالجليل بوقرة، لحظة اغتيال شكري بلعيد. فلم تستغل أحزاب اليسار هذه الحادثة بقدر ما وظفتها أحزاب يمينية، وكل ذلك راجع إلىٰ الخلافات التي تشق قيادات اليسار.

ووصّف بوقرة وضع الحركات اليسارية في تونس بالموغلة في جملة من المتناقضات، قائلا "اليساريون في تونس لم يتخلصوا من مرض الأيديولوجيا والنخبوية ولم يركزوا علىٰ أحد أهم مبادئ الفكر اليساري وهو الاقتراب من الفئات الاجتماعية الهشة في الأحياء والمناطق المهمشة"، مضيفا أنه "لا وجود لليساريين سوى في المنابر أو الملتقيات الفكرية عكس الأحزاب اليمينية وخاصة منها الدينية التي تمكّنت من التغلغل بسرعة في الأحياء الشعبية".

وشدد بوقرة علىٰ حقيقة أن اليسار التونسي فاقد لزعيم تكون له القدرة علىٰ التجميع مثل الشهيد شكري بلعيد، مضيفا أنه رغم صعوبات وإرهاصات الواقع السياسي في البلاد فإن له أملا في الشباب اليساري الجديد الذي يقلب القاعدة ويكسرها بانتهاجه خطا توحيديا معاكسا لما انتهجته القيادات والزعامات التاريخية لليسار التونسي.

وفي قلب المعركة وتعدد الدعوات والمفاهيم المنادية بتوحيد اليسار التونسي، يرى مراقبون أنّ حروب أحزاب اليسار قد تشتد أكثر مما كانت عليه في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي خاصة في الأوساط الجامعية بتوجّهها نحو اصطدام مرتقب بين الجبهة الشعبية والحزب اليساري الكبير الذي تعكف وجوه يسارية في مقدمتها عبيد البريكي علىٰ تأسيسه.

وقال عبدالمجيد بلعيد (شقيق شكري بلعيد)، أحد مؤسسي مباردة تجميع اليسار والمستقيل من الجبهة الشعبية، "إن فكرة توحيد اليسار في تونس مازالت قائمة وواردة ولذلك قدّمنا مبادرة للمّ صفوف كل اليساريين بالبلاد".

وأضاف "الهدف من مبادرتنا ليس التنافس أو الصراع مع الجبهة الشعبية بقدر ما هو محاولة واقعية لتنفيذ حلم الشهيد شكري بلعيد في تكوين حزب يساري كبير".

وأكد أن المبادرة تهدف إلىٰ التجميع لا التفريق خاصة أن اليسار التونسي بقي مشتتا في أحزاب صغيرة لا حجم لها ولن تكون قادرة علىٰ التموقع في المشهد السياسي.

وحول مغادرته الجبهة الشعبية التي كان شكري بلعيد أحد أهم مؤسسيها، قال عبدالمجيد بلعيد "لن أتهم أحدا ولن أزايد علىٰ أحد، لكن ربّما ما لم نستطع تحقيقه في الجبهة من أحلام شكري سنحوله إلىٰ واقع في مباردة توحيد اليسار".

ويرى عدد من اليساريين التونسيين وخاصة المستقلين منهم أنّ الجبهة الشعبية بصفتها أحد مكونات اليسار التونسي لم تتمكّن من لمّ شتات اليساريين في البلاد بسبب عدم تطوّر خطابها الفكري الذي بقي متكلّسا ووفيا للخط اليساري التقليدي القائم علىٰ الرفض أو لعجز ناطقها الرسمي حمة الهمامي علىٰ لعب دور الزعامة علىٰ أكمل وجه.

وقال الكاتب جلول عزونة، وهو من أبرز منظري اليسار في تونس وعضو الجبهة الشعبية، لـ"العرب" إن "فكرة توحيد اليسار تعيش، رغم الصعوبات، مراحل متقدّمة مقارنة بما كانت عليه في السابق والدليل علىٰ ذلك التحاق الحزب الوطني الديمقراطي الاشتراكي بالجبهة الشعبية".

وأكد عزونة أن كل اليساريين متفقون في تونس علىٰ أن أهم معوقات التجميع والتوحيد مرتكزة بالأساس علىٰ أمراض الزعامة أو الحرب الفكرية الدائمة بين التيارات اليسارية المختلفة كاللينينة والتروتسكية والماوية.

وحذّر عزونة من مغبّة تواصل التشرذم أو المضي قدما في ترويج خطاب لا أخلاقي خصوصا أن البعض سقط مؤخرا في محاولات تشويه الجبهة الشعبية وشيطنتها أو حتىٰ تعمّد إطلاق حملات مفضوحة ضدّ الناطق الرسمي للجبهة الشعبية حمّة الهمامي.

> تيارات اليسار في تونس لم تتخلص من مرض الأيديولوجيا والنخبوية ولم تركز على أحد أهم مبادئ الفكر اليساري وهو الاقتراب من الفئات الاجتماعية الهشة

وحول معارك الزعامة التي تشقّ صفوف اليساريين، قال جلول عزونة "اليسار التونسي تميّز رغم تجذّره في التاريخ وامتداده الثقافي والأيديولوجي بحروب الزعامة لكن ذلك لن يمنعه من التجمّع لأن الأحزاب هي العمود الفقري لأي مشروع سياسي وليست القيادات فحسب". وشدّد علىٰ أن الجبهة الشعبية لن تدخل في أي صراع مع أصحاب المبادرات الجديدة لتوحيد اليسار بل ستلتقي معهم ربما في محطات نضالية قادمة.

وبدا صالح الزغيدي، الناشط اليساري التونسي، متشائما في حديثه عن اليسار ووحدته ومستقبله، معتبرا أن مشكلة تشتت اليساريين تمثل معضلة فكرية وسياسية وتنظيمية تاريخية، إذا تواصل وضعهم علىٰ ما هو عليه من الضعف والتفكك والتشتت والانقسام، وأن لا شيء في الأفق –مع الأسف– يترك أملا كبيرا في تجاوز هذا الوضع.

وأضاف أنه يكفي النظر إلىٰ المشهد السياسي السائد ليتبين للملاحظ الموضوعي مدى "سكيزوفرينية" وضع اليساريين اليوم في تونس، مؤكدا أن هناك من اليسار من يتموقع داخل الحكومة، يعني يشترك في حكم البلاد مع نداء تونس والنهضة الإسلامية بالخصوص.

وأكّد صالح الزغيدي أن هناك من اليسار من يتموقع في صف المعارضة المطلقة والمتشددة إلىٰ جانب حلفاء النهضة السابقين في الترويكا من أمثال حزب المؤتمر بتسمياته المختلفة، وهناك من اليسار، وهو في صف الحكومة، من يشارك في نفس الوقت في تحالف انتخابي واسع مع أحزاب تؤكد انتماءها إلىٰ المعارضة وأخرى تنتمي بكل وضوح إلىٰ النظام السابق.

وشدّد الناشط اليساري التونسي علىٰ وجود شباب يساري يسعىٰ –وسط محاولات بعض الكبار للركوب علىٰ المسعىٰ– إلىٰ لمّ شمل ما يمكن لمّه لتحريك قاطرة اليسار من جديد، ليختم بقوله إن "علىٰ اليساريين أن يعوا أن عليهم في هذا الظرف الصعب جدا علىٰ البلاد والأكثر صعوبة علىٰ اليسار. الاهتمام قبل كل شيء بـ"البيت الداخلي" وإعادة بناء اليسار في جميع المستويات التنظيمية والفكرية والسياسية.

مبادرة حول اللغة العربية في تونس: مزايدة سياسية أم حرب ضدّ الفرانكفونية

❏ **تونس** – تتواصل التجاذبات السياسية في تونس حول الهوية رغم أن دستور الجمهورية الثانية المُصادق عليه منذ العام 2014 حسم في جل الخلافات والاختلافات الدائرة حولها بين مختلف أطراف الطيف السياسي.

الجدل الجديد سببه هذه المرة اللغة العربية. ففي خطوة برلمانية جديدة قدّمت الكتلة الديمقراطية (متكونة من نواب أحزاب المعارضة؛ التيار الديمقراطي وحراك تونس الإرادة وحركة الشعب) بمجلس نواب الشعب مبادرة تشريعية أمضىٰ عليها 12 نائبا تتكون من 18 بندا لترسيخ اللغة العربية وإلزام المؤسسات الحكومية والوزراء وموظفي الدولة بالتقيّد باللغة العربية في الخطابات والمراسلات الرسمية.

ويحذّر الكثير من الملاحظين من أن تكون هذه المبادرة قد وُلدت فقط لمحاربة الفرانكفونية خصوصا أن اللغة الفرنسية دخلت في الموروث الشعبي التونسي بانتشارها علىٰ نطاق واسع في البلاد، واعتمادها كلغة ثانية منذ استقلال تونس عن المستعمر الفرنسي في العام 1956.

ووصّف مراقبون في تونس توقيت طرح هذه المبادرة التشريعية تزامنا مع زيارة الرئيس الفرنسي إيمانوال ماكرون لتونس يومي 31 يناير و1 فبراير ومع تقديم الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي أو رئيس الحكومة يوسف الشاهد مداخلات باللغة الفرنسية، بالمزايدات والترف السياسي.

وحثّ الرئيس الفرنسي خلال زيارته إلىٰ تونس، الأربعاء الماضي، علىٰ تطوير الفرانكفونية لتعزيز فرص تشغيل الشباب، كاشفا أن مشروع إحياء الفرانكفونية في شمال أفريقيا سيكون إحدى الخطط المعلنة ضمن السياسة الخارجية للإليزيه وأنه يجري التحضير لقمة الفرانكفونية المرتقبة بتونس عام 2020.

وقال غازي الشواشي، النائب عن الكتلة الديمقراطية بالبرلمان والأمين العام لحزب التيار الديمقراطي أحد أهم أحزاب المعارضة، لـ"العرب" إن المبادرة التي تم تقديمها إلىٰ البرلمان تهدف إلىٰ تعزيز اللغة العربية ودعمها وتعميم استخدامها، مستغربا من إقدام رأسي السلطة التنفيذية في البلاد (رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة) علىٰ التحدّث باللغة الفرنسية خلال زيارة الرئيس الفرنسي إلىٰ تونس.

وأكّد أن من بين أهداف هذه المبادرة قطع الطريق أمام غزو الفرانكفونية للفضاءات والمؤسسات الحكومية التونسية أو المؤسسات الإعلامية الإذاعية والتلفزيونية، مستغربا من اتهام أصحاب المبادرة بالمزايدات السياسية، قائلا "نذكر الجميع بأن بورقيبة أحد أهم الفرانكفونيين في تونس كان قد منع في عهده التحدّث بأي لغة في المنابر الإعلامية بخلاف اللغة العربية".

وكشف الشواشي أن من بين بنود المبادرة التشريعية فصل ينصّ علىٰ تسليط خطايا مالية تتراوح بين 1000 دينار و5000 دينار لكل مخالف لاستعمال غير اللغة العربية الفصحىٰ.

وتثير المبادرة التشريعية المذكورة مرّة أخرى جدلا حول إمكانية تعارضها مع حرّية التعبير. ويرى مراقبون أنه لا يمكن إلزام أي متدخل أو إعلامي أو ضيف علىٰ التحدّث باللغة العربية الفصحىٰ خصوصا أن البعض لا يستطيع التعبير عن مواقفه إلا بلغات أخرى كالفرنسية والإنكليزية أو باستعمال مصطلحات من العامية التونسية.

وقال الشواشي إن المبادرة لا تتعارض في محتواها مع حرية التعبير وإن مقصدها الوحيد هو الارتقاء بالجميع إلىٰ التحدث بلغة عربية مهذّبة، مؤكّدا أنه من غير المعقول علىٰ تونس بعد ستين سنة من الاستقلال أن تستعمل في مراسلاتها الرسمية اللغة الفرنسية عوضا عن العربية.

> من بين بنود المبادرة التشريعية فصل ينص على تسليط خطايا مالية لكل مخالف لاستعمال غير اللغة العربية الفصحى

وأقرّ النوري اللجمي، رئيس الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي البصري في تونس، لـ"العرب" بسقوط بعض وسائل الإعلام في تسويق لغة مختلطة غير محبّذة ولا ترتقي بالذوق العام، محذّرا في الوقت نفسه من مغبّة أن يكون للمبادرة طابع إلزامي قد يضيّق علىٰ الحريات.

وقال اللجمي إن الهيئة العليا المستقلّة للانتخابات ستتابع هذه المبادرة التشريعية خاصة أنها تطرّقت في بعض فصولها لوسائل الإعلام السمعية البصرية.

وتحدث شكري المبخوت الكاتب التونسي ورئيس جامعة منوبة عن هذا الطرح مشيرا في تصريح لـ"العرب" إلىٰ أن استعمالات اللغة العربية في تونس تحتّم ضرورة تقنينها خصوصا أنّ العديد من الفضاءات كوسائل الإعلام البصرية السمعية تستخدم في جلّها لغة هجينة مختلطة بين العربية الفصحىٰ والعامية ومصطلحات فرنسية أو إنكليزية.

لكنه حذّر من أن تكون لهذه المبادرة التشريعية مقاصد سياسيوية من قبل بعض الأطراف العروبية أو الإسلاموية هدفها الوحيد المزايدة وليس الغيرة علىٰ اللغة العربية.

قال المبخوت "أرجو ألاّ يكون طرح هذا الجدل في البرلمان مبنيا فقط علىٰ فكرة محاربة الفرانكفونية أو كرد علىٰ زيارة الرئيس الفرنسي ماكرون أو للمزايدة علىٰ خطابات بعض السياسيين الناطقة بالفرنسية، مشيرا إلىٰ أن اللغة الفرنسية علىٰ وجه الخصوص هي بمثابة "غنيمة حرب" غنمها التونسيون من فترة الاستعمار وهي شرط ضروري للاتصال والتواصل".

وعلىٰ عكس ما تطرحه المبادرة التشريعية في أحد بنودها حول اللهجة العامية التونسية، قال المبخوت لا يمكن فصل العامية التونسية عن اللغة العربية فهي شكل من أشكالها ولا بدّ من العمل فقط علىٰ تهذيبها لأنها تمثّل أيضا موروثا وطنيا لا بد من المحافظة عليه.

نسيب لحّود... الغياب والحضور

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ بعد ست سنوات على غياب نسيب لحود، يفتقده لبنان أكثر فأكثر. قليلون الرجال الذين كلّما طال غيابهم زاد حضورهم وزادت الحاجة إليهم، خصوصا في ظلّ الفراغ الأخلاقي الذي يعاني منه لبنان. يفتقد رئيسا كان يستطيع نقل البلد من مكان إلى آخر وأن يعيد إلى لبنان أكثر ما هو في حاجة إليه، أي إلى الاتزان والتوازن، فضلا عن الشفافية في طبيعة الحال. كانت أهمّية نسيب لحود تكمن في أنّه كان قادرا على أن يكون الرئيس القدوة الذي لا يفرّق بين لبناني وآخر، الرئيس القادر على أن يكون فوق السياسات الصغيرة والسياسيين الصغار الذين يستطيعون الوصول إلى مجلس النوّاب بفضل الغرائز المذهبية وما شابهها من صغائر بقي نسيب لحّود فوقها.

كان يؤخذ على نسيب لحّود أنّه نخبوي. هذا صحيح إلى حدّ كبير. كان نخبويا في قدرته على تأسيس حزب ليس فيه سوى الأوادم من الطوائف والمذاهب والمناطق اللبنانية. كان فيه السنّي والشيعي والمسيحي والدرزي. كان فيه الغني والفقير والمتوسّط الحال. فـ"حركة التجدد الديمقراطي" ما زالت تضمّ أولئك القادرون على الانتماء إلى مجموعة مسالمة ترفض السلاح. هؤلاء الخارقون للطوائف يشكّلون قلة في لبنان، حتّى بين شباب لبنان، لكنّهم كانوا القدوة في كلّ مجال من المجالات. كانوا قدوة في التفوق وضرب المثل في الشجاعة، شجاعة تحدّي وضع بائس فرضته أحزاب طائفية تتاجر بالناس وبكلّ ما يمتّ إلى الأخلاق والقيم بصلة.

كان ممنوعا على نسيب لحود أن يصبح رئيسا للجمهورية في لبنان في عصر ما بعد قيام الميليشيات وما بعد سقوط المتن في حال الشعبوية البائسة التي توصل إلى مجلس النواب أشخاصا لا يستأهل معظمهم أن يكونوا حجابا لدى نسيب لحود.

> كان نسيب لحود ضرورة أقله من أجل إعادة عجلة البناء والأعمار التي توقفت يوم اغتيال رفيق الحريري ومن أجل أن يكون في قصر بعبدا شخص يمكن الاقتداء به على كل الصعد

لم يعد مسموحا للبنان سوى أن يأتي برؤساء يقبلون سلفا الشروط التي وضعت لهم. كان نسيب لحّود من طينة أخرى. لم يكن يستطيع قبول أن يكون سوى نسيب لحود، أي السياسي المستقل النظيف الكفء والمهندس الناجح الذي أسس شركة مقاولات تهتم بالكهرباء استطاعت أن تعمل في أنحاء مختلفة من العالم العربي.

حقّقت شركة نسيب لحّود نجاحا كبيرا. نفّذت مشاريع محطات كهربائية في لبنان خلال مرحلة معيّنة. ولكن في اليوم الذي أصبح فيه نسيب لحّود نائبا، مطلع تسعينات القرن الماضي بعد تولي موقع السفير في واشنطن لفترة قصيرة، اتخذ قراره الواضح القاضي بالامتناع عن العمل في البلد. صار ممنوعا على شركته أخذ أي التزام في لبنان حتّى لا يقال عنه إنّه خلط بين الأعمال والمقاولات... والسياسة.

انتمى نسيب لحّود إلى فئة مختلفة من السياسيين اللبنانيين الكبار الذين يستأهلون لقب رجل الدولة. كان من بين الذين ظلموا على الصعيد الشخصي، لا لشيء سوى لأنهم لم يتمكنوا من خدمة وطنهم كما يجب. كم هو مصيب من قال إن نسيب لحود كان "الرئيس الحلم". لم يكن اللبنانيون يستأهلون أن يكون نسيب لحّود رئيسا للجمهورية. كل ما في الأمر أنهم خذلوه. خذلوه لأنه لم يكن مستعدا للنزول إلى مستوى المزايدات المذهبية والطائفية الصغيرة. رفض بكلّ بساطة أن يعد الناخبين بما لا يستطيع أن يوفّره لهم. رفض الكذب. خذله اللبنانيون في المتن، بل عاقبوه، نظرا إلى أنّه كان سيرفع من مستوى الجمهورية ومن مستوى العمل السياسي في لبنان بعيدا عن كلّ ما له علاقة بالسمسرات والمحسوبية والكلام الرخيص والبذيء.

من بين المشاكل التي يعاني منها اللبنانيون أنه ليس مسموحا لهم حتّى بأن يحلموا. أن يحلموا بنائب مستقل فعلا وبرئيس للجمهورية ليس مدينا لأحد بشيء، رئيس للجمهورية يعرف تماما ماذا يدور في البلد وما هي تركيبته ويعرف خصوصا ماذا يدور في الإقليم والعالم.

يظلّ نسيب لحود من السياسيين اللبنانيين القلائل الذين ينتمون إلى تلك النخبة العالمية التي يستطيع رجالها إلقاء خطاب قيّم في الأمم المتحدة أو إجراء محادثات مع رئيس أميركا أو رئيس روسيا أو رئيس فرنسا أو مستشارة ألمانيا أو مع مسؤولين عرب لامعين على تماس مع كلّ ما هو حضاري في العالم.

كان نسيب يطرح الأسئلة. كان يعرف أنّه لا يعرف كلّ شيء. كان لديه تواضع الواثق من نفسه والقادر على استيعاب القضايا المعقّدة. أهمّ ما في الأمر أنّه كان يعرف من هو الشخص المختص الذي يستطيع أن يستفهم منه عن أمر أو موضوع ما. كان في ذلك يشبه إلى حدّ كبير رفيق الحريري الذي لم يكن يستحي من قول عبارة: لا أعرف. كان يقولها من أجل أن يعرف أكثر.

غيّب الموت نسيب لحود باكرا. كانت أمامه سنوات عدّة كان قادرا خلالها أن يخدم لبنان من أيّ موقع يشغله، حتّى من خارج المجلس النيابي حيث يشهد له خصومه قبل مؤيديه ومحبّيه بأنّه كان أفضل من فنّد البيانات الوزارية ومشاريع القوانين المطروحة على النقاش بلغة الأرقام وأسلوب عملي وعلمي.

> لا مكان في لبنان للرجال الذين يرفضون أن يكونوا تابعين لأي جهة خارجية ولا مكان فيه لسياسيين عابرين للطوائف يؤمنون بالعدالة الاجتماعية والمشاريع الكبيرة

قدر لبنان أن يُظلم مثلما ظُلم نسيب لحّود. لا مكان في لبنان للرجال الذين يرفضون أن يكونوا تابعين لأيّ جهة خارجية ولا مكان فيه لسياسيين عابرين للطوائف يؤمنون بالعدالة الاجتماعية والمشاريع الكبيرة. لذلك لم يستطع ريمون ادّه أن يكون رئيسا للجمهورية. كان ريمون ادّه أكبر من رئاسة الجمهورية التي رفضها عندما عرضت عليه لأنّه لا يمكن لابن اميل ادّه أن يكون رهينة عند أحد، لا داخل لبنان ولا خارجه.

في تاريخ لبنان الحديث رؤساء للجمهورية استطاعوا ممارسة فعل البناء. كم كان كميل شمعون، على الرغم من الأخطاء السياسية التي ارتكبها، رجلا عظيما بما نفّذه من مشاريع على كلّ المستويات. من مشروع الليطاني إلى مهرجانات بعلبك. كم هي مسكينة بعلبك بعد كلّ الذي أصابها وكم هو حزين الليطاني بعد كلّ ما حلّ بمجراه...

إذا كان من إدارة لبنانية، صمدت، فهذه الإدارة بنيت في عهد فؤاد شهاب الذي حاول نقل لبنان من مكان إلى آخر عبر بناء إدارة لدولة حديثة مستعينا بأفضل الخبراء اللبنانيين والفرنسيين. كان هاجس تنمية كلّ المناطق اللبنانية حاضرا عند فؤاد شهاب. كان نسيب لحّود يجمع بين أفضل ما في شخصيتي كميل شمعون وفؤاد شهاب في آن.

كان نسيب لحود ضرورة، أقلّه من أجل إعادة عجلة البناء والإعمار التي توقفت يوم اغتيال رفيق الحريري ومن أجل أن يكون في قصر بعبدا شخص يمكن الاقتداء به على كلّ الصعد. لكن ما العمل عندما يكون لبنان مشلولا وعندما لا يعود فيه مكان للناجحين والمتزنين... وعندما يخذل أهل المتن نسيب لحود وهم لا يعرفون أو يدركون أنّهم خذلوا أنفسهم أوّلا.

أمثال نسيب لحود من الخارقين للطوائف قليلون في لبنان

نسيب لحّود باق في ذاكرة كلّ لبناني كان يحلم بوطن بدأ يعود إلى الحياة مع عودة الحركة إلى بيروت أيّام رفيق الحريري. فإذا بهذا المواطن يجد نفسه يدور في حلقة مغلقة. تجعل هذه الحلقة كلّ مواطن، حريص على مستقبل أولاده ويرفض أن يكون عبدا لدى زعيم طائفته، يسعى إلى الفرار من سفينة تغرق اسمها لبنان...

عن البرلمان العراقي المسلح الجديد

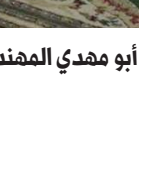

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ ليست الحرب التي راح يشنها معسكر المجاهدين (المؤمنين) في العراق ضد العلمانيين الملحدين هي التي تُضحك وتبكي، ولكنّ حرارة حماس شرائح واسعة ومهمة من العراقيين لتأييد هذا، وحرارة حماس شرائح أخرى لتأييد ذاك، هما الأدعى للشفقة والحزن والاندهاش، وذلك لأن المسألة لا تحتاج إلى ذكاء بيل غيتس لمعرفة النتيجة المحسومة، سلفا، للانتخابات العراقية المقبلة، والتي كانت محسومة في كل ما سبقها من انتخابات.

ولية أمر المؤمنين من المرشحين توصيهم بأن يتخاصموا ويختلفوا ويتشاتموا، فقط لإظهار ديمقراطيتهم، ولكنها لا تسمح لأي مجاهد من أولادها المؤتمنين أن يعض أخاه المجاهد الآخر، ولا لغريب من خارجهم بأن يستنفع من معاركهم تلك.

حتى لو تحالف الملحدون من سنّة السفارة الإيرانية في بغداد، وشيعتها وأكرادها، مع أحد قطبي حزب الدعوة، نوري المالكي وحيدر العبادي، طمعا في أن ينالوا شيئا من بركات سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وقائد الحشد قاسم سليماني.

عمليا وواقعيا لا توجد قوة عراقية أو عربية أو دولية ستقدر على منع هادي العامري وقيس الخزعلي وأبي مهدي المهندس، أو وكلائهم، من الدخول إلى قبة البرلمان القادم برفقة جنود الحماية وضباطها وهم مدججون بالسلاح، أشداء على الكفار رحماء بينهم، رضي من رضي، وأبى من أبى.

المقرر النافذ أن يكون البرلمان القادم مسلحا من رأسه لأخمص قدميه، ليكون في خدمة دولة المهدي المنتظر، وأن يكون تحالف ميليشيا بدر والعصائب والنجباء وكتائب حزب الله وسرايا الخراساني وكتائب سيد الشهداء وكتائب الإمام علي وفصائل أخرى، قائده الأعلى، ومنه سيخرج رئيس وزراء العراق القادم، ويظهر أن هادي العامري الأقرب والأقوى والأقدر على حصاد الأغلبية من أصوات النواب المؤيدين والمباركين له رئاستَه وعهده الأمين.

أطراف عراقية وعربية ودولية عديدة تؤكد أن ميليشيات الحشد الشعبي تمنع المهجَّرين السنة والأكراد من العودة إلى ديارهم بإصرار يضرب عرض الحائط بقرارات البرلمان وقيادة العمليات المشتركة والقائد العام للقوات المسلحة؛ وعليه فهي التي ستكون صاحبة القرار في السماح لناخبين، وعدم السماح لناخبين آخرين، بالمشاركة في التصويت. بعبارة أخرى هي التي ستحدد من يفوز ممن يضع نفسه تحت تصرفها من المرشحين السنة والأكراد، ومن لا يفوز.

من متابعة الشريط الطويل من الوقائع على الأرض يثبت بالوجه الشرعي المؤكد أن جميع معارك المصير الانتخابية العراقية هي معارك بين سفارات شقيقة وصديقة، ومساجد وحسينيات ومصارف وشركات أجنبية، كبرى وصغرى، تدور على الأرض العراقية، ويديرها نيابة عنها مرتزقون في غاية الإخلاص والوفاء لأولياء نعَمهم الذين أطعموهم من جوع وآمنوهم من خوف، حتى وهم يعلمون بأن أصغر عراقي عارف حكايتهم كاملة ومتأكد من أنهم ليسوا أكثر من مستأجَرين لتمثيل هذه المسرحية الهزلية الممجوجة بثياب قادة وزعماء، وماهم بقادة ولا زعماء.

ويتفلسَف أصحابُ الأحزاب والائتلافات والتحالفات والميليشيات الإسلامية المندوبون عن المرجعية والسفارات والمخابرات والشركات الأجنبية، فينصحون المواطن بضرورة المشاركة في الانتخاب بكثافة لإنقاذ الوطن والمواطن من حالة الاحتراب والخراب، ويطالبونه بأن يصوّت، فقط، للأصلح والأنسب والأنظف، وليس الفاسد الذي ثبت فسادُه في سنوات الحكم الماضية.

ترى كم من صالح وشريف ونزيه ووطني بين المئات من المرشحين الذين تداولوا على الرئاسة والوزارة والبرلمان من العام 2003، ويتداولونها اليوم، وسوف يتداولونها غدا؟

وكم منهم مَن ينفق على دعاياته، وعلى ولائمه الجماهيرية الواسعة الباذخة، من حرّ ماله؟ هل هم ثلاثة أم عشرة أم عشرون، في مهب رياح الكتل والتحالفات والائتلافات السمينة؟

من الآن صار في الإمكان أن نتكهن بشكل البرلمان القادم، ورجاله البارزين الذين سيلصقون على شاشات الفضائيات والصحف والمواقع أربع سنوات عجافا جديدة قد تكون أسوأ سنوات هذا الوطن الحزين.

> صار في الإمكان أن نتكهن بشكل البرلمان القادم ورجاله البارزين الذين سيلصقون على شاشات الفضائيات والصحف والمواقع أربع سنوات عجافا جديدة قد تكون أسوأ سنوات هذا الوطن الحزين

ستُسمع قعقعات السلاح في مطاعم البرلمان، وربما تحت قبته أيضا، وستمتلئ ساحاته بالمصفحات والمدرعات التي يمتطيها جنود الحمايات وضباطها، وستغلق الشوارع والمداخل حتى وهو في قلب المنطقة الخضراء الحصينة، وقد يقف على مداخله الرئيسة مسلحون يفتشون الكبير والصغير من الداخلين، حتى لو كان رئيس جمهورية، خوفا على سلامة المجاهدين من كيد خائن أو عميل.

وسوف تحتفي مواقع التواصل الإجتماعي بوجوه المثرثرين الديمقراطيين المُملين عن دكتاتورية الأحزاب الإيرانية، وعن فساد الفاسدين.

أبو مهدي المهندس.. قريبا الخطبة من تحت قبة البرلمان

كيف يمكن للأدب والفن المكبلين مواجهة التطرف

مؤتمر مكتبة الإسكندرية: الخيط رفيع جدا بين التفكير والتكفير

حذام خريف
كاتبة تونسية

عراقيل كثيرة على الطريق نحو التنوير ومحاربة الظلامية

❑ **الإسكندرية (مصر)** – فلأقف هنا، ولأرى الطبيعة مليا
شاطئ بحر رائع، أزرق أصفر، في صباح سماؤه صافية
كل شيء جميل مفعم بالضياء
فلأقف هنا، ولأخدع نفسي بأني أرى هذه حقا.

هكذا بدت الإسكندرية في عيني شاعرها كفافيس (1863–1933) قبل سنوات كثيرة، وهكذا تبدو الإسكندرية اليوم لزائرها، مدينة جميلة مفعمة بالضياء والحياة، لكنه ضياء باهت وحياة تخفي وراء حيويتها الكثير من الوهن والعشوائية وسحابة مظلمة من التشدد حلت محل إشراقة التسامح.

كانت الإسكندرية مدينة متعددة الأجناس والألوان، لكن بدأت الصورة تتلاشى مع تطور حركات الإسلام السياسي ونشأة الجماعات السلفية والمتشددة والتي جاء الربيع العربي ليخرجها إلى السطح.

تلك الصورة عن مدينة التسامح والتنوع لم تعد تصلح إلا للعرض في المتاحف والحديث عنها بحنين في المؤتمرات والملتقيات كما كان الحال خلال فعاليات المؤتمر السنوي لمكتبة الإسكندرية حول التشدد والإرهاب، الذي عقد دورته الرابعة مؤخرا وكان محورها "الأدب والفن في مواجهة التطرف" بمشاركة أكثر من 400 مثقف وباحث وإعلامي.

كانت جلسات المؤتمر موفقة من حيث الطرح والحديث عن أسباب التطرف في المجتمعات المسلمة، كما كان موفقا من حيث الافتتاح الذي اختير له أن يكون عبر افتتاح معرض "المشترك... العرب وأوروبا"، وليس هناك نموذج أدل من الإسكندرية للحديث عن هذا المشترك.

مع ذلك، يبقى كل الكلام الذي قيل خلال الندوات والأحاديث الجانبية حديثا نظريا وتحليلا "نخبويا" لمظاهر الأزمة بمختلف زواياها. الواقع مختلف، وما شهدته الإسكندرية من تصعيد في خطاب التشدد والعنف، شهدته مدن ودول عربية أخرى كثيرة في العراق كما في تونس وغيرهما؛ بل إن مصطلح التسامح والتعايش بات يحتاج إلى تعريف جديد لأن الآخر لم يعد ذلك المختلف طائفيا أو دينيا أو هوياتيا. الآخر، اليوم، أصبح ذلك الذي يشاركنا الهوية والدين والطائفة أيضا.

مجتمعات نمطية

ساهمت سياسات الأنظمة في خلق أرضية قامت هذه الجماعات بتطويعها، من ذلك سياسة التأميم وتمكين الإسلاميين التي دفعت العديد من الجاليات اليونانية والإيطالية والأرمن وغيرها إلى مغادرة البلاد.

التنوع المجتمعي اختفى. غادر "الأجانب" وحدثت موجات نزوح كبيرة من الريف إلى المدينة وظهرت العشوائيات وتغيرت تركيبة المجتمع في مساع لإخضاعه لفكرة "إسلامية المجتمعات" التي روج لها سيد قطب (1906–1966) وأمثاله من منظري جماعة الإخوان والجماعات السلفية والمتشددة التي بدأت تؤسس لحضورها من قبل الربيع العربي بسنوات كثيرة.

بتصاعد خطاب تلك الجماعات، وفقدان المجتمعات العربية الليونة التي تكتسبها من التنوع والانفتاح، وصلنا إلى ما نحن عليه اليوم من فوضى وتكفير وتطرف.

اليوم، مثلا في تونس، والتي كانت أيضا نموذجا لثقافة التسامح والتعايش، بتنا نحتاج إلى تسامح بين التونسي المسلم والتونسي المسلم، بعد أن تحولت منابر المساجد إلى مراكز إفتاء وتحريض.

قد يكون الوضع مختلفا عن تونس في الإسكندرية أو القاهرة، كما في مدن عربية أخرى حيث التركيبة المجتمعية مازالت قائمة على الثنائية الدينية؛ الإسلام والمسيحية، بل إن الخطر في تلك المجتمعات أشد لأن التهديد مزدوج حيث التطرف ضد الآخر المسيحي والآخر المسلم.

الحديث الشاعري عن التسامح يصبح مجرد خيال كتاب ومبدعين وذكريات نستحضرها خلال اللقاءات والمراجعات المتعلقة بسبل مواجهة التطرف والإرهاب، في حين أن الطرف الآخر ينكب على بناء أجيال من المفخخين فكريا والرافضين لكل من هو مختلف، مقتنعين بفكرة أن "هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم" (سيد قطب).

الموضوع الذي جمع ثلة من المثقفين والمبدعين والإعلاميين والمسؤولين في مكتبة الإسكندرية، وهو موضوع الإرهاب والتطرف، مازالت ماهيته وكيفية مواجهته تخضع لجدال عقيم لم يتجاوز مرحلة الطرح الفئوي النظري وسيبقى عقيما طالما بقي محصورا بدائرة التاريخ، وطالما بقي الحديث عن تجديد الخطاب الديني حديثا مناسباتيا سياسيا لا نستحضره إلا عند حدوث عملية إرهابية، وطالما يعلموننا في المدارس السيرة النبوية لابن هشام كما وصلتنا منذ قرون دون توضيح الأسباب السياسة التي دفعت إلى ظهور هذه السيرة، بما يلغي عنها تلك "القدسية" التراثية ويحولنا من أهل نقل إلى أهل عقل، والأمر ذاته مع الكثير من النصوص والتفاصيل والأحداث التاريخية المروية عن فلان عن فلان عن... فلان.

سيبقى موضوع مواجهة التطرف والإرهاب قائما ما دمنا لم نعرف حل إشكالية الجذور التي بنيت عليها الثقافة العربية، بما يجعلنا ضحايا لعمليات تضليل فكري وثقافي، ويجعل الخيط رفيعا جدا بين التفكير والتكفير. ومن السهل أن تتغلب الحالة الثانية على الحالة الأولى، لأن الأرضية مهيأة لها أكثر حيث المجتمعات متخلفة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، وحيث تتغلغل التيارات الأصولية والسلفية.

كان أبرز سؤال يوجه إليك عندما تعرف نفسك بأنك تونسي هو كيف لتونس بلد بورقيبة أن تتصدّر قائمة الدول المصدرة للإرهابيين؟ لكن، عند تحليل الأدوات الناعمة التي ساعدت على نشر ثقافة التطرف والعنف يصبح الأمر سيان في مصر أو تونس أو في مجتمع آخر، أو حتى بخصوص المسلمين في المجتمعات الغربية.

دور الفنون والثقافة

اتفق المشاركون والحاضرون في المؤتمر على ما قاله مصطفى الفقي، مدير مكتبة الإسكندرية، بشأن أهمية الأدب والفن في صناعة الحياة واستمرارها، أما التطرف فهو أداة لتدمير الحياة.

وكان من بين الأطروحات الرئيسية التي تحدثوا في شأنها دور الدولة في نشر الثقافة والفنون وذلك عبر دعم ميزانية وزارة الثقافة وإنشاء المسارح ودور السينما. وكان حاضرا بقوة النموذج السعودي في هذا الحديث. وقارن الكثيرون بين سعي المملكة العربية السعودية لبناء أكثر من 300 دار سينما بحلول عام 2030، وبين دول مثل مصر، مركز صناعة السينما في العالم العربي، حيث تراجع عدد القاعات إلى أقل من 80 قاعة.

لكن، إلى أي مدى يمكن للدولة أن تساهم في الاستصلاح الثقافي وهي ترزح تحت وطأة البيروقراطية وأزمات اقتصادية، وسياساتها تقوم على علاقة مد وجزر مع الإسلاميين والسلفيين؟ والأهم، إلى أي مدى يمكن أن يساهم الأدب والفن في توعية الشباب؟ وماذا ستقدم قاعات السينما في هذا الصدد إذا كانت هناك صعوبة في تناول الموضوع الديني، وسيف الرقابة مسلط على المفكرين والمبدعين؟

> موضوع مواجهة التطرف والإرهاب سيبقى قائما ما دمنا لم نعرف حل إشكالية الجذور التي بنيت عليها الثقافة العربية، بما يجعلنا ضحايا لعمليات تضليل فكري وثقافي، ويجعل الخيط رفيعا جدا بين التفكير والتكفير

وتبدو مكتبة الإسكندرية، بدورها، جادة فيما يتعلق بفتح مختلف الأبواب التي من شأنها أن تحصن الأجيال الناشئة والشباب من الأفكار المتشددة. وأعلنت المكتبة في هذا السياق أن عام 2018 هو عام الجدية في مواجهة التطرف، حيث ستوجه طاقاتها للشباب والفئات العمرية الأصغر، وستعمل على التواصل مع المؤسسات الدينية بهدف تنظيم زيارات مكثفة وبرامج خاصة لهم في المكتبة، بهدف تقديم برنامج ثقافي مدروس فكريا تنويريا، يواجه آفة التطرف، ونشر ثقافة التسامح والمواطنة وقبول الآخر في المجتمع لمواجهة ثقافة الفكر المظلم والمتطرف.

من الضروري إطلاق مثل هذه المبادرات وتشجيعها، لكن هل يمكن أن تنجح في مسعاها دون توفير أرضية ملائمة. قبل أن نتحدث عن الاستصلاح الثقافي وحتى ننجح في مقاومة الفكرة بالفكرة، ونضرب التراث بالتراث، علينا أن نتخلص من المكبّلات، مثلا عند الحديث عن الأدب والفكر والسينما والدراما والفنون كوسيلة لمواجهة الفكر المتشدد، نلمح فارقا كبيرا بين الواقع والطرح.

تجربتنا مع الأفلام والدراما الدينية أو التاريخية الإسلامية يشوبها الكثير من التقصير، وهي تعد على الأصابع. قد يبرر البعض غياب مثل هذه الأعمال بقدسية الشخصيات الدينية التي تحرّم المراجع الإسلامية تشخيصها، أو بعدم جماهيرية مثل هذه الأعمال، لكنها تبريرات ضعيفة.

الحجة الأولى يمكن أن يتجاوزها المخرج نسبيًا، حيث يلعب الذكاء الإخراجي دوره في مثل هذا النمط من الأعمال، كما أن البقاء في دائرة الخوف من الرقابة الدينية ومن قوانين عدم المس بالرموز الدينية سيجعل من الحديث عن الفن في مواجهة التطرف مجرد لغط.

أما الحديث عن أن هذه الأعمال لا تلقى رواجا شعبيا فهو مبرر لا طائل منه وليس أدل على ذلك من الإقبال الذي شهده فيلم "مولانا" الذي شكل حدث السنة الماضية، كما يكشف وهن الحجة الجدل الدائر اليوم بتونس خصوصا على صفحات التواصل الاجتماعي بسبب ما يتعرض له المفكر يوسف الصديق من دعوات تكفير وتحريض على قتله.

يؤكد حجم التأييد والتعاطف مع الصديق، كما مع إسلام البحيري وفاطمة ناعوت وغيرهما ممن تعرضوا للتكفير أو الحبس بسبب تدوينة أو قراءة مختلفة للتراث الإسلامي، أن هناك دعما لأفكاره وأن هناك تقبلا كلما قوي دفع المتشددين إلى أقصى درجات العنف وفي ذلك تأكيد على قلقهم وخوفهم.

الفنون البصرية؛ سينما وتلفزيون وبرامج وثائقية... أداة ناعمة هامة يمكن استغلالها في مواجهة الفكرة بالفكرة. ولو يقع توظيفها توظيفا حسنا ويُهتمّ بها يمكن أن تثري الساحة الدرامية العربية وتساهم في تقديم نوع جديد من الأعمال التي تجذب المشاهدين، وتعرض صورة عن التاريخ الإسلامي مختلفة عن الشكل الذي حفظناه عن ظهر قلب في أفلام الرسالة والشيماء وفجر الإسلام والناصر صلاح الدين وغيرها من الأعمال التي تعرض في كل مناسبة دينية وفي جميع القنوات العربية منذ سنين طويلة.

ولكن أحيانا ربّ ضارة نافعة، فبالنظر إلى أغلبية الأعمال التي قدّمت في السابق، قد يكون غياب الدراما التاريخية ذات البعد الديني في هذه الفترة الزمنية، أفضل لأنها لا تختلف في عرضها عن خطابات التطرف، وإن لم يكن ذلك مقصودا، فمشاهد الدماء والرؤوس المتطايرة تقدم التاريخ الإسلامي بصور خاطئة يراها الآخر الغربي بعيونه ويفسّرها وفق خلفيته عن المسلمين والإسلام، فترسخ الإسلاموفوبيا، ومناظر السيوف والدماء والخيول والبطولات في ساحات الوغى لا تختلف عمّا يبني عليه المتشددون حجتهم.

من المؤكد أن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص والحجاج والقعقاع وغيرهم من الشخصيات التاريخية الذين تم تحويل سيرهم إلى أعمال درامية، جزء مهم ومضيء من التاريخ الإسلامي، لكن حين يسرف العمل الفني في المثالية، فإنه يتحول إلى هرطقات لا طائل منها، وتلك المثالية هي التي تتيح الفرصة لأمثال دعاة تكفير الصديق وغيره.

كان "إثم" يوسف الصديق، وهو باحث أنثروبولوجي يهتم بالبحث في القرآن من منظور فلسفي معاصر، وفق أحد المشايخ، الذي وسمه بـ"الزنديق" وحلل قتله، أنه قال "نحن لم نقرأ القرآن... منذ 14 قرنا نتلوه فقط". وإن "المصحف هو عمل سياسي بشري، قام بجمعه عثمان بن عفان"، مستشهدا بقول ابن كثير "كنا نقرأ سورة الفيل وسورة قريش سورة واحدة، حتى جاء عثمان فأراد أن يجعل سورة باسم قريش ففرقهما".

أمر طبيعي أن يثير مثل هذا الحديث الدهشة والجدل بين عموم المتقبلين ويجعل الحديث المضاد له أكثر تقبلا بسبب تغييب ثقافة العقل مقابل انتشار قاتل لثقافة النقل وبسبب غياب ثقافة التسامح مقابل تكريس ثقافة الشمولية الإسلامية المرسخة لفكرة عدم الاختلاف وحصر الهوية في شكل مضيق.

مسار التطرف يبدأ بالتعصب الفكري الذي يلتقي مع الشعور بالتهميش وازدواجية مرضية سببها صراع داخلي بين الخطوط الحمراء التي فرضت على الشخص وبين رغباته وبين بحث مضن عن أجوبة لأسئلة كثيرة.

هنا، يأتي خطاب التطرف ليقدم إجابة عن تلك الأسئلة، وفي ظل غياب طرف آخر يقدم إجابات مختلفة يصبح الاستقطاب سهلا.

مسار معقد

مكافحة التطرف مسار طويل ومعقد، ويبدو من العسير الحديث عن دور فاعل للثقافة والأدب دون توفير سبل عمل هذه الأدوات الناعمة وأيضا دون مراعاة الاختلافات بين مجتمع وآخر، وأيضا في ظل السياسة الخاطئة في التعامل مع هذا "العدو"، فالحرب العسكرية والأمنية ليست سوى نقطة في الفصل الأخير من المواجهة، وهي في هذا السياق معركة سياسية بين الدولة/النظام وأطراف تسعى لتحل محلهما.

أما المعركة الحقيقة فهي معركة "أرض-أرض"، تحتاج استصلاحا ثقافيا وسياسيا واجتماعيا ومقاربة وقائية طويلة المدى، تكون فيها الثقافة أداة من بين أدوات كثيرة أخرى.

يأتي على رأس قائمة هذه الأدوات تحسين العلاقة بين الدولة والمجتمع، وهي أس الحرب على التطرف والإرهاب بكل أشكاله. ففقدان المواطن للثقة في الدولة والتوتر المزمن في العلاقة بينهما بسبب السياسات الإقصائية والجهوية والتهميش وغياب العدالة الاجتماعية وانتشار الفساد والمحسوبية وتداعيات ذلك على الاقتصاد والتنمية ينتهي بجعل الشباب الهش، على مختلف الأصعدة، صيدا سهلا للمجموعات المتطرفة التي تترصد تلك الهشاشة والعقد وتوظفها لاستقطاب المجندين الباحثين عن "المدينة الفاضلة".

ماذا ستقدم قاعات السينما إذا كانت هناك صعوبة في تناول الموضوع الديني وسيف الرقابة الدينية والمجتمعية والسياسية مسلط على المفكرين والمبدعين.

ثقافة الإستخبارات البريطانية تتأسس على قاعدة الدعاية الكاذبة

إم آي 6 وظفت استراتيجية إثارة الرأي العام للإطاحة بعبدالناصر

سياسة هجومية من دون سقف

فجر عميل سابق في الاستخبارات الخارجية البريطانية إم آي 6 "فضيحة" تدخل روسيا في الانتخابات الرئاسية الأميركية، واتهم الرئيس الأميركي دونالد ترامب هذه الادعاءات بـ"الأخبار الكاذبة"، لكن ما لا يعرفه كثيرون أن الاستخبارات البريطانية نفسها، بقسميها الخارجي والداخلي، نشأت على أسس من "الأخبار الكاذبة".

❑ **لندن** – أثناء التحقيقات الجارية حول تورط روسيا في الحملة الانتخابية للرئيس دونالد ترامب، كسب "ملف ترامب" الشرعية في أذهان الكثيرين عندما أظهرت التقارير بأن الوثيقة جمّعها عميل سابق في وكالة إم آي 6. ففي عصر الأخبار الزائفة تمسك الكثيرون في الإعلام بالساعد الأجنبي من الاستخبارات البريطانية كمصدر لا غبار عليه.

ما يدركه قليلون (وما أدهشني عندما شرعت في البحث من جديد في آخر رواية تجسس قرأتها) هو أن إم آي 6 في حد ذاتها تأسست نتيجة لحملة متقنة من التضليل. ويقول متخصصون في عالم الاستخبارات إن "الأخبار الزائفة خلقت الجناحين الاثنين لوكالة الاستخبارات البريطانية، الأجنبي والداخلي".

الغول الألماني

مع بداية القرن الماضي كانت الإمبراطورية البريطانية الأوسع والأثرى في التاريخ البشري. وكانت هذه الإمبراطورية أكبر من القدرة على الدفاع عنها، وهذه حقيقة برهنت عليها نكسات خلال سلسلة حروب في جنوب أفريقيا. وكانت الحكومة البريطانية قد تراجعت بتلكؤ عن نزعاتها المتسلطة ودخلت في اتفاقات مع خصومها الإمبرياليين الآخرين، وخصوصا فرنسا وروسيا.

لكن ظل الخصم الأكبر بالنسبة للبريطانيين هو ألمانيا، حيث شرع الألمان في توسيع قوتهم البحرية في بحر الشمال، وكان هناك جدل في بريطانيا حول الرد بالمثل، لكن لم تكن الحقائق هي التي أدخلت الناس في مثل تلك الحالة من القلق حول التوسع الألماني، بل هو الخيال.

> تم إنفاق حوالي 200 ألف جنيه إسترليني في عملية «سوداست» من أجل التخلص من الرئيس المصري حينذاك جمال عبدالناصر، عبر استراتيجية الدعاية والأخبار الكاذبة

في عام 1903 نشر الروائي ارسكين شايلدرز إحدى أولى روايات التجسس بعنوان "ألغاز الرمال"، تحكي عن رجل إنكليزي مقدام يبحر قبالة الساحل الألماني ويكتشف خطة سرية لغزو ألماني. حقق الكتاب نجاحا منقطع النظير في المبيعات وأدى إلى صدور مجموعة من الروايات التي تعتبر نسخة مقلدة لهذه الرواية الشهيرة، وكان أغلبها يقوم على وجود "جواسيس ألمان متوحشين" ألفها كتاب مثل وليام لي كو وجون بوشان.

وهكذا بدأت "حمى الجواسيس" في الاستحواذ على بريطانيا. وكانت الصحافة الشعبية هي التي أشعلت وشجعت، وبمعنى حقيقي، خلقت هذه الحمى، إذ في عام 1906 قامت إحدى الصحف الأكثر مبيعا، وهي صحيفة "ديلي ميل"، بكتابة قصة مسلسلة عن غزو ألماني لبريطانيا.

وبمساعدة خبراء عسكريين متقاعدين، مثل رئيس الأركان السابق وبطل الحرب اللورد فريدريك روبرتس، رسم لي كو خطة هجوم قابلة للتنفيذ، لكن الصحيفة رفضت النسخة الأولى قائلة إن أي "غزو" لا بد أن يعبر المدن التي تريد الصحيفة أن تزيد من رواجها فيها.

وامتثل لي كو (الذي تبين أنه من أوائل المتقنين للدعاية) وأنتج سلسلة من الحلقات المذهلة، والمضحكة بكل وضوح، تروي تفاصيل احتلال ألماني. وفي وقت لاحق تم نشر المقالات في شكل كتاب حقق نجاحا باهرا تحت عنوان "غزو 1910".

ولا تكتفي هذه الدعاية المصنعة برسم صورة لبريطانيا على أنها مليئة بالجواسيس الألمان، بل توجه كذلك ضربة قوية للمهاجرين من كل الجنسيات، وتلقي باللوم عن ضعف القيادة على غياب الأرستقراطيين في الحكومة وترى أن البلد أصبح ليّنا بسبب فرض الضرائب.

ومع نهاية عام 1908 وصلت هذه الحمى إلى درجة جعلت بعض الأفراد من عامة الناس يبعثون بالمئات من الرسائل تروي تفاصيل عن جواسيس ألمان في مناطقهم. وكان كتاب لي كو التالي (بعنوان "جواسيس القيصر"، ويحكي عن الجواسيس في المملكة المتحدة) أكثر نجاحا من الكتاب الأول، وشرع لي كو في قصف مكتب الحرب بهذه القصص، ووجد الكثير منها طريقه أيضا إلى الصحف. وكانت الحكايات عن الجواسيس الألمان بالطبع تزيد من مبيعات الصحف.

وفي نهاية المطاف، في عام 1909، شعرت الحكومة البريطانية بأنها مجبرة على القيام بتحقيقات، وهكذا عكف المسؤولون على العمل على تحقيق في موضوع الجواسيس الألمان على الأراضي البريطانية، لكن لم يصل هذا التحقيق إلى أي شيء، إذ لم يكن هناك دليل يوحي بوجود مجرد شبكة واحدة من الجواسيس.

وعندما اتسع نطاق التحقيق أكثر في البعض من هذه القصص، وجد أن أحد "الجواسيس" كان أستاذا في جامعة أكسفورد اعتاد على أن يقسم باللغة الألمانية بأن يتحاشى إهانة الآخرين، وتبين أن "نادلا ألمانيا" مشتبها به كان في حقيقة الأمر سويسريا وليس ألمانيا، ودار رعاية المسنين "الشريرة" في مدينة سوفولك تبين أنها دار رعاية مسنين عادية جدا. وفي آخر الأمر لم تكن هناك حالة تستوجب توسيع التحقيق أو الرد على استفسارات العامة.

وعلى الرغم من ذلك، أوصت الحكومة الليبرالية بتأسيس مكتب استخبارات منقسم إلى قسمين، أحدهما يعمل على الجبهة الداخلية ومكافحة التجسس، والآخر يتولى عمليات التجسس لصالح بريطانيا في الخارج.

ويقول اتش بي ليال، مؤلف كتاب "انعدام النظام"، إن "ذلك صحيح، لقد علموا بأن تهديد الجواسيس الألمان في بريطانيا ضئيل، لكنهم مضوا قدما في تأسيس جهاز لمجابهتهم، إذ لم يكن هناك خطر عسكري حقيقي في عدم فعل أي شيء، لكن كان هناك خطر سياسي شديد في أن ينظر إليك على أنك لا تفعل شيئا".

ويمكن بسهولة تكهن الأهمية الحقيقية التي توليها الحكومة لمكتب الاستخبارات في ذلك الوقت، ففي بداية تأسيسه لم يكن المكتب يضم غير موظفين اثنين فقط. كان كابتن فارنن كيل يترأس القسم الداخلي المسمى أم آي 5 أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان السير مانسفيلد كامينغ يدير القسم الخارجي أو أم آي 6. ولم تتحول إم آي 6 إلى الحالة التي نعرفها الآن إلا بحلول الحرب.

استهداف الشرق الأوسط

على سبيل المثال كشفت وثائق سرية أفرج عنها الأرشيف البريطاني في سبتمبر الماضي، فتح مدير جهاز إم آي 6، في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حسابا سريا يتم تمويله مقابل تنفيذ عمليات نوعية لزعزعة الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. واستخدم السير ستيوارت منزيز هذا الحساب السري من أجل تمويل عمليات سرية التي تتمثل في عمليات اغتيال وإطاحة بنظم الحكم التي اعتُبرت حينها مزعجة للبريطانيين.

وظل هذا الحساب السري، الذي كان يضم مبلغا بقيمة 1.4 مليون جنيه إسترليني (أي ما يعادل تقريبا 39 مليون جنيه إسترليني في الوقت الحالي)، مخبأ بعيدا عن أعين المسؤولين الحكوميين، وحتى من المدير المالي في جهاز الاستخبارات نفسه.

وحذرت الوثائق من أن هذا التمويل قد أعطى الفرصة لرئيس الاستخبارات البريطانية القوي، المعروف حركيا بلقب "سي"، بتنفيذ سياسته الخارجية غير الرسمية.

وتنص الوثائق على أن "استخدام 'سي' لمثل هذا التمويل غير الرسمي من دون الحصول على موافقة مسبقة من وزارة الخارجية، كان على وشك من أن يمكنه من تنفيذ سياسات غير تلك التي وافقت عليها وزارة الخارجية ومن دون علمهم".

وأوضحت الوثائق أن صندوق التمويل السري قد أنشأ في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وقال السير ستيوارت حينها إن الأموال تم الاحتفاظ بها في حال احتاج إلى تقديم رشوة للمسؤولين الأجانب أو حماية دوائر الخدمة السرية من خفض الميزانية.

ولا تزال مصادر تلك الأموال التي احتفظ بها السير ستيوارت لتمويل عمليات الاغتيال وزعزعة استقرار الشرق الأوسط، يشوبها الغموض، ولكن يتكهن الخبراء أن تكون الولايات المتحدة قد ساعدت في هذه الاستراتيجية.

وتشير الملفات السرية إلى عمليات تحت مسمى "سانت" و"سكريم" و"سوداست" و"ستراغل"، وإرسال فرق سرية خاصة ضد السودان وعمان ولبنان وسوريا ومصر. وقد تم إنفاق حوالي 200 ألف جنيه إسترليني في عملية "سوداست" من أجل التخلص من الرئيس المصري حينذاك جمال عبدالناصر.

وكانت عملية "سوداست" تقوم على نشر الأخبار الكاذبة وتبني استراتيجية دعائية تهدف إلى التأثير على الروح المعنوية للمصريين، ودفعهم إلى الثورة على عبدالناصر، في وقت كانت الإمبراطورية البريطانية تتحلل عمليا.

واستخدم في هذه العملية صحافيون وإعلاميون، بالإضافة إلى قوى سياسية ودينية كبيرة في مصر، لكنها في نهاية المطاف لم تأت بأي أثر.

وكان عبدالناصر قد خرج للتو منتصرا من حرب السويس، التي ينظر إليها على نطاق واسع بين الخبراء البريطانيين باعتبارها نقطة التحول الرئيسية في مسار تراجع الإمبراطورية البريطانية بشكل متسارع. وشعر السير منزيز وقتها أن مرحلة ما بعد السويس ستشكل ضربة قاصمة بالنسبة لوكالة إم آي 6.

اتش بي ليال

> لم يكن هناك خطر عسكري حقيقي في عدم فعل بريطانيا شيئا، لكن كان هناك خطر سياسي شديد في أن ينظر إليك على أنك لا تفعل شيئا

ويقول ليال "يمكن تلخيص قدر الاستخبارات البريطانية في أن جذورها تعود إلى حملة مدبرة وبسيطة من الأخبار الزائفة، حيث جعل الخيط بين الحقيقة والخيال ضبابيا بشكل متعمد لأسباب سياسية".

ومن الواضح أن ملف ترامب نفسه ليس مثالا على الأخبار الزائفة، كما أن وكالة الاستخبارات البريطانية ليست مزودا للقصص الخيالية، لكن هذا الخيط المتحوّل (بين الأخبار الحقيقية والأخبار الزائفة، بين وكالات الاستخبارات والسياسيين الذين يسعون إلى السيطرة عليها) ظل مسألة مطروحة لأكثر من قرن من الزمن. وكما يقول المثل، كلما تغير الحال كلما بقي على حاله.

كومبارس سياسي بالمعنى المباشر للكلمة

موسى مصطفى موسى

كيف تدخل انتخابات تؤيد فيها المرشح المنافس

أميرة فكري

❏ في مشهد شهير من مسرحية "الواد سيد الشغّال"، بطولة الممثل الكوميدي عادل إمام، الذي كان يقوم بدور العامل في بيت عمر الحريري، رجل الأعمال الثري، يقول الحريري لعادل إمام، بلغة حاسمة وصيغة تنحو إلى الأمر أكثر من الطلب "سيد! إنت هتكتب كتابك على الهانم الصغيرة".

استدعى كثير من المصريين هذا المشهد بمجرد إعلان رئيس حزب الغد موسى مصطفى موسى، أحد أكبر المؤيدين للرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، عن ترشحه للانتخابات الرئاسية المصرية، ضد السيسي.

> غياب الخبرة السياسية في مجتمعات لم تعرف من قبل ممارسات سياسية حقيقية، يؤدي إلى افتقارها للبديل السياسي الذي يملك حلولا تقبلها الجماهير، إضافة إلى القبضة الأمنية القاسية التي أدت إلى تفكك هياكل العمل السياسي، وتحول أجهزة الأمن إلى «أحزاب» تدير واقع الناس بحكم الأمر الواقع

اكتسب موسى لقب المرشح "الكومبارس" حتى من قبل أن يعرف عنه الناس شيئا. بعضهم لقبه بـ"المحلل" أو الجسر الذي سيعبر عليه السيسي بسهولة إلى فترة رئاسية ثانية، دون أن يطال صورتَه رذاذُ ماء كثير طال في الأسبوعين الماضيين الانتخابات وترشيحاتها.

لعل موسى (65 عاما) مجرد اسم، في مشهد كان قد يسبقه إليه اسم آخر، حاول مسؤولون في الدولة استخدامه كسلعة يمكن بيعها للناس بثمن أعلى، بدءا برئيس حزب الوفد السيد البدوي أو أحد معاونيه، نزولا، في الوزن السياسي، إلى أكمل قرطام، رئيس حزب المحافظين، ثم انحدارا، في الوزن السياسي أيضا، إلى موسى، المعروف بعلاقاته الوطيدة مع مسؤولين أمنيين كبار.

يقول معارضون إن أجهزة الأمن لطالما مثلت بالنسبة لموسى دليلا طوال مشواره السياسي، انتهى إلى تحويل مسار "الاستفتاء الرئاسي" وإعادته مرة أخرى إلى شكل الانتخابات.

إرضاء السلطة

موسى رئيس حزب سياسي غير معروف خارج مصر. أحدث قراره بالترشح أمام السيسي ضجة واسعة، إذ أنه مؤسس حركة "مؤيدون" التي تضم شخصيات سياسية وحزبية لدعم وتأييد السيسي في الانتخابات الرئاسية، كما تبرع بإقامة العديد من الفعاليات في مختلف المحافظات المصرية للترويج لـ"إنجازات" السيسي.

أفرز الواقع السياسي في مصر شخصيات سياسية مستعدة للتضحية بكل شيء، ولا مانع لديها من تغيير مفهوم العمل السياسي من المعارضة الدائمة أو المتوازنة إلى التأييد المطلق للنظام، مقابل نيل رضا السلطة والتباهي بوجود علاقة مباشرة مع صانع القرار.

مشكلة هذه الفئة من السياسيين، تتمثل في أن هؤلاء لا يبالون بأي نقد يوجّه إليهم في هذا الشأن، ولهم منطق خاص بهم بعيد تماما عن مفاهيم وأدبيات العمل السياسي والحزبي، فهم ينظرون إلى كونهم سياسيين أو رؤساء أحزاب فإن مساندتهم للحكومة أو النظام عموما من صميم عملهم، لأن الأحزاب في تقديرهم لا بدّ وأن تكون مساندة للدولة.

هذه الفئة من الشخصيات أو الأحزاب، متهمة في نظر الكثيرين بأنها أحد الأسباب الرئيسية التي مهدت لوأد العمل الحزبي وانغلاق المشهد السياسي في مصر، وأنها عادة ما تستخدم كذريعة لتشويه صورة المعارضة الحقيقية، أو القيام بأدوار هامشية لتحسين صورة السلطة للإيحاء بأن الحراك السياسي موجود ولم ينته كما تروّج المعارضة.

لم يكن موسى ليترشح أمام السيسي لولا توحد التيارات والشخصيات والأحزاب المعارضة على رفض المشاركة في الانتخابات، وهو ما رآه موسى ورطة كبيرة للنظام، ولأنه يهوى التقرب مع أجهزة السلطة، وأقرّ بذلك في أكثر من مناسبة، فقد أقدم على خطوة الترشح لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

عندما سُئل موسى عن اتهام حملة "داعمون" التي أسسها لمساندة السيسي وعلاقتها بالأجهزة الأمنية، رد بالقول "ياريت الأمن ينسّق معانا.. أنا لا أعرف أحدا في جهاز المخابرات، ولو هناك أيّ جهة رسمية بالدولة ترغب في العمل معنا أو توجّهنا وتساندنا فهذا شرف كبير، لأننا نعمل على مصلحة وهدف واحد وهو أن يكسب السيسي باكتساح".

كلام موسى عن عدم وجود علاقة له مع الأمن يمكن فهمه في سياق أنه يريد تبرئة أجهزة الأمن من تهمة صناعة حملات داعمة لترشح السيسي لولاية حكم ثانية، وإبعادها عن توجيه شخصيات بعينها للترويج لفكرة ترشح السيسي بناء على طلب شعبي، لكن في الحقيقة كان لهذه الحملات صدى واسع عند السلطة بل وتدعمها من خلف الستار.

ثأر الشريك

يُدرك رئيس حزب الغد أن حملات الهجوم الذي سوف تطاله خلال هذه الفترة من كل اتجاه، سوف تكون بلا سقف أو حدود، بعدما أفشل محاولات المعارضة في تحويل الانتخابات إلى استفتاء، لكن خطة تشويه صورته سوف تأخذ منحى ساخنا عبر إعلام الإخوان، وتحديدا قناة "الشرق" التي يرأس إدارتها أيمن نور المقيم في تركيا، والذي رأس من قبل حزب الغد.

لدى نور ثأر قديم مع موسى، حيث كانا شريكين في حزب الغد، وجرى النزاع بينهما، اتهم على إثره نور بتزوير مستندات رسمية للإيحاء بأنه الأحق برئاسة الحزب، ووصل الأمر إلى القضاء الذي حكم بسجن نور ومنح موسى الأحقية في رئاسة الحزب.

وينتظر أن تصل حملة الهجوم على موسى إلى أقصى مدى، بعدما وجد نور في ترشحه للانتخابات فرصة ثمينة للثأر منه وإخراج كل الملفات المسكوت عنها بشأن تاريخ الرجل الذي اقتنص منه رئاسة حزب الغد، وقام بتحريض "بلطجية" على حرق مكتبه، أي مكتب نور، الموجود داخل مقر الحزب بوسط القاهرة.

ويقول محللون إن ظاهرة "الكومبارس" باتت جزءا أساسيا من العملية السياسية في العالم العربي، خصوصا في الدول التي شهدت تغييرات جوهرية على الساحة السياسية، إثر احتجاجات شعبية أطاحت بأنظمة الحكم، في ما يعرف بـ"الربيع العربي".

وبات الحكام في حاجة إلى إثبات ديناميكية العمل السياسية في البلد، دون أن يكون لذلك انعكاس على الواقع.

وأدّى غياب الخبرة السياسية في مجتمعات لم تعرف من قبل ممارسات سياسية حقيقية، إلى افتقار هذه الدول للبديل السياسي الذي يملك حلولا تقبلها الجماهير، كما أدت القبضة الأمنية القاسية إلى تفكك هياكل العمل السياسي، وتحول أجهزة الأمن إلى "أحزاب" تدير واقع الناس بحكم الأمر الواقع.

ويقول أكاديميون إن المرشحين باتوا يبحثون عن الممارسة السياسية باعتبارها غاية نهائية، دون النظر إلى تحقيق إنجازات تذكر.

انزواء المرشحين الكبار

أدرك المرشح السابق خالد علي، قبل أن ينسحب من السباق الأسبوع الماضي، هذه الحقيقة الصعبة، أنه يسير في نفس مسار المرشح المعارض في انتخابات 2014 حمدين صباحي، الذي حصل في النهاية على أقل من 3 بالمئة من الأصوات.

ورغم ذلك استمرت عجلة السياسة في الدوران، حتى بعد انزواء مرشحين كبار، قادرين على تشكيل خطر حقيقي على الحكم.

ومن بين هؤلاء الفريق أحمد شفيق، رئيس الوزراء الأسبق، الذي تراجع عن الترشح، بينما كان يعوّل على الفئة التي تريد إحياء نظام مبارك باعتباره أحد رموزه.

أما الفريق سامي عنان رئيس أركان الجيش السابق الذي جرى اعتقاله لعدة تهم تتعلق بالتزوير وعدم الحصول على إذن من الجيش للترشح، فكانت له شعبية قوية عند الإخوان والرافضين لثورة 30 يونيو 2013 عموما، وهي التي أطاحت بحكم الإخوان، فضلا عن دعمه من جانب شريحة كبيرة من الناقمين على الأوضاع السياسية والاجتماعية.

وبعكس كل هؤلاء، يخوض موسى سباق الانتخابات دون ظهير شعبي أو سياسي، فأكثرية الأحزاب المتناغمة مع السلطة أعلنت دعمها للسيسي، أما ما تبقى من أحزاب المعارضة فقد انقسمت بين مقاطعة للانتخابات والالتزام بالصمت حيال ما يجري على الساحة لتجنب أن يتم تصنيفها أو احتسابها على فصيل واحد.

في كنف والده

مشكلة هذا السياسي المرشح أنه يهوى العيش في كنف والده الراحل مصطفى موسى، ذلك السياسي المخضرم الذي كان عضو مجلس الأمة المصري سابقا (مجلس النواب حاليا) عن حزب الوفد، وزعيم الطليعة الوفدية، وكان مقربا بقوة من مصطفى باشا النحاس زعيم حزب الوفد قبل ثورة يوليو 1952.

لا يفرق موسى بين الحقبة السياسية التي كان والده يتمرس فيها العمل السياسي بمصر، وبين الوقت الراهن، لأن والده مصطفى دخل السياسة حين كانت مصر تحت الاحتلال البريطاني، وهو ما تطلب من أيّ سياسي أن يكون دوره الأبرز تخليص البلاد من المحتل، لذلك توحدت القوى السياسة على هدف واحد، من منظور وطني، بأن تكون المعارضة كلها في وجه الإنكليز.

يقول موسى عن ذلك "والدي هو من زرع في داخلي أن تكون ممارسة العمل السياسي منصبة على خدمة الناس والدفاع عن الوطن، وأنا أفعل ذلك مثلما تعلمت منه".

لكن يبدو أن مفهوم الاصطفاف الوطني الذي ورثه موسى عن والده، وظفه وفق منطقه ومعتقداته الذاتية، ومارس النضال الوطني ضد معارضي الأنظمة الحاكمة، خلال عهدي حسني مبارك أو السيسي.

ارتباط موسى الشديد بما زرعه فيه والده من حتمية مساندة الدولة في ظروفها الصعبة جعله يتعامل مع المعارضين للنظام باعتبارهم معادين للاستقرار المجتمعي، ولهم أجندات ومآرب أخرى بعيدة عن المصلحة العامة، والأكثر من ذلك، أن الفئة الأعظم من السياسيين والمعارضين كانوا "منتحلي صفة" ويهوون "الشو" الإعلامي وإحداث البلبلة السياسية.

الفارق الشاسع بين موسى ووالده في تمرس العمل السياسي، أن الأخير كان مناضلا سياسيا ضد الاحتلال وليس تابعا لسلطة، امتد نضاله خارج حدود مصر، وبنى علاقات قوية مع الرؤساء الجزائريين تحديدا، وكان صديقا شخصيا للرئيس الجزائري السابق أحمد بن بلّة أول رئيس بعد الاستقلال، والرئيس هواري بومدين ثاني رؤساء الجزائر، فضلا عن الرئيس الحالي عبدالعزيز بوتفليقة.

ويقول موسى عن والده "حينما أراد المناضلون ضد الاحتلال في مصر، ومنهم أبي، تدشين مكتب في الجزائر تنطلق منه أصوات الدفاع والمقاومة ضد المحتل كان والدي يموّل هذا المكتب، واحتضن الجزائريين وكان من بينهم بوتفليقة، وحينما حدث التأميم سنة 1962 طلب الجزائريون من والدي أن يسافر إلى الجزائر ليشغل منصب المستشار الفني للرئاسة الجزائرية، وفعلا ذهب، ونفذ أعمالا إنشائية كبيرة ما زالت موجودة".

من شدة ارتباط المناضل مصطفى موسى ببوتفليقة، أنهما عندما تشاركا في النضال ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر كان الاثنان يسكنان في مبنى واحد بالجزائر العاصمة، لكن بوتفليقه استبدل شقته بأخرى في ذات المبنى حتى يتمكن من ضم الشقتين معا، وبعد وصوله إلى السلطة أطلق اسم مصطفى موسى على أحد شوارع العاصمة الجزائرية.

وإذا كان موسى يدرك جيدا أنه خسر الانتخابات أمام السيسي قبل أن يخوضها، وعدد الأصوات الباطلة ربما تكون أعلى من الأصوات التي سيحصل عليها، فإنه يتعامل مع الموقف الراهن من زاوية أن مساندة النظام وإنقاذه من ورطة غياب المنافسين في الانتخابات على أنهما هدف نبيل ووطني.

> الواقع السياسي في مصر يفرز شخصيات سياسية مستعدة للتضحية بكل شيء، ولا مانع لديها من تغيير مفهوم العمل السياسي من المعارضة الدائمة أو المتوازنة إلى التأييد المطلق للنظام، مقابل نيل رضا السلطة والتباهي بوجود علاقة مباشرة مع صانع القرار

أقر موسى بذلك في تصريحات لـ"العرب" قال فيها "لم أكن لأخوض الانتخابات أمام السيسي الذي أدعمه بقوة للفوز بالانتخابات، لولا أنني وجدت أن الساحة خالية من المرشحين، وهو ما كان سيعرض النظام لورطة ويسيء إليه، فلا مانع من أن أبادر وأقوم بدور المنافس".

والدور الذي يقوم به موسى مصطفى هذه الفترة، يبدو صورة مكررة من الدور الذي قام به نعمان جمعة رئيس حزب الوفد الأسبق، عندما ترشح ضد الرئيس الأسبق حسني مبارك في انتخابات العام 2005، وحصل آنذاك على المركز الثالث بعدد قليل للغاية من الأصوات، وجاء تاليا لأيمن نور، وكان النظام بحاجة إلى منافسين لمبارك للإيحاء بوجود منافسة وحراك سياسي.

لذلك تتعامل المعارضة المصرية، وشريحة كبيرة من المجتمع مع ترشح موسى، على أنه أضاع فرصة أن يستفيق النظام مرة أخرى ويدرك خطورة استمرار أغلق المجال العام أمام الأحزاب والحركات والتيارات السياسية والتضييق عليها لعدم القيام بدورها في تأسيس دولة ديمقراطية فيها الرأي والرأي الآخر.

أزمة استمرار قيام أي سياسي أو حزبي بدور المكمّل والمجمّل في مصر، أنها تكرس سياسة الأمر الواقع بإقصاء منافسين حقيقيين من أمام النظام ليكون هناك بطل واحد هو رئيس الجمهورية.

● أزمة قيام أي سياسي بدور المكمّل والمجمّل في مصر تكرس سياسة الأمر الواقع بإقصاء منافسين حقيقيين من أمام النظام ليكون هناك بطل واحد هو رئيس الجمهورية عبدالفتاح السيسي.

● قرار موسى بالترشح أمام السيسي يثير ضجة واسعة، إذ أنه مؤسس حركة "مؤيدون" التي تضم شخصيات سياسية وحزبية لدعم وتأييد السيسي ذاته في الانتخابات الرئاسية.

الرسام في نضارة عاطفته

الشيخ راشد آل خليفة

فنان الرسم الخالص

فاروق يوسف

قبل سنين طويلة، حين رأيت إحدى لوحاته لم يكن أمامي سوى أن أصرخ "إنه ماتيس عربي".

قلت لنفسي "هذا رسام سعيد، في الرسم وقبله في الحياة" وهي الفكرة التي شدتني إليه وصرت أتابع رسومه القليلة.

الطبيعة بمزاج شخصي

كان الشيخ راشد آل خليفة الذي يقيم معرضا شخصيا هذه الأيام في قاعة أيام بدبي، يرسم الطبيعة بمزاج شخصي. ذلك المزاج الذي يتيح لنا التعرف على خبايا خيال اليد التي ترسم.

كانت تلك الرسوم ذات الطابع الحداثوي تحيلنا إلى أسباب للذة، كان الرسم في العالم العربي قد كف عن العودة إليها بسبب انشغاله بالكوارث الإنسانية.

> رسومه ذات الطابع الحداثوي تحيلنا إلى أسباب للذة. وقد كان الرسم في العالم العربي قد كف عن العودة إليها بسبب انشغاله بالكوارث الإنسانية. أما آل خليفة فيعيدنا إلى ما نسيناه من متع بصرية

راشد آل خليفة كان يعيدنا إلى ما نسيناه من متع بصرية.

وهو في ذلك إنما يقف وحده، لا بين رسامي بلده البحرين فحسب بل وأيضا بين الرسامين العرب. فهو يقيم صلة شفافة ورقيقة بين الطبيعة كما يمكن أن يتخيلها الرسم وبين ثقافة العين التي تستخرج من المرئيات خلاصة جمالها الخفي.

بدت رسومه إلي أليفة كنداء منزلي وخفيفة كإيماءة محب.

تلك رسوم ضرورية، رسوم تقاوم الواقع القبيح بقوة الرسم وفكرة الجمال وهي في الوقت نفسه تنتقل بنا إلى مناطق لم يغامر الرسامون العرب في الدخول إليها والبحث في تفاصيلها والتعرف على حقائقها.

وإذا ما كان الفنان البحريني قد انتقل بأسلوبه منذ سنوات إلى نوع بارد من التجريد فلأنه كان منذ بداياته يميل إلى التجريد.

وقد يكون موقفه الحذر من المدرسة الانطباعية التي لا يخفي إعجابه بها قد وهبه نوعا من الصلابة في مواجهة إغراء العاطفة التي ينطوي عليها الشغف بالطبيعة. وهو ما حدا به إلى أن يسير بتجربته في سياقها الطبيعي منهيا إلى التجريد، الذي ينطوي على الكثير من الحس الشاعري بالرغم من استناده إلى نظام بصري، يتميز بعقلانيته.

المولع بعواصف تيرنر

ولد آل خليفة في المنامة عام 1952. وشغف بالفن في سن مبكرة من حياته. تعود أول لوحة عرضها إلى عام 1966. وكانت تلك اللوحة تمثل أحد مساجد المنامة. درس الفن في جامعة برايتون ببريطانيا. وهناك شده الرسام البريطاني وليام تيرنر إلى عالمه الذي هو مزيج من الطبيعة وتجريدها في إطار حساسية بصرية لا تكتفي بالتقاط المرئيات بل تمضي في تأملها إلى درجة تفكيك عناصر الطبيعة الجمالية. وهو الدرس العظيم الذي سعى آل خليفة إلى تعلمه والاستفادة منه في تطوير أسلوبه الشخصي، ذلك الأسلوب الذي لا يمكن العثور على أساس له في التجربة التشكيلية البحرينية بالرغم من غناها.

وبالرغم من ولعه بالصحراء فقد حاول أن يرسم ما يراه بطريقة مختلفة لا تقيم مسافة بين ما هو محلي وما هو عالمي. لذلك يمكن اعتباره طائرا غير منتم لسرب بعينه. أقام معرضه الأول عام 1970 في فندق دلمون بالمنامة. عام 1983 تأسست جمعية البحرين للفنون التشكيلية فكان آل خليفة أول رئيس لها، وهو الآن يشغل منصب الرئيس الفخري.

أقام أكثر من عشرة معارض في بلده وفي العالم، غير أنه يعتبر نفسه مقلا. لذلك لم يتخل عن لوحاته عن طريق البيع، وما يملكه الآخرون من لوحاته جرى عن طريق الإهداء. حكمته في ذلك أنه لا يريد أن ينافس الفنانين البحريين في ذلك المجال. تكفيه متعة شعوره بأنه يمارس الشيء الذي ملك حياته.

تميز آل خليفة عن سواه من الفنانين البحريين بنزعته التجريبية. إنه ينتمي إلى القلة التي لا تؤمن بأن الأسلوب يشكل ركيزة ثابتة لا تتغير. تجريبيته كانت عنوانا لتحرره من عقدة الأسلوب، بالرغم من أن لوحاته لم تكن تخطئها العين في مختلف مراحله الفنية.

أثر يده الواضح يعلن عن هويته في أعمال، غالبا ما تكون مفاجئة من جهة تقنياتها وموادها وموضوعاتها. المفارقة أن هذا الرسام بالرغم من ولعه بالتجريد فقد كان يتلمس طريقه إلى الجمال من خلال موضوعات غاية في البساطة هي جزء من الحياة اليومية التي يغلب عليها طابع الهدوء والترف والانقطاع عن العالم الخارجي.

لقد وظف آل خليفة كل شيء في خدمة الرسم الخالص.

فعل ذلك يوم كان يجد في الطبيعة مصدر إلهام لتأملات عميقة، كانت تسلمه إلى حالة من الإشراق، يكون من خلالها على تماس مع العالم التجريدي الذي طمح للوصول إليه. وهو ما شجعه على أن يبقي العلاقة قائمة بين الطبيعة وانعكاساتها التجريدية في رسومه.

كانت الأشكال التي يخترعها غير منقطعة عن أصولها إلا إذا نظرنا إليها بطريقة متسرعة. ذلك لأنه لا يرسم ما يراه من أجل الوصف المحايد. هذا الفنان يسعى إلى تحويل المرئيات إلى ممتلكات شخصية قبل أن يرسمها. وهو ما يضفي عليها طابعا شخصيا حين تظهر على سطوح لوحاته.

تغير الرسام، لم يتغير

مَن يرى رسومه بعين خبيرة متأملة تدهشه تلك العاطفة التي تنبعث من الأشكال، كما لو أن تلك الأشكال قد عجنت بالمشاعر المرهفة والرقيقة قبل أن تجد طريقها إلى الخارج.

آل خليفة لا يعيد تأليف العالم الذي يراه فحسب، بل هو أيضا يؤثث ذلك العالم بعواطفه الشخصية. أليس من حقه أن يتحاشى الأسلوب الشكلي وقد بلغ تلك الدرجة من التماهي مع عاطفته؟

عام 2010 أقام آل خليفة معرضا بعنوان "اللوحة المحدبة: منظور جيد" ضم المعرض خمسين لوحة. يقول راشد في وصف ما دفعه إلى الانتقال إلى تلك المرحلة التي اعتبرها البعض قفزة في اتجاه المجهول "لقد تغيرت كثيرا، وأنا سعيد جدا، لأن هذه التغييرات تساعد الفنان على التحرك والتطور، ومن لا يفعل ذلك يبقى مكانه، وهذا خطأ، لأنه على الإنسان البحث عن كل ما هو متطور وجديد، وإذا ما نظرنا في تاريخ الفنانين الكبار، مثل بيكاسو، نرى أنه استعمل كل ما يستطيع من أساليب الرسم وأدواته، فرسم على الخشب والسيراميك والورق وحتى أنه استعمل القهوة مادة للرسم. الإبداع في استعمال الوسائل الفنية ليست له حدود، والقاعدة تقول: ابحث... ابحث... ثم ابحث، ولا بد من أن تجد شيئا".

تلك هي الخلاصة التي انتهى إليها الرسام وهو ينتقل بشكل حاسم إلى التجريد الشامل والكامل. أربعون سنة من الرسم كانت كافية لكي تفقد الطبيعة مسوغها للبقاء باعتبارها ملهما مقيما في العمل الفني. ولا يقع ذلك التحول إلا بناء على حاجة داخلية أملتها ظروف علاقة الرسام بحرفته. قد يُقال "إن راشد تغير" هو ما ورد في كلامه الذي يعود إلى أيام المعرض الذي أعلن فيه عن تحوله النهائي. ولكن المتابع لتحولاته الأسلوبية لا بد أن يكون على يقين من أن الخيوط لم تنقطع بين ما يفعله اليوم وبين ما كان يفعله بالأمس. هذا فنان ينقب في تحولات المادة بكل ما تنطوي عليه تلك التحولات من سحر وإثارة مثلما كان يفعل تماما حين يتأمل تحولات المرئيات.

لقد تغير فن راشد آل خليفة. ذلك صحيح. غير أن تغيره لا يقع باعتباره انقلابا. كان متوقعا أن يصل الفنان الذي جعل من التجريب طريقا لسيرته في الفن إلى نتائج من هذا النوع. وكما يبدو فإنه تعب من ذلك الصلح الذي لم يعد يغنيه جماليا.

راشد آل خليفة هو اليوم أكثر الفنانين العرب نضارة وشبابا.

> الشيخ راشد آل خليفة الذي يقيم معرضا شخصيا هذه الأيام في قاعة أيام بدبي، يرسم الطبيعة بمزاج شخصي. ذلك المزاج الذي يتيح لنا التعرف على خبايا خيال اليد التي ترسم

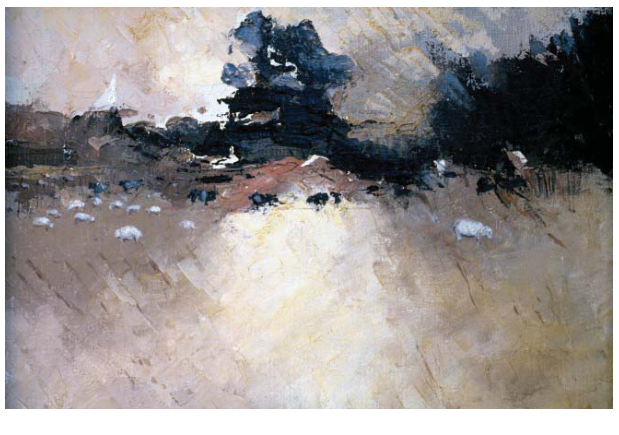

لا تظلموا المثقفين

ولا يظلمون وزراء الثقافة

هيثم الزبيدي
كاتب من العراق مقيم في لندن

❏ وزير الثقافة في الدول العربية، وخصوصا محدودة الإمكانيات منها، منصب مظلوم. لا أحد يعرف بالضبط ما هو المطلوب من هذا المنصب. كل يفصله كما يرى أو مثلما يريد.

الوزارات مؤسسات خدمية. مهمة الوزارة في أي دولة هي تقديم الخدمات للشعب. مهمة وزارة الثقافة هي تقديم الخدمة الثقافية للشعب مثلما هي مهمة وزارة البلديات في تقديم الخدمات البلدية للناس. هناك وزارة للبلديات تشغل الموظفين والعمال والمتعهدين والمقاولين ليقوموا بمهام التخطيط الحضري وإدامة البنى التحتية والنظافة. تشغيل العاملين ليس هدف الوزارة بل الهدف هو خدمة الناس. العاملون في البلدية يستفيدون من الرواتب والمنح والمقاولات والتخصيصات المالية مقابل ما يقدمونه من خدمات للمجتمع.

لماذا لا نفكر بوزارة الثقافة بالطريقة نفسها؟ لماذا ينتظر المثقفون من وزارة الثقافة أن تنفق عليهم؟

نعم، وزارة الثقافة تحتاج للمثقفين. هم أدواتها في تقديم الخدمة الثقافية للمجتمع. الكاتب يكتب لتنوير الناس. المكتبة ضرورة للمعارف. المطرب يوفر الترفيه. السينما متنفس استثنائي للعين والعقل. الحياة المعاصرة هي حياة بين العمل والمطالعة ومشاهدة التلفزيون. عدا الأخبار، كل ما يعرض على شاشة التلفزيون هو ثقافة، حتى لو كان برنامجا عن الطبخ.

وزارة الثقافة تؤدي دوراً مهما أيضا في الحماية الفكرية للمجتمع. بالتنسيق بين المواطن والمثقف، يمكن أن تصبح برامجها عربة الوعي والتحصين ضد موجات التسيّب والتطرف وتراجع منظومة القيم المجتمعية.

المجتمعات المحصّنة ثقافيا يمكن أن تواجه نزعات التشدد الأيديولوجي أو الديني بقوة. وكلما ضعف تأثير الثقافة، كلما صار بوسع أي مروج للخزعبلات أن يدّعي التسيّد الفكري على مجتمع ساذج. يكفي أن ننظر من حولنا الآن لكي ندرك حجم الدور المفقود لوزارات الثقافة وللمثقفين معا. النهضة الثقافية والفنية لمرحلة الخمسينات والستينات والسبعينات صارت جزءا من ماض يطويه النسيان. الثقافة اقتلعت العالم العربي من حياة العصور الوسطى وزجّته في العصر الحديث. وغياب دور الثقافة الآن أعاد العالم العربي إلى العصور الوسطى، مع جرعة من العنف والوحشية توفرها أسلحة وأدوات تكنولوجية لم تكن متوفرة في عهد السيف والقرطاس.

عتاب المثقفين لوزارات الثقافة لا ينتهي وفي كثير من الأحيان يكون محقا. ولكن ضبابية الدور هي ما تجعل المهمة ملتبسة. ليس من مهام وزارة الثقافة أن تكون موطن تشغيل لأحد. ينبغي أن تدعم الحركة الثقافية، ولكن بهدف استفادة المجتمع وليس لفائدة المثقف المادية. تخصيص مبالغ مالية للمثقفين هو كرم من الدولة والمجتمع، ولكنه بالتأكيد ليس لزاما عليها.

تستطيع الدولة أن تفعل الكثير لدعم المثقفين. في بريطانيا مثلا، وهي بلد ثري بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، لم تتمكن الحكومة من تبرير دعم النشاطات الثقافية مثل المهرجانات الموسيقية أو الشعرية. تعثرت قرارات حكومية أمام رفض البرلمان أن تقدم الدولة تمويلا من أموال الضرائب لإعادة إحياء مسرح تاريخي أو ترميم مبنى قديم. لكن الفطنة لم تخن الحكومة، فعمدت إلى استنباط فكرة الدعم غير المباشر من خلال تبني مبادرة اليانصيب الوطني الذي خصصت أرباحه لوزارة الثقافة لتقوم بتوجيهها نحو المنتج الثقافي غير الربحي والذي يدعم الكتاب والمسرحيين وعمال ترميم الآثار ويقيم المهرجانات ويحيي مسرح شكسبير.

تقوم المؤسسات الخيرية بدورها أيضا. الكثير من النتاج الفني والثقافي يجد تمويله من متبرعين كرماء. الثري يشتري اللوحة بآلاف الجنيهات بما يفوق سعرها الحقيقي. مليونيرات غربيون يتسابقون على رعاية المجلات الثقافية والفكرية، والحفلات والمهرجانات دون أن يطلبوا شيئا بالمقابل. لا شك أن الكنائس تحسد المسارح على استقطابها المتبرعين. الدولة في هذه المعادلة مسؤولة عن التنظيم ومنع التسرب أو الفساد، ولكنها تبقي مالها في جيبها.

هذا الدور التنسيقي بين حاجات الثقافة وإمكانيات الدولة وقدرات المثقفين هو في صميم عمل الوزير المسؤول. هل يستطيع الوزير المعين القيام بهذا الدور لأنه رسام أو فنان تشكيلي أو عازف آلة فلوت في أوركسترا المدينة، أم سياسي محترف يستطيع القيام بفعل التوازن بذكاء وموضوعية؟ هذا سؤال لم تتمكن الكثير من الحكومات العربية الرد عليه لأنها هي نفسها لا تعرف ماذا تريد من الثقافة.

موضوعية المثقفين بمطالباتهم من الدولة وحجم رعايتها لهم قد تكون هي خارطة الطريق لعمل الحكومات والوزارات المعنية بالشأن الثقافي. نرجسية المثقف محجوزة لفكره وإسهاماته، لكن موضوعيته هي المحك للخروج بالمشروع الثقافي الوطني من ارتباك عدم فهم الدور. لا يظلم المثقف دوره من خلال ظلمه للوزير.

* لوحة: عبدالله العمري

النقد المزدوج نحو سوسيولوجيا مغايرة

عثمان لكعشمي
باحث من المغرب

❏ «نقصد إذن حركة مزدوجة منسقة نرى أنها وحدها قادرة على تجاوز التكرار وتفتح أمام السوسيولوجيين إمكانية معرفة علمية أقل استلابا وأكثر تكيفا مع خصوصية الموضوع المطروح» عبدالكبيرالخطيبي

لعله من نافل القول أن كتابات عبدالكبير الخطيبي وأعماله السوسيولوجية والفلسفية كذلك، لم تحظ بالاهتمام الكافي من طرف السوسيولوجيين بالمغارب والمشارق، على عكس ما لقيه من اهتمام في الدراسات الأدبية، إلى درجة أن هناك بعض المفكرين من لا يعتبره سوسيولوجيا، على اعتبار أنه يمارس نوعا من " التأمل الفلسفي"، كما هناك من يعتبره يمارس نوعا من "الميتاسوسيولوجيا".

يستعصي على هؤلاء أو بشكل أدق يتعذر عليهم فهم الإنتاج السوسيولوجي للكاتب، والحالة هذه، وإبعاده عن المعرفة السوسيولوجية والقذف به على هامشها، ما دامو ينظرون إلى السوسيولوجيا من داخل المنظومة ومن جوانية الاعتقاد الضيق في الحدود الصلبة والمتحجرة بين الحقول المعرفية المتعددة. مرد ذلك، أولا وقبل كل شيء، كون كتاباته انسيابية يستعصي على المرء سجنها في حقل معرفي مخصوص من ناحية، وكون أن تفكيره السوسيولوجي لا أكاديمي ولا مؤسساتي من ناحية ثانية.

وبالتالي سيستحيل على المرء أن يحيط بأعماله مادام لم يتحرر بعد من أغلال كل تصور، هذا إن صدق عليه بأنه تصور، يرمي إلى سجن وكبح شعلة الحياة في نصوص فكر يجعل من مقوماته الركيزة الاختلاف والتعدد، وفتح الأفق والتحرر من كل القيود التي من شأنها أن تقذف بشعلة الحياة تلك في العدم.

وإن كان المفكر عبدالكبير الخطيبي، قد لقي اهتماما أكبر لدى الأدباء، وبدرجة أقل في الفلسفة مع بعض شذرات الكاتب عبدالسلام بنعبدالعالي، حول النقد المزدوج، فإنه شبه غائب إن لم نقل منعدم الوجود، كمشروع، في الحقل السوسيولوجي بالمغرب والعالم العربي.

في مقابل ذلك نجد غيابا تاما لأي رصد أو قراءة سوسيولوجية فككت الإنتاج السوسيولوجي للمؤلف. وفي هذا الباب، يمكن أن نجعل من "النقد المزدوج" مفتاحا لهذا التفكيك، بما هو في نظرنا استراتيجية. ذات بعد فلسفي نعم، لكنها سوسيولوجية أساسا. ذلك التفكيك الذي يقول نعم (للاختلاف) وليس لا، وإن هو قال بـ"اللا"(للكليات المطلقة)، فهو يقولها من أجل "النعم"، من أجل الاختلاف.

> النقد المزدوج يجعل من سوسيولوجيا العالم العربي سوسيولوجيا مغايرة، تفسح المجال للسوسيولوجيا في العالم العربي للقطع مع كل ذاتية حمقاء والتمسك بالاختلاف والانفتاح

هل هناك سوسيولوجيا في أعمال الخطيبي أو بمعنى آخر، هل هناك مفعول (ومفعولات) سوسيولوجي في كتاباته؟ هل يمكن للنقد المزدوج مجاوزة قصور سوسيولوجيا العالم العربي وإنتاج سوسيولوجيا مغايرة؟ نعم، هناك سوسيولوجيا لدى مفكرنا؛ سوسيولوجيا فلسفية وتاريخية، على هامش السوسيولوجيا والفلسفة والتاريخ: إنها سوسيولوجيا مغايرة.

إن النقد المزدوج يجعل من سوسيولوجيا العالم العربي سوسيولوجيا مغايرة، تفسح المجال للسوسيولوجيا في العالم العربي للقطع مع كل ذاتية حمقاء والتمسك بالاختلاف والانفتاح على الأفق. تقوم، بما هي استراتيجية تفكيكية على تفكيك مزدوج: تفكيك الأسس الميتافزيقية للمفاهيم السوسيولوجية ومنها للمعرفة السوسيولوجية التي صيغت عن المجتمعات العربية، سواء كانت من نتاج هذه الأخيرة أو من نتاج المجتمعات الغربية، وإعطاء أولولوية للتاريخ في كل كتابة سوسيولوجية، مع الأخذ في الاعتبار أن كل كتابة سوسيولوجية هي كتابة للتاريخ، والعلم والأيديولوجيا. كما أن إنتاج مفاهيم سوسيولوجية من داخل اللغة العربية وسننها بإمكانه أن يساهم في تطوير سوسيولوجيا مخصوصة من ناحية ويساهم في تقليص التبعية لسوسيولوجيا المركز، بالإضافة إلى ضرورة الانفتاح على الفلسفة عموما وعلى فكر الاختلاف بشكل خاص.

هكذا، يتبين لنا أن للنقد المزدوج ضرورته الاستراتيجية كاستراتيجية في تنمية وتطوير سوسيولوجيا العالم العربي (المعهودة) بصفة عامة وسوسيولوجيا المغارب بصفة خاصة وسوسيولوجيا المغرب بصفة أخص، كسوسيولوجيا مغايرة تقوم على الاختلاف والتعدد. تلك هي نفس السوسيولوجيا التي يمكنها أن تتفكر في هذا الاختلاف والتعدد، من خلال أولا وقبل كل شيء النظر وإعادة النظر في سوسيولجيا العالم العربي الحالية، لا من حيث علاقتها بالسوسيولوجيا الغربية كسوسيولوجيا المركز فحسب، وإنما من حيث علاقتها بذاتها (كهامش) أيضا.

إننا نرى في النقد المزدوج فعالية سوسيولوجية. إنه بمثابة مطرقة الخطيبي، كاستراتيجية (سوسيولوجية) تفكيكية بالتعريف من ناحية، وفي فكر الاختلاف عموما، بمحاورته من ناحية ثانية: آلية لمجاوزة سوسيولوجيا العالم العربي الحالية لذاتها، التي يمكنها أن تخلخل جملة من الإشكالات التي تجذرت في سوسيولوجيا العالم العربي: التأخر التاريخي والمجتمعي، العلاقة مع الغرب، الخصوصية والكونية، التراث والحداثة، وغيرها من الإشكالات النظرية والمجتمعية التي طالما أعاقت وتعيق إبداع فعالية سوسيولوجية هامشية.

الإبداع كضحية بين النرجسية والوهم

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ يقال إن رجلا يونانيا كان يدعى "نارسيسوس" تعب من الصيد فجلس على حافّة بحيرة ليستريح، فطالعه انعكاس وجهه الجميل على صفحة المياه، واندهش من فرط جماله إلى درجة أنّه رمى نفسه في البحيرة وغرق. ربما تلك الحكاية تعيد المصطلح إلى جذره اليوناني القديم، وربما هي من الأساطير غير المؤكدة، لكن المؤكد أن النرجسية، التي تحمل صاحبها على محفّة الوهم، هي شعور إنساني متجذر في النفس البشرية، على الرغم من أن العلماء والمحللين الاجتماعيين ظلوا على مدى القرن الماضي يحذرون من مخاطر النرجسية والانشغال الذاتي بالنفس وما تمثله من اضطرابات.

لكن ما هي الحدود الفاصلة بين النرجسية والوهم في عالمنا؟ ولا سيّما بالنسبة لهؤلاء المشتغلين في الأدب على سبيل المثال؟ في الواقع إن الوهم هو أولى علامات النرجسية وحب الذات أو الأعمال الذاتية وتبريرها بعيدا عن المنطق.

يعتقد بعض محللي ما بات يُعرف بعلم النفس الشعبي، مثل روس روزنبرغ، بأن المصطلح يمكن أن نطلقه على الشخص الذي يعتمد على حب الذات المرضي، لأن مثل هذا الشخص يعتمد كليّا على الذات الكاذبة من أجل الحفاظ على وهم أنه في مستوى معين على صعيد الإنتاج الفكري أو العقلي أو العاطفي، وحسب فرويد فإن هؤلاء غالبا ما يكونون ضحية تربية وسلوكيات أسرية منحرفة في طفولتهم حيث يعدّ وجود الحب والعاطفة والحنان والتفهم شرطا أساسيا. وحسب فرويد دائما، فإن الكثير من الآباء والأمهات ينجبون أطفالا من أجل تلبية بعض الحاجات غير المُلبّاة في حياتهم الخاصّة، وفي أغلب الأحيان يولد أطفال غير مرغوب فيهم، إمّا بسبب انعدام الوعي وضعف الإحساس بالمسؤولية، وإمّا بسبب الشراهة الجنسية غير المنضبطة، وبذلك تكون احتياجات الوالدين أسبقية بالنسبة لاحتياجات الأطفال، ولأن الآباء يتمتعون بالسيطرة الكاملة على أطفالهم، فإن مثل هؤلاء الأطفال سينشأون نشأة غير سويّة من الناحية النفسية، خصوصا عندما يُشعر الوالدان أطفالهما بأن حاجاتهم مصدر إزعاج لهما، وأن مشاعرهم ومتطلباتهم تتناقض مع مشاعر الوالدين، وبالتالي فإنّ مثل هؤلاء الأطفال يحاولون التعويض عن عقدهم العميقة تلك بالأوهام عندما يبلغون مرحلة النضج.

وبقدر تعلّق الأمر بالوهم الأدبي والنزعة إلى الاعتقاد بالعبقرية والاختلاف، فإن النتيجة ناجمة بالتأكيد عن النظرة الأحاديّة أو الذاتية وحب النفس المرضي وما تنتجه من تخيلات. ومثل هؤلاء لا يقتنعون بالضرورة في الرأي المخالف الذي يسعى لإظهار حقيقتهم، بل إنّهم يلجأون إلى أساليب وممارسات تزيد من توغلهم في الوهم وتخطي الآخرين.

لقد زاد انتشار مواقع التواصل الإجتماعي وسهولة استخدامها الطين بلّة في الواقع، نتيجة لسهولة النشر والسلوكيات المنحرفة المصاحبة لاستخدامها. وحسب إمبرتو إيكو فإن الكثير من الحمقى باتوا يتوهمون بالعبقرية طالما بمستطاعهم النشر غير المنضبط وغير الخاضع للمعايير، وهو ما بات يهدد المشهد الأدبي والثقافي عموما بالمزيد من الضبابية والغموض والفوضى.

تقول المخرجة الإيرانية سميرة مخملباف في معرض ردّها على سؤال في شأن انتشار الكاميرات والهواتف النقّالة وسهولة التصوير، إن الأمر يشبه تماما ما كان عليه أواخر القرن الماضي عندما كان الجميع يحملون أقلاما، لكن ليس جميعهم بالضرورة يستطيعون كتابة قصة قصيرة أو رواية، كذلك الأمر بالنسبة لحملة الكاميرات. إن ما قصدته سميرة هنا هو الموهبة أو الملَكَة أو القدرة على الإبداع، سمّها ما شئت، تلك التي تتيح لصاحبها إنتاج أو خلق معجزة إبداعية صغيرة ربما بواسطة الأدوات نفسها المتاحة للجميع. لكن في المحصلة يبقى الخلط وانتشار الأوهام آفة تشكل خطرا محدقا بالإبداع الحقيقي.

مقاومة الزمن بالعصيان

مفكر متمرد وكتاب مثير

عبدالرحمان إكيدر
كاتب من المغرب

❑ مجتمعات كثيرة لجأت إلى "العصيان" في مقاومتها للطغيان والاستبداد وكل مظاهر الفساد وتردي الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. إيمانا منها بأن هذه الوسيلة تشكل آلية ضغط لنيل الحقوق المسلوبة، وتحقيق مساعيها المنشودة.

المفكر الفرنسي فريدرك غروس يفكك السؤال الفلسفي والاجتماعي المتعلق بالفكرة الموجودة في كتابه "العصيان" الصادر مؤخرا في باريس، معتبرا أن ظاهرة "العصيان" لا يمكن أن توجد إلا داخل نظام ديمقراطي يتيح إمكانية الضغط المتواصل عليه حتى لا يحيد عن مساره في السعي إلى مزيد من الحرية والديمقراطية. لقد عُد "العصيان" بذلك غريزة إنسانية في حالة كمون، إنها أشبه ما يكون بحالة بركان لم تلتهب صهارته بعد. إنها ظاهرة تطرح مجموعة من التساؤلات المتشعبة، خصوصا بعد التحولات التي شهدها العالم في الآونة الأخيرة.

فلماذا نحن خاضعون جدا، على الرغم من أن دوافع الثورة هي بدورها كثيرة جدا؟

ولماذا نستسلم للقرارات الجائرة، ونقبل بكل بساطة ما قد يشكل ضررا لمصالحنا؟

أليس من حقنا مقاومة الطغيان بالعصيان؟

هي أسئلة تشكل محور العمل الأخير للمفكر الفرنسي فريديريك غروس المعنون بـ"العصيان" الصادر عن دار النشر ألبين ميشال سنة 2017. والكاتب هو من مواليد سنة 1965، متخصص في الفلسفة السياسية، ومتأثر بفكر الفيلسوف ميشال فوكو، من أعماله:

- "فوكو والجنون" (1997).
- "فوكو وشجاعة الحقيقة" (2002).
- "فلسفة المشي" (2008).
- "مبدأ الأمن" (2012).
- "العصيان" (2017).

يحاول غروس في كتابه هذا الأخير إزالة الغشاوة التي تحجب عن أعيننا الرؤية، وذلك عن طريق فك الشفرات التي تطوق هذا المفهوم، وتحليل آلياته وأسبابه وتمظهراته. يفتتح الكاتب مؤلفه بالإحالة على الفصل الخامس من رواية "الإخوة كارامزوف" لدوستوفسكي والموسومة بقصة "مشايخ الرهبان"، التي تكشف عن تسلط الرهبان وطغيانهم ودور الأديرة في فرض ولاء الطاعة والامتثال المطلقين دون أن تكون هناك أيّ ردة فعل أو استنكار. جاء في هذا المقطع "فمن هو الشيخ على وجه التحديد؟ إنه السيد المطلق الذي يسيطر على النفوس والإرادات، ويحتوي في ذاته على جميع ما تجيش به نفوس مريديه من صبوات وأفكار. في حين يختار المريد شيخا لنفسه يتنازل عن حريته، ويلزم نفسه بطاعة مطلقة، ناسيا ذاته كل النسيان. والذي يختار هذا النظام القاسي، ويرضى بتعلم الحياة على هذه الطريقة الرهيبة، إنما يفعل ذلك بإرادته، آملا في أن يصل، بعد محن طويلة، إلى التغلب على ذاته". (دوستوفسكي، الإخوة كارامزوف، ص 62).

ينتقل بعد ذلك المؤلف لاستعراض تسلسل تاريخي للعصيان وتحليله من خلال استحضار النصوص المؤسسة التي تناولت الموضوع، متوقفا عند "مقالة في العبودية الطوعية" للكاتب والقاضي الفرنسي وصاحب النظرية الفوضوية إتين دي لابويسيه (ت. 1563). وفي هذا المقال يهاجم النظام الملكي المطلق والطغيان بوجه عام لمكافحة الدكتاتور، ويؤكد أن الطغاة لديهم السلطة، لأن الشعب أعطاها لهم. وقد تمّ التخلي عن الحرية مرة من قبل المجتمع، وبقيت بعد ذلك متخلى عنها، وفضل الشعب الرق على الحرية وعلى رفض الهيمنة والانصياع. ثم ينتقل فريديريك إلى كتاب "العصيان المدني" للفيلسوف والشاعر الأميركي هنري ديفد تورو (ت. 1862)، الذي كان من أكبر المناهضين للعبودية في بلاده وسخّر حياته للدفاع عن العبيد الفارين من جحيم الاستغلال. ويعد تورو أول من استعمل مصطلح "العصيان المدني" ونظّر له. وقد عارض السياسة الأميركية من خلال رفضه دفع الضرائب، وقد كلفه ذلك الملاحقة والسجن.

يستعرض غروس كذلك بعض دعوات مجموعة من الزعماء والقياديين للعصيان، من ذلك: دعوة الزعيم الهندي غاندي العمال الهنود في جنوب أفريقيا إلى رفض إعطاء بصماتهم تطبيقا لقانون عنصري سنة 1906. ومن ذلك دعوته أيضا سنة 1930 المواطنين الهنود إلى مقاطعة الملح الذي كانت جبايته مصدرا هاما لخزانة السلطات الاستعمارية البريطانية. إضافة إلى دعوة الزعيم الأميركي مارتن لوثر كنغ في ستينات القرن العشرين إلى رفض الانصياع للقوانين العنصرية للولايات الجنوبية في أميركا، للمدافعة عن الحريات المدنية للأقليات.

يسعى غروس بعد هذا التسلسل التاريخي، إلى فهم أمثل وأوسع لهذه الظاهرة في وقتنا الحالي، إضافة إلى إعادة تعلم هذا الفعل، ذلك أن الأخبار التي ترد إلينا يوميا تظهر لنا بعضا ممن يشعلون الشرارة ويدقون ناقوس الإنذار، مثال ذلك "قضية سنودن"، دون أن ننسى تظاهرات المقاومة الجماعية (حركة "احتلوا وول ستريت" في نيويورك سنة 2011، واحتجاجات هونغ كونغ سنة 2014، والتي يشار إليها أيضا بـ"ثورة المظلات"، و"ليلة الوقوف" الفرنسية سنة 2016 ضد قانون العمل الجديد، إلخ.). لقد أفضى كل ذلك إلى ظهور أشكال جديدة للعصيان والتمرد. إن الأمر، إذن، يتعلق بجعل فعل العصيان في قلب الحياة البشرية وفي الأنظمة الديمقراطية. غير أن هذه الدراسة تتطلب العودة إلى تحديد مفهوم الطاعة والامتثال.

يقول غروس في هذا الصدد "لفهم ما يجعلنا نطيع، يجب علينا أولا أن نميّز بين مجموعة من المصطلحات، مثل: الخضوع، والموافقة، والانصياع، والالتزام، والتبعية... وعندها فقط يمكننا فهم مختلف الأشكال التي يتخذها العصيان: التمرد، والثورة، والعدوان، والعصيان المدني، والمعارضة المدنية، إلخ. إننا نطيع عادة بالخضوع الاجتماعي، لأن الطاعة تجمع، بينما العصيان يفرق. نحن أيضا نطيع من أجل الراحة وأحيانا المتعة، وكذلك لأننا لا نستطيع أن نفعل خلاف ذلك. فكيف يمكن للعبد في العصور القديمة، والعامل في القرن التاسع عشر، وأصحاب الديونية المفرطة اليوم، أن يلتزموا جميعا بالطاعة؟ ولكن في الوقت نفسه، وبالنسبة إلى الكثيرين منا، هناك عذر رائع ورائج "لا أستطيع أن أفعل خلاف ذلك". من المريح أن نقول إنه ليس لدينا خيار. لكننا نبالغ في تكلفة عصياننا. نحن نقبل الأشياء الرهيبة، ولكن نقول لطمأنة أنفسنا "في الأساس، إنها ليست لي"، أو "طُلب مني أن أفعل ذلك"، أو "على أيّ حال، كان آخر يفعل ذلك مكاني؟".

إن أولى المفارقات التي يكشف عنها غروس تكمن في أن المشكلة الحقيقية التي طرحها الفلاسفة وعلماء الاجتماع لم تكن في العصيان، وإنما عكس ذلك، في الطاعة المكتسبة بسهولة. لقد كتب ويلهم رايش قبل قرن من الزمان أن "السؤال الحقيقي ليس لماذا تمرّد الناس؟ ولكن لماذا لا يثورون؟" (ص 9). هذا السؤال أعيد طرحه من جديد وبصيغ مختلفة من قبل أجيال من المفكرين الاجتماعيين: منذ إتيان دي لا بويتي إلى ماكس ويبر وبيير بورديو متسائلين عن الذي يدفع الأنظمة السيادية على فرض الهيمنة والإخضاع.

يقول غروس "لقد قبلنا ما هو ليس بالمقبول"، ويستشهد بقولة بريمو ليفي "الوحوش موجودة، لكنها قليلة جدا لتكون خطيرة حقا. إن الرجال العاديين هم الأكثر خطورة، كما أن موظفي الخدمة المدنية على استعداد للاعتقاد والطاعة دون مناقشة" (ص 9). ويعلق فريدريك "إن أسباب عدم قبول الحالة الراهنة في العالم، في مسارها الكارثي، هي كثيرة جدا. وإن تهجئة كل منها سيفضي إلى سلسلة من الكوارث". (ص9). ولعل أبرزها أن الشعوب الخاضعة للاستبداد غالبا ما تركن إلى الخنوع والتخاذل وتتشبع بثقافة الطاعة، في حين تتفنن الأنظمة في مقاومة دعوات العصيان بتعمد تشويه منظميها عبر وسائل الإعلام المختلفة والمؤسسات الدينية التابعة للسلطة، وتصوير أنشطتهم بأنها نوع من التخريب، وليست مظهرا مشروعا للضغط السلمي على المسؤولين. إن المواطن يخضع خوفا، أو التزاما اجتماعيا، أو متعة، ولكن أيضا للهروب من مسؤوليته. وفي المقابل فإن العصيان لا يشكل أدنى تعارضا مع قيم الديمقراطية.

ويضيف غروس في هذا الإطار "إن الأخبار اليائسة تتراكم يوميا على مسامعنا، ولكن في كل مرة، يحصل المرء على انطباع بأننا نعتاد على الأسوأ". يقول والتر بنيامين، إن "الكارثة هي أن تستمر الأمور كما كانت". خذ الأزمة المالية العالمية الرهيبة لعام 2007. فقد قيل لنا إن كل شيء سوف يتغير، وأن النظام المالي سيتم تنظيمه، وسيتم الحد من الأرباح الوحشية ومن كل أصناف المضاربة. بيد أن كل شيء من ذلك لم يحدث، وبدأ كل شيء مرة أخرى كما كان (...) إن العصيان المستمر يعني الثقة في الطرف الآخر، أي ما يُصطلح عليه بالصداقة السياسية. لكن واقع الحال يكشف تفكك شبكات هذا التضامن، ومع ذلك فإن ما أردت أن أظهره في هذا الكتاب، هو طرح إمكانية العصيان من صلب الموضوع السياسي، إنه طموح هذا الكتاب الذي يسعى إلى إزالة الغموض الذي يلف جميع مبرراتنا للطاعة والإطاحة بها. على الرغم من أن جميع معاهد التعليم تكرس وتكرر منذ أمد طويل أن إنسانية الإنسان لا تتأتى إلا من خلال الطاعة، وأما العصيان فهو ما يدل دائما على صحوة الإنسان الباعثة على الوحشية الفوضوية. إن تاريخ القرن العشرين أنتج أشكالا من وحوش الطاعة، مثل محاكمة إيخمان أو تجارب ميلغرام. وفي ظل هذه الظروف، ألا يكون العصيان هو السبيل الوحيد لإعادة اكتشاف الإنسانية؟ إن العالم يتحول بشكل فظيع إلى درجة أنه جعل من العصيان حالة طارئة مشتركة وحارقة، في الآن ذاته.

إن الفكر الفلسفي، في الوقت نفسه الذي يجبرنا على عدم الانصياع إلى الوضوح والعموميات، يجعلنا نعيد اكتشاف الشعور بالمسؤولية السياسية. ذلك في الوقت الذي يتم فيه تقديم قرارات الخبراء نتيجة للإحصاءات الجافة والحسابات المجهولة، يصبح العصيان تأكيدا للبشرية. وهذا الكتاب يدعو إلى الديمقراطية النقدية والمقاومة الأخلاقية.

في هذا الكتاب الذي يسائل فيه الفيلسوف المستنير فريديريك غروس مفهوم "العصيان" بمختلف أبعاده وأشكاله ودوافعه، يخلص إلى أن الإحاطة بهذا المفهوم وفهمه الفهم الأمثل لا يتأتى إلا من خلال استحضار نقيض مفهومه؛ "الطاعة". لقد قدّم غروس مجموعة من الأفكار المرتبطة بهذه الظاهرة التي برزت بقوة في الآونة الأخيرة في حياتنا الاجتماعية. ويؤكد الكاتب على أن عصيان الآخر يمثل أولا، طاعة للنفس، وثانيا، إعطاء معنى لحرية المرء. فالعصيان ينبني على جملة من القيم النبيلة أساسها رفض الظلم والخضوع للطغيان والعمل على تعطيل هذه القوانين الجائرة، ومقاومتها وإزالتها بكل الوسائل السلمية.

فريدرك غروس: الأخبار اليائسة تتراكم يومياً ونحن نتعود على استقبال الاسوأ

رف الكتب

الغضب كانفتاح على الآخر

❑ الغضب هودليل على أن الرابط الاجتماعي في زمن الفردانية يتشكل أول ما يتشكل انطلاقا من الانفعالات. ما الذي يسببه؟ وهل هو إيجابي بالنسبة إلى الإنسان؟من وجهة نظر سيكولوجية، يُنتج الغضب "موجات رديئة" تسيء إلى علاقاتنا بالآخر، أما من وجهة نظر فلسفية فالغضب يمكن أن يكون من أكثر الانفعالات سلامة، فهوبوصفه "قوة دفاع وتأكيد للذات"، كما يفسر الفيلسوف ميشيل إرمان في كتابه "في أقاصي الغضب.. تأملات في انفعال معاصر"، لا يتعارض مع الفرح، بل مع اللامبالاة، والخجل، والحزن، وكلها تؤدي إلى الخضوع. أي أن الغضب في رأيه أبعد ما يكون عن الشغف الحزين الذي ترصفه التقاليد الفلسفية أحيانا مع الضغينة والحسد، لأنه يحمل مطالب، ومثالية كينونة أمام واقع غير مُرض. ومن ثَمّ فإن الغضب، منذ أخيل إلى الناخب المعاصر، يتجلى كانفتاح نحو العالم، فكلاهما يصرخ نحو الآخر، والأشياء، بأنه لم يلق سلاحه بعد.

رأس مدرسة فرنكفورت

❑ "يورغنهابرماس. سيرة" هي بيوغرافيا هامة دوّنها عالم الاجتماع الألماني ستيفان مولر دوم عن هابرماس، آخر المثقفين الكبار على المستوى العالمي، هذا الذي نعت بـ"تصير الحداثة"، و"الضمير العام للجمهورية الفيدرالية" فضلا عن كونه مفكرا يشار إليه بالبنان في شتى أنحاء العالم، حيث ترجمت أعماله إلى نحوخمسين لغة أجنبية.ولكن ليس معنى هذا أن أعماله يمكن أن تلخص وحدها حياته، ذلك أن الرجل دأب على هجر العالم الأكاديمي والانغماس في الحياة العملية وما تمور به من تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية، فقد ساهم بدور كبير في إثراء الجدل حول القضايا المستجدة، أيا ما يكن نوعها، والتأثير بشكل فعال في الذهنيات الألمانية، انسجاما مع فكرمدرسة فرنكفورت التي يعتبر هابرماس أحد مؤسسيها. والكتاب يحاول أن يؤلف بين التأمل الفلسفي والتدخل الثقافي اللذين يطبعان نشاط هذا المفكر، ليعطي عمله بنية متماسكة تعطي فكرة واضحة عن حياة الرجل وأثره في الآن نفسه.

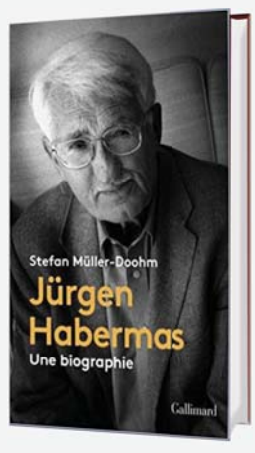

الحيوات على اختلافها

❑ كيف يمكن تصور الحياة في بعدها الحيّ والمعيش، وبعد المادة والتجربة؟ عن هذا السؤال قدمت الفلسفة وكذلك العلوم الاجتماعية مختلف الأجوبة، مؤثرة في الغالب هذا البعد أو ذاك، أي البيولوجي أو البيوغرافي. فهل ثمة إمكانية لتصورهما معا والمصالحة بين المقاربتين الطبيعية والأنسية؟ استنادا إلى سلسلة أبحاث أجريت في ثلاث قارات، ركز الباحث ديدييهفاسان في كتابه "الحياة، طريقة استعمال" على ثلاثة مفاهيم: أشكال الحياة، إيثيقات الحياة، وسياسات الحياة.ففي حالة اللاجئين أو طالبي اللجوء، وعبر التغريبة الإنسانية والتضحية من أجل قضية، على ضوء إحصائيات الوفيات وطرق حساب منح الوفاة، وأخيرا عن طريق بحث جينالوجيوإثنوغرافي، يكشف اقتصاد الحياة عن توترات مريبة في الكيفية التي تعالج بها المجتمعات المعاصرة الكائنات البشرية. بعد تجميع قطع هذه التشكيلة الأنثروبولوجية، كما تجمّع قطع مربكة، تتبدى صورة محيرة: صورة حيوات غير متساوية.

كاتب يوناني في القاهرة التي يحب

ثيودورس غريغورياديس في ندوة مصرية عن رواية يونانية

ثيودوروس غريغورياديس الثاني من اليسار خلال جلسة مع كتاب وصحافيين مصريين

حنان عقيل
كاتبة من مصر

على هامش فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب، عُقدت مائدة مستديرة بعنوان "الحضارة العربية في الرواية اليونانية" شارك فيها الكاتب اليوناني ثيودورس غريغورياديس بالحديث عن راويته "العُزّى.. ألف عاشق وعاشق" التي تُرجمت مؤخرا إلى العربية عن المركز القومي للترجمة بالقاهرة، والتي ناقشها كل من أستاذ الأدب العربي خيري دومة، والمترجم والناقد محمد رمضان، بحضور مترجم الرواية خالد رؤوف وستافرو لاسبانوذي مديرة مؤسسة الثقافة اليونانية بالإسكندرية.

❑ أعرب الكاتب اليوناني ثيودورس غريغورياديس في حديثه مع "العرب" عن سعادته لترجمة روايته في القاهرة والمناقشات التي شهدتها تلك الندوة، والتي جاءت على مستوى كبير من الفهم للروابط والمعتقدات المشتركة ما بين الحضارتين العربية واليونانية، داعيا إلى ضرورة تعزيز الروابط العربية بالجانب الآخر من المتوسط، ليس فقط من خلال العلاقات الاقتصادية، ولكن عبر الثقافة وترجمة الآداب التي تعد وسيلة مهمة كي يعرف بعضنا الآخر بشكل جيّد.

ربة العشق

قدّم الكاتب اليوناني ثيودورس غريغورياديس في الندوة نبذة عن روايته بقوله "العُزى" ربة الحب والخصوبة لدى العرب تتماهى مع الآلهة اليونانية أفروديتي، ويعاد تقديمها في الرواية في أثينا متعددة الأجناس عام 2005 لتسكن في حي كيراميكو حيث تقبع المقابر القديمة للمدينة. العُزّى تختار ناتاشا وتتجسد فيها، كان والدها عالم الآثار الأثيني المنشأ الذي مضى يبحث في الصحراء العربية سعيا وراء جذور اليونانيين والعرب وهناك قابل أمينة التي أحبها وأحضرها معه إلى اليونان. ثمرة هذا الحب العربي اليوناني كانت ناتاشا التي هي الآن في الخمسينات من عمرها، حيث قابلت العشرات من الرجال في موانئ مدن البحر المتوسط ثم تعود إلى مسقط رأسها وبيتها في حي كيراميكو كي تعيد حسابات حياتها وتكتب كتابا عن عشاقها. في هذا البيت تستضيف ناتاشا كل منبوذ ولاجئ ومهاجر من الشرق، كل شاب هرب من التعصب والعنف. توظف لديها محررة أدبية شابة اسمها ماريانا، ستكون هي كاتبة السيرة الذاتية لها ومدرسة اللغة اليونانية للأغراب الذين ستشارك كل من ماريانا وناتاشا في عشقهم.

مسارات حضارية

رغم ما قد تحمله الرواية من خداع ظاهري لغلبة الطابع الرومانسي والعنصر النسائي عليها بشكل ما، إلا أن غريغورياديس لفت إلى أنها تتعمق بشكل كبير في المسارات الحضارية والسياسية لعصرها، كما أنها ذات علاقة بهواجسه وبحثه الدائم عن الهوية وفي التاريخ والجذور التي انحدر منها. مضيفا "قبل ثلاث سنوات من كتابتي للرواية، على الجانب الآخر من شارع أرتيمسو الذي تعيش فيه بطلة الرواية، كان يسكن أحد أصدقائي وكنت أتردد عليه بانتظام. اكتشفت من خلاله هذا الحي الباطني والسري على حدود المدينة الكبيرة وتكتلاتها، وكنت أصعد وأهبط شارع الإسكندر الأكبر الذي يعُج بالمقاهي المصرية، كنت أشتري من المحال الصغيرة للسوريين. الأكراد والمصريون والتونسيون كانوا يسكنون أطلال المباني النيوكلاسيكية إلى أن تم بيعها وجددها ملاكها الجدد.

العزى، ألف عاشق وعاشق؛ هي أول رواية أثينية لي، أي تقع أحداثها في أثينا القديمة، هناك حيث يُكتب التاريخ كمخطوط عتيق يتقابل مع مدينة جديدة ومعاصرة وفوضوية ومتعددة الألوان والأصوات، مدينة متوسطية، شرقية إلى حد كبير، وبشكل أقل أوروبية وبلقانية أو "شرق أثينية" كما كتب أحد النقاد. من هنا بدأت هذه الرحلة الخيالية في شرق المتوسط باحثا عن جذور ربما كنت أرفضها ومحاولا أن أقترب من حضارة الشرق وبالتأكيد الحضارة العربية من خلال البشر. كنت أود أن أطرح التساؤلات الأساسية وألغاز الكتابة كالهوية، محاولا السماح للحكاية ذاتها بالأخير أن تطرح التساؤلات وربما تعطي بعض الإجابات".

أصول البشر المشتركة

من جانبه، تحدث خيري دومة، أستاذ الأدب الحديث، عن رواية العزى بقوله "الكاتب اليوناني ثيودورس غريغورياديس كاتب كبير جدا برأيي، لأن روايته هذه جعلتني أرى العالم كله من جديد، ليس فقط الأدب اليوناني ولكن الأدب العالمي في علاقات الشعوب مع بعضها البعض. هذا أول عمل يترجم للكاتب إلى العربية رغم أنه بدأ الكتابة منذ عام 1982، وأعماله تستحق المزيد من الاهتمام.

اشتغل الكاتب في هذه الرواية على مسألة هوية البشر على جانبي المتوسط. بالطبع بدأت أزمة الهوية مع نشأة الرواية لأنها أزمة متجلية عند العرب المحدثين بشكل كبير ونوقشت أزمة الهوية في علاقة العرب بالغرب من قبل العديد من الأعمال الروائية العربية، وربما تكون رواية 'العُزّى' هي الأولى التي أقرأها على هذا النحو عن أزمة الأثينيين الأوروبيين في علاقتهم مع الجانب الآخر من المتوسط، فهي تُبدي قدرا كبيرا من الفهم لأنها مبنية على بحث الكاتب بصورة جيدة عن جذوره وأصوله وأيضا أصول البشر المشتركة".

تابع دومة "صادفت في الرواية الكثير جدا عن أزمة اليوناني، ورغم أن أعمال ثيودورس متنوعة الأسلوب ويجرب طوال الوقت طرقا جديدة في الكتابة، كما فهمت من حواره مع مجلة 'الجديد'، إلا أنه مهتم بثيمات أساسية على رأسها فكرة البحث الدائم عن الهوية واهتمام خاص جدا بالرحلة والاكتشاف عبر شخصيات مستكشفة ورحالة دائمين يبحثون عن معنى للحياة في عوالم أخرى.

اللافت أن الكاتب اعتمد على النساء كبطلات لأعماله في هذا البحث، ومن ثم فهو يمتلك رؤية تعي جيدا أن النساء هن الأكثر تعبيرا عن أزمة الهوية، إذ تتجلى فيهن الأصول الأسطورية في هذا الكون، ويمكن اعتبار الرواية تجسيدا لفكرة الأنوثة التي تحتل مكانة مهمة جدا في أصول البشر".

تناول دومة في حديثه بعض العناصر المؤثرة في رواية العزى، ومنها الأساطير والتاريخ والأحلام، التي أشار إلى كونها عناصر مؤثرة جدا في الرواية؛ أساطير العزى ورفاقها والأساطير المتبادلة بين جانب المتوسط، وخلط الأسطورة بالحلم، ليس فقط بالنسبة لماريانا وناتاشا، ولكن أيضا والدة ماريانا التي عاشت نفس الحلم وسألت نفس السؤال، ومن ثم فهذا هم دائم للسيدات في أجيال متوالية. ورغم أن العربي في الرواية الغربية دوما ما يكون شخصية مهمشة ونمطية كديكور، ولا أحد من الغربيين جعل العربي بطلا لروايته، كما أن هذه الرواية ليس العربي فيها بطلا أيضا، إلا أنها تتسلح بدراسة وفهم وارتباط بهذا العالم على المتوسط أعمق بكثير مما قدمته الروايات الغربية الأخرى.

اقتران المعتقدات

تحدث المترجم محمد رمضان في البداية عن مكانة آلهة العزى في التاريخ العربي، ومحاولات التعتيم على تاريخ العرب ما قبل الإسلام في الكثير من الكتابات التاريخية. يوضح رمضان أن الحضارة القديمة شهدت ما يسمى بالاقتران، فكل شعب عندما يتأثر بحضارة أخرى يعيد تشكيل معبودات هذه الحضارة وفق حضارته ومعتقداته. وجاء هذا التداخل في الحضارة العربية منذ القرن الأول الميلادي بالتماس مع الحضارة اليونانية والرومانية أكثر لوجودها في بادية الشام. وهو ما يعزز فكرة أن الحضارة في الأساس إنسانية تتناقل أفكارها وفلسفاتها بين الشعوب.

تطرق رمضان إلى الحديث عن أهمية العُزى في التاريخ العربي باعتبارها جزءا من ثالوث مكة والمدينة المكون من اللات والعزى ومناة، إذ كان يقال إن العزى كبيرتها واللات ومناة ابنتاها. من ثم ووفق هذه المعلومات التاريخية يظهر جيدا استيعاب الكاتب للثقافة العربية والتضمينات لقصة العزى والثالوث في رواية "العزى" وإعادة صياغتها بشكل حديث في الرواية.

تلاقح الحضارات

"العزى، ألف عاشق وعاشق" هي سيرة معكوسة لرواية "ألف ليلة وليلة" في التراث العربي، فبينما كان العمل الأخير يتناول رجلا يعشق كل ليلة امرأة، جاءت رواية "العزى" لتتحدث عن امرأة تلبستها روح العزى وبدأت تعشق الرجال وتستمد قوتها من امتصاص الذكور والمحيطين بها بثقافتهم وحضارتهم، حاملة شغفا بفكرة الاختلاف والمزج بين الحضارات والثقافات.

جانب آخر تعرض له المترجم في كلمته وهو قضية اللاجئين التي تطرقت إليها الرواية، ففي الواقع تعد اليونان المحطة الأولى للمهاجرين العرب، والتي ينطلقوا منها في ما بعد إلى بلاد أفضل في الحالة الاقتصادية، ولكن هناك أحياء كاملة تتكون من عرب في اليونان، وجاءت قصة اللاجئين في الصورة الخلفية للأحداث داخل الرواية التي نجحت في نقل الفارق بين فخامة المنزل عند ناتاشا وفقر بيوت اللاجئين.

ثيودورس غريغورياديس

«العزى-ألف عاشق وعاشق»

سيرة معكوسة لألف ليلة وليلة

المثقف النقدي

خالد بيومي
كاتب من مصر

❑ تمرّ هذه الأيام الذكرى التاسعة على رحيل الناقد والمفكر الماركسي محمود أمين العالم (18 فبراير 1922 – 10 يناير 2009). كانت كتاباته تظهره في صور القادر على الجدل والإقناع المزوّد بالعدّة الحقيقية لأي كاتب أو مفكر أو ناقد، من معرفة عميقة شاملة وحس نقدي جارف، وانتصار تام لقضية الجماهير والطبقات الدنيا في المجتمع، لكن معرفته عن كثب كانت تكشف فيه عن كائن شديد الرقة والعذوبة والصفاء والحنو، مؤنس للنفس والعقل، يجيد المجاملة، ويصدر دوما عن لغة عفّة شديدة التهذيب مهما كانت حدة ما يقول وقسوته.

كان العالم صاحب رسالة ومهمة وطنية وهمّ إنساني كبير، وكان مناضلا بطبيعته، رافضا لكل صور العسف والإذلال والكبت، على الرغم من إبعاده عن الجامعة بعد حصوله على رسالة الماجستير وكانت بعنوان "فلسفة المصادفة الموضوعية في الفيزياء الحديثة ودلالتها الفلسفية" والتهيؤ من بعدها للعمل في الدكتوراه، لكنه فصل من الجامعة قبل حصوله عليها لانتمائه السياسي إلى الحركة الشيوعية، ثم معاناته معتقلا سياسيا طيلة عدة سنوات إبان العصر الناصري، وهجرته إلى فرنسا لسنوات طويلة هربا من العسف السياسي في مصر.

والمفارقة أن ذلك كله لم يفقده الحماس لعبدالناصر وإيمانه بزعامته ووطنيته ودفاعه عنه وعن ثورة 23 يوليو 1952 في كل مناسبة.

ولقد كان كتابه المشترك مع شريكه الفكري الناقد والمفكر الدكتور عبدالعزيز أنيس "في الثقافة المصرية" في منتصف خمسينات القرن العشرين يمثل زلزالا نقديا عصف بالكثير من الموازين النقدية والقيم المتداولة، وتبشيرا بفكر جديد ورؤى نقدية جديدة. ومنذ منتصف القرن الماضي واسماهما معا، عنوان لمدرسة جديدة دخلت في معارك فكرية ونقدية مع عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، الذي كان يعلق على كتاباتهما بأنها "يوناني لا يقرأ".

كان العالم وأنيس يستخدمان لغة جديدة، لها معجمها ومصطلحاتها البعيدة كل البعد عن المتداول في ساحة الحياة الثقافية والأدبية، من هنا كان هجوم أنيس على نجيب محفوظ باعتباره معبّرا عن الطبقة الوسطى البورجوازية وليس عن طبقة البروليتاريا الكادحة من العمال.

ويعد كتاب "في أزمة الثقافة المصرية" لرجاء النقاش الذي ظهر بعد كتابهما بعدة سنوات أبلغ رد يتصف بنظرة إنسانية وجودية شاملة دون وقوع في أسر نظرية معينة، والوقوف عند تطبيقاتها الحرفية. لكن العالم يعود فيخصّ نجيب محفوظ -بعد ذلك بعقود من الزمان- بكتاب بديع عن عبقريته ومكانته الروائية، ودراسات أخرى كاشفة عن رحابة منهجه النقدي ورؤاه المتسعة لما كان يضيق به في شبابه إبان انغماسه في الأيديولوجيا.

وقد عصمته دراسته للمنطق والفلسفة من الزلل أو الوقوع في التناقض، فظل طيلة سنوات عمره، وفي كل كتاباته، محافظا على جوهر المفكر الطليعي فيه، والناقد الموسوعي السبّاق إلى المتابعة والاكتشاف قبل أن يلحق به القادمون على الطريق من بعده بسنوات، يقرأ ما لم يقرؤوه بعد، ويعرف ما لم يصل إليه علمهم بعد، ويقودهم في حدب وحنوّ إلى فضاءات أرحب ومدارات أبعد، رائدا من رواد التنوير والفكر الموضوعي الحر.

وكان محمود أمين العالم إذا جاء ذكر أخيه الأكبر شوقي العالم والأديب والمحقق وعضو مجمع اللغة العربية تكاد عيناه تغرورقان بالدموع وهو يتحدث عن شقيقه الأكبر، أستاذه منذ الطفولة المبكرة، والآخذ بيده إلى كنوز الثقافة العربية والتراث العربي وأسراره وموسوعاته، وكيف كان له فضل التأسيس وترسيخ حسه اللغوي وإنضاج وعيه الجمالي بالنماذج الرفيعة من الشعر العربي، وهي أمور مكنته من أن يكون شاعرا تجديديا مغايرا للسائد من حوله في مستهل حياته الأدبية، قبل أن يشغله التخصص الفلسفي، ومعاركه الوطنية والنضالية والفكرية، وهي المعارك التي أسبغت عليه ألقاب: المناضل الكبير والمفكر الكبير والناقد الكبير.

الفراشة المتمردة

سعاد حسني: أيقونة الدلع العربي

سعد القرش
كاتب من مصر

❏ أدِرْ ظهرك لشاطئ الحياة، بنتوءاته وصخوره وأعشابه، وامنح نفسك للموج. أغمض عينيك، وافتح عينك الثالثة، وأطلق خيالك، ثم تمنّ أي شيء، أي أحد. لن يكون سقف خيالك أبعد ولا أعلى من سعاد حسني، فما الذي أعطى هذه الفتاة، دقيقة الملامح، كل هذه الجاذبية؟

إنه السحر الذي لم تشغل نفسها به، وحاول كل منا أن يعرف بعضه، لكننا اتفقنا على أنها الفتاة التي تقابلها مصادفة على شاطئ ما، فتشعر نحوها بمشاعر متنوعة ومتناقضة.. هي روح طليقة، حبيبة غير متكلفة، متمردة نبيلة تؤمن بأن نيل المطالب ليس بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا «كدهه». إنها ببساطة «الحقيقة» التي أنهت فكرة أحلام اليقظة، وأسطورة «فتاة الأحلام» لدى جمهور السينما، لتصبح حلما متجسدا يمشي على قدمين، بثقة لا حدود لها. حلم تتمتع صاحبته بكاريزما أم كلثوم، وطيف ليلى مراد، وجسارة تحية كاريوكا، وانطلاق هند رستم، ودلع شادية، وإباء وطموح نادية لطفي، وجاذبية نجمات كنّ أقرب إلى الكائنات الملائكية، إلا أنها لم تكتسب ذكاء فاتن حمامة، ذلك الذكاء الذي «حرم» سعاد، ظلما، لقب «فنانة القرن»، في استفتاء أفضل مئة فيلم مصري، بمناسبة مئوية السينما عام 1996، وإن «أجمع» المخرجون والفنانون والنقاد على أنها ملكة التمثيل المتوّجة، ولكن بعد الرحيل.

> حتى في أفلامها «الخفيفة»، بإغراء من حسام الدين مصطفى ونيازي مصطفى وغيرهما، كانت تعطي دروسا في الإخلاص للانفعال، كأنها تبرئ ذمتها من «تجارية» الفيلم

يكفي أن أرى لسعاد حسني أو ميريل ستريب مشهدا حتى أشعر بأن الدنيا أجمل، وأن الحياة تحتمل أكثر. «محطة» سعاد حسنى هي الأكثر أهمية في تاريخ السينما المصرية، قبلها بسنوات استطاعت تحية كاريوكا أن «توارب» الباب قليلا، فأطل الجمهور على مفاهيم مختلفة، حول السينما كفن، وعن نسائها كبشر أرقى من الملائكة، لو أخلصوا لبشريتهم ولم ينكروها.

في المشهد الأول من «شباب امرأة» تحقق تحية كاريوكا معنى أن تملك امرأة قرارها، من دون وصاية أي رجل، وفي «الفتوة» تكون في حالة تكافؤ مع الرجل في رحلة الصعود. ولكن الباب ظل مواربا، لأن تحية عنيت بامتلاك المرأة للحظتها الحاضرة. وجاءت الموجة الطاغية، مع سعاد حسني لكي ينفتح الباب تماما، مع مدها النفسي والروحي وموهبتها غير المحدودة، لتؤكد حق الفتاة في امتلاك المستقبل، مستقبلها تحديدا، دون أن يكون ذلك هبة من أحد يستردها متى شاء، ولا يكون ذلك إلا بانتزاع هذا الحق «كدهه». لهذا السبب لم تكن سعاد، في أفلامها، موضوعا للإغراء، ولا للغواية الجنسية، بل موضوعا للحياة ذاتها، كما يجب أن نحياها. ولعلها الفنانة الوحيدة التي أثبتت أن الحياة أجمل من مجرد تخيلها، والحلم بها، وأنها تستحق أن نحبها بجنون، وأن «لونها بمبي»، أو يجب أن يكون، ومؤهلات سعاد في ذلك؛ جسد دقيق، رشيق ومراوغ، وجه شفاف، من فرط صفائه يكشف عن روح تسمح لك بمحاورتها من دون استئذان، وتخاطبك من غير تكلف ولا حذر. أما العينان فتحملان، مع الوجه، خارطة لكل الانفعالات البشرية؛ التفاؤل، الخجل، الحنو، الجنون، الانطلاق، الخوف، الكبرياء، الانكسار، الحزن النبيل. لن يزيد إحساسك نحو هذا الكائن على -ولن يقل عن- فكرة «الوَنَس» والألفة.

سعاد ليست مجرد «الأنثى»، بل الأهم هي «الإنسان».

إذا كان الإعجاز هو الإيجاز، فقد حققت سعاد هذا المعنى، بقدرتها الفائقة على الإيجاز، واختصار انفعالات متداخلة ومعقدة في نظرة واحدة، صامتة.

في فيلم «غروب وشروق» فوجئت بزوجها، وهي في سرير أعز أصدقائه. في اللحظات التي سبقت كلمتها الأولى، قالت عيناها كل شيء، بإيجاز يختصر معاني مركبة، تتجاوز خوفها بطش زوجها، إلى الإشفاق عليه، تخشى عواقب الصدمة، وتأسى عليه. كانت تريد أن تفرّ منه إليه، لكنه ضحية، وهي تعي ذلك، ولا تلومه، وإنما ترجو له ومنه الرحمة!

في الفيلم نفسه مشهد آخر، ليست طرفا في حواره. تابعت عيناها معركة كلامية بين زوجها رشدي أباظة وأبيها محمود المليجي، نظرات ليس أدل منها، ولا أبلغ، في رصد رد الفعل بلا افتعال. لم تكن مضطرّة إلى الكلام، ونظراتها دالة وموحية، بإيجاز يليق دائما بسعاد، وبدراما الموقف.

حتى في أفلامها «الخفيفة»، بإغراء من حسام الدين مصطفى ونيازي مصطفى وغيرهما، كانت تعطي دروسا في الإخلاص للانفعال، كأنها تبرئ ذمتها من «تجارية» الفيلم. في «حواء والقرد»، وهو من الأفلام قليلة الأهمية، مشهد تستدعى فيه سعاد إلى قسم الشرطة، حيث تم احتجاز زوجها محمد عوض، لاتهامه في قضية شرف، وهي الوحيدة القادرة على تبرئته وإخراجه، إذا اعترفت بأنه كان معها ليلة أمس، ولم يغادر البيت. وحين تراه تستدعي ملامحها كل الانفعالات المعقدة والمتناقضة؛ الغيرة عليه، الرغبة في الانتقام منه، الخوف من تركه لعقاب يستحقه. مشهد قصير لكنه درس في فن الأداء.

إيجاز سعاد الإعجازي يتجاوز ملامح الوجه والعينين إلى دراما الصوت أيضا.

أحب السينما حتى أنني أتورط في عملية المشاهدة، ولا أعتبر ما أشاهده أفلاما، أنسى أني على باب دار العرض، أو حين تغيب الإضاءة ويحضر ضياء الشريط. ولأنني لا أنسى تماما أن ما أتابعه مجرد تمثيل، فلا يسهل انتزاع دمعة، ولكن سعاد حسني في فيلم «الزوجة الثانية» فعلتها، وهي تنبه زوجها إلى سقوط أمه، في رحلة الهروب ليلا من الطاغية: «أبوالعلا، الحَق، أمك وقعت». جملة قصيرة، مشحونة باللهفة على الزوج، والخوف على الأم، وتوقع الانتقام من العمدة. انتزعت هذه الجملة مني دمعة سهلة، في إحدى مرات مشاهدة الفيلم الذي وضعها فيه صلاح أبوسيف، في الصدارة لتكون، سيدة الأداء الأولى.

وفي أحد مشاهد «الحب الضائع»، حين همّ رشدي أباظة بالانصراف، عائدا إلى زوجته، بعد منتصف الليل، قالت له: «خليك شوية.. خمس دقايق بس». بضع كلمات محملة بدراما صوت الجسد والروح، رغبات تسمو على الاحتياج الطبيعي لأنثى، للحاجة إلى «إنسان»، إلى دفء ما، إلى «نَفَس» صديق.

نجحت سعاد في تغيير الصورة النمطية للفتاة والمرأة.

قبلها كانت «المصرية» مغلوبة على أمرها، لا تملك مصيرها. نماذج مفعول بها، إلى أن أعلنت سعاد الثورة البيضاء. هي ليست ثائرة، بل متمرد لذيذة، شيك، خفيفة الظل، بهية الجسد والروح، وهي تدرك أنها شيك وظريفة ولذيذة. من خلال هذه الصفات استطاعت تمرير «رسالتها»، من دون أن تدّعي أن لها رسالة، وأعلنت «الزواج على الطريقة الحديثة»، وتمردت على مهنة أمها بإدراك أهمية التعليم الجامعي، في «خلي بالك من زوزو»، وحين تتواطأ على الأم مكائد ومؤامرات تستهدف «زوزو» نفسها، ومستقبلها مع ابن الذوات، تثور على تقاليد بالية، وتخطو بشجاعة لكي تنقذ الأم، وتنتصر للقمة العيش، وتقدم رقصة مدهشة تبدأ بخجل، ثم تكتسب، مع الشعور بالثقة والانتشاء، قوة وحرارة تذيب أوهام «أهل القمة»، وتجبرهم على احترامها.

كما نجحت في تكريس شعور البنت بالثقة، وعدم الخجل من جسدها، أو في المبادرة باختيار مستقبلها وشريك حياتها. حاول أن تستعرض أفلامها.. ابنة وزوجة وأما وصديقة وزميلة وجارة، ولن تملك إلا التعاطف معها، والتوحد مع الشخصية التي تجسدها، فهي لا تستجدي «الحب»، ولا الحياة، بل تسعى إليهما ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، وهي تصنع السبيل. ربما لهذا السبب افتقدناها عشر سنوات، بعد «الراعي والنساء». كنا نتناسى «حكاية» مرضها المزمن، وعلى الرغم من توقع سماع نبأ الوفاة، بين لحظة وأخرى، فإن حدوث الموت، كان له وقع الدهشة. ارتبكنا بحق، لأننا نعتبر سعاد إحدى حقائق الحياة، ورسالتها.. امنح نفسك الحياة، تمنحك الحياة خلودا يليق بك.

مع سعاد يكون الجمهور في حالة عشق للحياة، يتوحد مع بطلة يرفض موتها على الشاشة، وهي منزلة لم تشاركها فيها فنانة أخرى، للمرة الأولى تتغير نهاية «المتوحشة»، من أجل عيون مشاهد لا يريد أن يصدق موت الحياة. حدث ذلك في فيلم «المتوحشة»، وقد انتهت «طبعته» الأولى بموت البطلة، فاعترض الجمهور على تلك النهاية، ولو كانت مجرد «تمثيل». وتفاديا لتحطيم دار العرض، حذفت تلك النهاية، ثم اضطرّ المخرج سمير سيف إلى تصوير نهاية أخرى سعيدة، في سابقة تخص سعاد التي تعرضت في نهاية «الحب الضائع» للموت، ولم يستنكر الجمهور الذي تواطأ مع بركات تلك النهاية، مدركا أنها أقرب إلى الاختفاء لا الموت. قسا الجمهور والمخرج على البطلة، لكي ينقذوا أنفسهم من حيرة مصرية «مزمنة»، تحكمها أخلاقيات اجتماعية، عن ضرورة «إبعاد» الحبيبة، حرصا على وهم الحفاظ على أسرة منهارة، لا حرارة في علاقة طرفيها، ولا تواصل.

يبقى أمر مهم، يتعلق باللغط غير المبرر نشره، حول انتحارها أو سقوطها، وتكرار الخوض في ذلك، تأكيدا أو نفيا، بصورة أقرب إلى انتهاك قدسية الموت، وحرمة الموتى. وبمناسبة «أسطوانة» الانتحار، التي تتردد منذ وفاتها في يونيو 2001، أنقل عن كتاب «ما بعد الإخوان المسلمين؟» لجمال البنا قوله إن أحد المهاجرين من مكة إلى المدينة قد انتحر، تحت تأثير الاكتئاب الناتج عن مغادرة وطنه الأم «مكة»: «انظر هذا الحديث في صحيح مسلم "كتاب الإيمان" الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر، وهو يروي قصة أحد المهاجرين قطع أحد شرايين يده فنزف دمه حتى مات، ثم رآه أحد أصحابه في المنام فقال ما صنع ربك، فقال غفر لي بهجرتي إلى نبيه، ونقلت الرواية للرسول فدعا له. والحديث يخالف المأثور عن خلود المنتحر في النار. وهناك تعتيم فقهي على هذا الحديث».

سندريلا الشاشة العربية: متمردة لا ثائرة

سعاد حسني في لقطات مختلفة: الشامية التي صارت أيقونة الدلع في السينما العربية

سرد نسوي بريشة مصرية

ثناء عزالدين.. حكايات ملونة تكشف عوالم المرأة

شريف الشافعي
كاتب من مصر

❏ في معرضها الأخير "ملامح" بمتحف الفن الحديث في دار الأوبرا بالقاهرة (16- 27 يناير 2018)، قطعت التشكيلية المصرية ثناء عزالدين (75 عاما) شوطا جديدا في رحلة استكشافها عوالم المرأة وتحريرها من براويزها الجامدة، في طرح شيّق ينبني على السرد كتيمة أساسية.

فنانة التصوير، الحاصلة على الماجستير والدكتوراه في فلسفة التصميم، تواصل شغفها الفني والمعرفي بارتياد آفاق الأنثى، ورصد إحداثياتها بدقة، ليس فقط كـ"عروسة" وفق عنوان معرض سابق لها، وإنما في سائر لحظات حياتها، وانخراطاتها الاجتماعية المختلفة، فالمرأة هنا ذات ألف وجه ووجه، والفنانة ذات صدر رحب، يتسع لمعطيات "الملامح" وإشراقاتها.

ثناء عزالدين، ابنة الحضارتين الفرعونية والإسلامية وذات الاطلاع الواسع على منجزاتهما الفنية وأيضا على التراث الروماني والقبطي والوافد الغربي من المدارس الحديثة والمعاصرة، تبحر مع المرأة في هذه المسارات كلها، في نسيج يسمح بالمزج والانصهار من دون تنافر، ويستوعب في خيوطه الصبغة الشعبية كعلامة مسجلة.

تدرك الفنانة أن السرد النسوي بالألوان والخامات أكثر تجريدا وتأثيرا من الحكي بالكلمات، ومن ثم فإنها تستعذب أن تضع نفسها محل "الرواية"، مطلقة بلسان الأنثى العشرات من الحكايات الملونة في فضاء اللوحات المبتكرة، التي تستدعي فيها خبراتها في استلهام العناصر الكتابية والتراثية والطبيعية، والزخارف الهندسية، لخلق دلالاتها التعبيرية الخاصة.

الحركة والسكون

تتعدد الخامات التي تقدم بها ثناء عزالدين أعمال معرضها "ملامح"، بين الأكريليك والبيجمنت على القماش المصبغ والقطن، وتأثيرات صدأ الحديد على الكتان، وصبغات الربط والعقد على القطن الخام، ويكاد يغلب الوجه الأنثوي على أعمالها التصويرية ببطولة مساحية لافتة في متون اللوحات التي قد تحمل خلفياتها زخارف هندسية تحيل على الفن الإسلامي، حيث الحلي والأرابيسك والفسيفساء والخيامية.

وتتسم التصاميم الهندسية في الفن الإسلامي الموروث بتكرار استخدام المربعات والدوائر والنجوم التي تتداخل وتتشابك، وقد برزت الزخارف الهندسية في تيمات متعددة في الفنون والعمارة الإسلامية، كما في الكليم والعقود والفخار والجلود والزجاج المعشق والمشغولات الخشبية والمعدنية والنوافذ والأسقف.

فضلا عن تكرار الوحدات الزخرفية في خلفيات لوحات معرض "ملامح"، فإن الفنانة ثناء عزالدين عمدت إلى تكرار الوجوه النسوية في مجموعة من اللوحات، وقد يحدث التكرار في متن اللوحة الواحدة أو في عدد من اللوحات المتجاورة، على أن الوجه في تكراره يكتسب ملامح مغايرة ودلالات تعبيرية مختلفة، بما يمنح المحتوى خصوبة والمغزى الفكري مستويات تحليلية وتأويلية متوالدة.

هذا الحضور القوي للوجوه الأنثوية التي تروي "الحالات" عبر الملامح المعبرة، يعكس مساحة اهتمام كبيرة وحقيقية لدى الفنانة إزاء عالم المرأة وحالاتها الحياتية وأطوارها وأدوارها الاجتماعية المختلفة، كما تبرزها الفنانة من خلال ترددات ملامح الوجوه، ضمن نسق البناء التشكيلي، وعبر المحيط اللوني والعناصر المستخدمة في التكوين الكلي.

في تقديمها للكيانات النسوية البريئة في إطار ساكن بطله الرئيسي هو الوجه، فإن الفنانة ثناء عزالدين لا تغفل الحركية التي تتجلى من خلال رصد الاختلافات الدقيقة بين الوجوه المتكررة ظاهريّا من جهة، ومن خلال دلالات المشاعر المتفجرة التي تنم عنها ملامح وقسمات الوجوه من ناحية أخرى.

يتلاقى كسر السكونية لدى الفنانة ثناء عزالدين، مع ذلك النفس الملحمي في سرد قصص النساء من خلال الألوان، ورصد مشاهد حياتية متلاحقة تمثل الحاضر الآني، كما تعكس أعمال الفنانة صورا متعددة للمرأة في التراث (عروس المولد، عروس البحر)، وفي السير الشعبية والملاحم، وفي الرسوم والنقوش الفرعونية والرومانية والقبطية والإسلامية.

> تعكس أعمال الفنانة صورا متعددة للمرأة في التراث والسير الشعبية والملاحم وفي الرسوم والنقوش الفرعونية والرومانية والقبطية والإسلامية

المباشر والرمزي

لماذا أطلقت ثناء عزالدين على معرضها "ملامح" ولم تعنونه بـ"وجوه"، على الرغم من أن تنويعات العزف على الوجوه هي السائدة تحديدا في سائر أعمال المعرض، بترددات وتقاسيم مختلفة؟

الإجابة تبدو واضحة في الأعمال ذاتها، التي تقدم مفهوما ثريّا للبورتريه، بوصفه لونا فنيّا يتجاوز تصوير شكل الشخصية في ثباتها نحو أفق أرحب من تقصي مزاجها وقنص الجوهري من انفعالاتها الكامنة تحت السطح في مواقف متغيرة.

معرض ثناء عزالدين هو ملتقى المزج غير المتعسف بين المباشر وغير المباشر من رسائل المرأة، بين الصريح الذي يكتب ذاته بذاته، والمسكوت عنه الذي يتطلب مهارة خاصة في التفاعل معه بإمعان النظر إلى القوة الروحية المتلبسة الوجوه النسوية، تلك الوجوه التي لا تنتمي عادة إلى مكان وزمان محددين، إنما تحمل في أنسجتها الحية عصارة التاريخ المصري منذ عهد الفراعنة وحتى يومنا هذا.

رهان الفنانة ثناء عزالدين الأصعب، ليس في إعادة تركيب العناصر الموروثة المتآلفة أو المتنافرة في نسق منسجم فقط مع طبيعة الحالة، إنما في تلك القدرة على إكساب المجاني والمعروف حيوية جديدة ودهشة طازجة مستمدة من طاقة الفنانة نفسها وخصوصيتها وخبراتها التصميمية والحياتية الفردية، التي تعنيها وحدها دون غيرها.

تقمص الأخريات في تجربة "ملامح" لثناء عزالدين لا يعني أن الفنانة تقف على الحياد أو خارج الموضوع، أو أنها تكتفي بإفساح المجال لبطلاتها لكي يحكين من دون تدخل منها، فهي دائما متفاعلة مع نسائها، متوحدة مع تجاربهن، مقيمة في أزمنتهن وأمكنتهن، واعية بأساطيرهن وسيرهن الشعبية، منغمسة في مشكلاتهن ومآسيهن، لأنها ببساطة واحدة منهن، أو لأنها "هن" جميعا.

"ملامح"، عنوان بسيط لمعرض عميق، يفتح نوافذ شفيفة إلى فضاءات تأملية تخوضها الفنانة ثناء عزالدين بصحبة نسائها المحمّلات بالكثير من الكلمات والألوان والصرخات التي لم يسمعها أحد بعد كما ينبغي.

فنانة تبدع عملها الملحمي من خلال صور حضور المرأة في المجتمع

لعنة ماكبث في باريس

مخرج فرنسي يأخذنا إلى عوالم الهوس بالسلطة ودموية السعي نحو العرش

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ تمتد مسيرة المخرج الفرنسي ستيفان برونشفيك لأكثر من ثلاثين عاما، قدّم فيها العشرات من العروض المسرحيّة في أشهر مسارح فرنسا والعواصم الأوروبيّة، ولا يقتصر نشاطه على الإخراج المسرحيّ بل أخرج كذلك عددا من الأوبرات لموزارت وفيردي وغيرهما، أما في باريس فأقيمت عروضه على خشبات الكولين والكوميدي فرانسيس، والأوديون الذي يديره منذ العام الماضي حيث قدم عرضا بعنوان "فجاة في الصيف السابق"، كما حصل على العديد من الجوائز أهمها في عام 2013 حيث نال وسام الشرف الوطني الفرنسيّ برتبة فارس عن الآداب والفنون.

يقول التقليد المسرحي إن مسرحية ماكبث لوليام شيكسبير ملعونة، ففي كلّ عرض لها يصاب أحد العاملين بمصيبة ما، فالتشاؤم منها يصل حدّ منع لفظ اسم ماكبث خارج العرض أو أثناء التحضير له لكون الاسم يحوي لعنة، لذا يشار لها باسم " المسرحيّة الأسكتلندية" تجنبا لذكر الاسم الملعون، فماكبث تعتبر من أكثر نصوص شيكسبير دمويّة، ويصفها الناقد البولنديّ "يان كوت" بأنها لا تحتوي إلا على موضوعة واحدة فقط تحضر طوال النص، وهي القتل، وكأننا في عالم أفراده إما قتلة وإما مقتولون، هذا العام يحضر ماكبث وعوالمه بشكل معاصر على خشبة الأوديون بتوقيع المخرج ستيفان برونشفيك، لنترقب خلال ثلاث ساعات غابة تمشي وماكبث يُقتل على يد رجل لم تلده امرأة.

أول ما يشدّ الانتباه في المسرحيّة هو السينوغرافيا التي صممها برونشفيك نفسه والتي تعكس قراءته للنص، فالمسرحيّة ليست بالدموية المعتادة، فالعرض يركّز على مطامع ماكبث السياسيّة وتأثيرها عليه كإنسان، فالأحداث تدور في مكانين فقط، في المطبخ حيث السكاكين والرخام الملطخ بدماء ضحايا ماكبث، لننتقل بعدها إلى صالة فخمة تمثل البلاط وألاعيب السياسة وتنميقها الزائف، ليحضر التناقض بين فضاء المطبخ الغرائزي الذي يحدث فيه القتل الفرديّ وتحضر فيه الساحرات ونبوءاتهن، وبين الفضاء الأرستقراطي السياسي الذي تُقرّر فيه الحروب ومصائر الشعوب والجيوش.

يظهر ماكبث في المسرحيّة أشبه بأمير حرب، طماع، جشع، قاتل لا يعرف الرحمة، متهكم وساخر في بعض الأحيان، فهو يعكس صورة السياسي الطاغيّة، أما اللايدي ماكبث فلا نراها فعالة في دفع ماكبث إلى القتل أو حتى انعكاسا له، هي مجرد زوجة لطاغية تقف إلى جانبه، وتظهر ساذجة في بعض الأحيان.

لا تبدو الشخوص في المسرحيّة وحشيّة أو مهووسة بالانتقام أو السلطة حدّ الجنون، بل حتى أن علاقة ماكبث مع الساحرات تبدو "عاديّة" وأقرب إلى الكوميديا، وكأننا أمام قائد سياسيّ وأهوائه الشخصيّة بالسلطة لا قاتل تعميه الدماء، فالرعب الذي نتوقع أن نراه في ماكبث يتلاشى، لنرى أنفسنا أمام صراعات سياسيّة لا أمام صراع تراجيديّ ودماء لن تنتهي، لتبقى مشاهد القتل هي الوحيدة ذات التأثير الصادم وخصوصا حين نرى رأس ماكبث أمامنا على الخشبة، ثم تتويج ماكداف.

تعكس المسرحيّة صراعا بين قوتين يمثلان خيارات برونشفيك لمحركات التراجيديا بوصفها محاكمة لحقائق العالم، فنحن نرى البشري وطبيعته متمثلين في ماكبث القاتل، والسلطة ومؤسساتها التي تتمثل في ماكبث السياسيّ، لتصبح الحقيقة التراجيدية نتاج الصراع بين هاتين القوتين، وهذا ما يدفعنا إلى أن نطرح السؤال على أنفسنا نحن ضحايا هذه الصراعات، فهل ما نراه حقيقة هو صراع سياسيّ أم أهواء شخصيّة؟ وخصوصا أن ماكبث قتل من قبل وهو رجل معارك لا تخيفه الدماء، فالمسرحيّة تطرح التساؤلات عن قتل رأس السلطة، الملك صاحب السيادة الكاملة، وخصوصا أنه بعد قتله لدانكن يفقد ماكبث المرجعيّة الأخلاقيّة للقتل، وكأن قتل الملك الذي يُمكن له التعالي عن القانون والسلطة يؤدي إلى انحلال من نظام الأخلاق البشريّة، وكأن هذه الأخلاق نتاج نظام سياسي، ولا تلبث أن تتلاشى في مساحات الاستثناء التي تتحرك فوق النظام السياسي ذاته لكونها ترتبط بجسد الملك نفسه.

ثلاثة مشاهد من «ماكبث» بوصفه أمير حرب

اكتشاف تحفة سينمائية من فلسطين في مهرجان روتردام

«التقارير عن ساره وسليم» لمؤيد عليان

سليم وساره.. خطأ إدخال اليهودية وسط الفلسطينيين في بيت لحم

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ يعتبر الفيلم الروائي الطويل "التقارير عن ساره وسليم"، للمخرج الفلسطيني مؤيد عليان، الاكتشاف الحقيقي في الدورة الـ47 من مهرجان روتردام السينمائي، حيث عرض للمرة الأولى على المستوى العالمي وحظي بتقديرات كبيرة من جانب الجمهور في استطلاعات الرأي اليومية، ولا شك أنه سيجوب روتردام الكثير من المهرجانات السينمائية الأخرى، لكنه قد يواجه مشكلة في العالم العربي بسبب ظهور مشاركة بعض الممثلين الإسرائيليين.

الفيلم هو العمل الروائي الطويل الثاني لمؤيد عليان وشقيقه كاتب السيناريو رامي عليان بعد "حب وسرقة ومشاكل أخرى" (2915). ومؤيد مخرج فلسطيني من العاملين داخل فلسطين التاريخية، وهو يقيم في مدينة القدس، وتدور أحداث فيلمه في القسم الشرقي من المدينة، وهو يجمع بين ممثلين من فلسطينيي الداخل، وبعض الممثلين من اليهود الإسرائيليين، ليس بهدف "التطبيع" بل لأن هذا ما تفرضه دراما الفيلم ورغبة مخرجه في إضفاء الواقعية على عمله، كما تفرضه أيضا ظروف العمل في الأرض المحتلة. وعادة يكون الممثلون الذين يعملون في الأفلام الفلسطينية من المساندين لحقوق الفلسطينيين.

الفيلم من الإنتاج الفلسطيني، وقد اشتركت في إنتاجه شركات من هولندا وألمانيا والمكسيك، كما حصل على دعم من مؤسسات عربية من بينها الصندوق العربي للثقافة والفنون "آفاق"، وفيلم "لاب: فلسطين". ويعتبر سيناريو الفيلم الذي كتبه رامي عليان أحد أفضل السيناريوهات في السينما الفلسطينية، وهو يسير في توازن دقيق محسوب جيدا، سواء في العلاقات بين الشخصيات المختلفة، أو في ضبط الحبكة ودفعها إلى الأمام في شكل أقرب إلى أسلوب فيلم التحقيق البوليسي ولكن على غرار الأفلام التي يصنعها المخرج الإيراني أصغر فرهادي.

يبدأ الفيلم من علاقة جسدية ملتهبة بين سيدة يهودية متزوجة هي "ساره" التي تمتلك مقهى، وشاب فلسطيني يقوم بتوزيع المخبوزات باستخدام سيارة نقل صغيرة. ساره متزوجة ولديها ابنة في السابعة من عمرها هي فلورا، وزوجها ضابط في الوحدات الخاصة الإسرائيلية التي تستهدف النشطاء الفلسطينيين. و"سليم" متزوج من "بيسان" الحامل في طفله الأول. ولذلك فالاثنان يتقابلان سرا لممارسة الجنس في سيارة النقل الصغيرة.

لسنا أمام علاقة خيانة زوجية تقليدية، فسرعان ما ستفجر هذه العلاقة الكثير من القضايا السياسية التي تتعلق بطبيعة الواقع المشحون بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

سليم مجتهد في عمله ينقل المخبوزات لحساب مخبز إسرائيلي، لكنه يعاني من قلة الدخل، لذلك فقد اضطر إلى السكن في شقة بمنزل عائلة زوجته حيث يساعده شقيقها "محمود" قدر استطاعته، لكن سليم غير راض عن هذه المساعدة، بل تجعله يشعر بالمهانة والضعة. لكنه يقبل عندما يغلف محمود مساعدته بطابع عملي عندما يكلفه بنقل بعض السلع الضرورية إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية،على أن يقتسم الإثنان الأرباح.

ربما كان شعور سليم بعدم الارتياح بسبب وجوده تحت رحمة عائلة زوجته، بالإضافة إلى رفض زوجته الحامل مضاجعته بدافع الخوف- كما تقول- على الجنين، هما الدافعان وراء تمادي سليم في علاقته الجنسية مع "ساره". أما ساره فرغم استقرار حياتها الزوجية وتمتعها بالعيش في مسكن فسيح، يطل من أعلى ربوة على مدينة القدس في منظر خلاب، واستقلالها الاقتصادي (هي تمتلك وتدير المقهى)، إلا أنها تعاني من برودة علاقتها بزوجها "دافيد" الذي ينشغل عنها في عمله المجهد الذي يكرس له كل وقته، خاصة بعد حصوله على ترقية.

شخصيات الفيلم

لدينا حتى الآن خمس شخصيات، لكن ليس من الممكن الحديث عن شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، فشخصيات الفيلم تتمتع بمساحة جيدة وأدوار عضوية في نسيج الفيلم، وهذه حسنة أخرى من حسنات السيناريو. وكلما شعر المشاهد بأن "الحبكة" أصبحت واضحة ولم تعد هناك حاجة إلى المزيد من الأحداث، يفاجئنا السيناريو بدخول أطراف أخرى تضيف إضافات جوهرية إلى الفيلم. لدينا الآن سليم وبيسان، وساره ودافيد، ومحمود، ولكن مع تراجع الجانب المتعلق بالجنس، تتضح العقدة السياسية، فيدخلنا الفيلم إلى قضية الاحتلال ونظرة الإسرائيلي إلى "الآخر" بل ونظرة الفلسطيني إلى الفلسطيني، في ظل أوضاع يشوبها التوتر الشديد على جانبي الجدار الفاصل.

الذهاب إلى الطرف الآخر

في لحظة نزق، أو شعور بالملل، أو رغبة في حب الاستطلاع، تطلب ساره أن تصحب سليم ليلا إلى بيت لحم حيث سيقوم بتوزيع بعض السلع، على أن يعودا معا لإطفاء ظمأ الرغبة في سيارته كما اعتادا. هناك يعرجان على مقصف لتناول الشراب حيث تتظاهر ساره بأنها سائحة هولندية، وتتحدث الإنكليزية بدلا من العبرية، لكن أمرها ينكشف أمام شاب فلسطيني ثمل يصر على أن يجذبها لترقص معه فتنشب مشاجرة بينه وبين سليم، يتوعده الشاب على إثرها شرا. "خطيئة" إدخال ساره اليهودية إلى وسط الفلسطينيين في بيت لحم، سيدفع سليم ثمنها باهظا. تعتقله المخابرات الفلسطينية بناء على تقرير حول علاقته بامرأة إسرائيلية، غالبا جاءت الوشاية من طرف الشاب الذي تشاجر معه في بيت لحم، لكن الاتهامات تشمل المخدرات والدعارة، فهو متهم بجلب امرأة يهودية بغرض الدعارة. نعلم بالطبع أن سليم بريء من هذه الاتهامات، لكنه مذنب بسبب خيانته لزوجته. ولا تتغاضى المخابرات الفلسطينية عن فعلته إلا بعد تدخل "أبو إبراهيم" أحد كبار القادة في الضفة، ولكن شريطة أن يكتب سليم تقريرا يعترف فيه بأنه قام بتجنيد "امرأة إسرائيلية"، ليس بغرض الدعارة، ولكن للتجسس لحساب الفلسطينيين، دون حاجة إلى ذكر اسمها. أي أن سليم البعيد كل البعد عن السياسة، يجد نفسه منغمسا في قضية ذات طابع سياسي مباشر. وهو يرضخ ويكتب التقرير المطلوب، ثم المزيد من التقارير، حتى لا يفتضح أمره أمام زوجته، خاصة بعد أن استدعي شقيقها محمود الذي توسط له عند "أبو إبراهيم".

لا تنتهي الكارثة هنا، فوحدة دافيد العسكرية تشن حملة مداهمات في رام الله، يروح ضحيتها- كما تقول الأخبار- عدد كبير من الفلسطينيين، لكن الأخطر أن القوات الإسرائيلية تقتحم مقر المخابرات الفلسطينية وتصادر محتوياته، وبالتالي تقع "التقارير" في يدي رئيس الوحدة "أفي" فيعتقل سليم ويقوم بتعذيبه حتى يعترف باسم المرأة اليهودية التي قام بتجنيدها، لكن سليم يصمد. وتأتي محامية فلسطينية هي "مريم" للدفاع عنه، لكنها تريد شهود نفي لا يمكنها العثور عليهم. وعندما يعترف لها بحقيقة علاقته بساره، تحاول الاتصال بها لإقناعها بأن تشهد لصالحه لكن ساره تتنصل، ولا يمضي وقت طويل قبل أن يعرف "دافيد" بخيانة ساره له، لكنه يخشى أن تكون قد وقعت في "خيانة إسرائيل".

تساؤلات مشروعة

هل ستعرف بيسان زوجة سليم بما فعله سليم؟ وماذا ستفعل؟ وهل ستمضي في مهمة تحر لجمع أطراف القصة ومعرفة الحقيقة كاملة؟ وماذ ستفعل عندئذ؟ هل ستقف إلى جوار زوجها السجين المهدد بعشر سنوات في السجن أم ستلعنه وتتنصل منه؟ هل ستكشف حقيقته للفلسطينيين في الخارج، الذين يعتبرونه بطلا ويعلقون صوره على الجدران أم ستحافظ على صورته باعتباره والد طفلها المنتظر؟

من الجهة الأخرى: ماذا سيحدث لساره في علاقتها بزوجها؟ وكيف سيكون ردة فعل "دافيد"، ثم انعكاس القضية على عمله خاصة بعد أن يكتشف رؤساؤه أنه أدلى بمعلومات شديدة السرية لزوجته؟ وهل ستتمكن المحامية المدافعة عن حقوق "الأسرى" الفلسطينيين من إنقاذ سليم؟

دافيد وبيسان كلاهما ضحية الخيانة، لكنهما ليسا متساويين، فدافيد يحاول تهديد بيسان والاعتداء عليها في منزلها كما يتوعد سليم بأن يقضي حياته كلها وراء القضبان. وساره أخطأت ويتعين عليها أن تدفع الثمن الآن، لكنها ربما تفضل التكفير عن خطيئتها بأن تفعل شيئا جيدا. وبيسان ضحية مزدوجة: للاحتلال من جهة، ولسليم من جهة أخرى. لكن سليم يصبح ضحية الطرفين: الفلسطيني والإسرائيلي في مناخ انعدام الثقة والتوتر الدائم والقمع المستمر.

إننا أمام دراما شديدة التعقيد لكنها تسير في سلاسة، وتسلسل منطقي، تبدأ من تساؤل أخلاقي وتمتد لتطرح تساؤلات أكبر عن الضحية والجلاد والمذنب والقامع، عمن هو المعتدي ومن هو ضحية العدوان، وهل الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي أخلاقي أم سياسي؟ ومثل هذه التساؤلات الكامنة تحت جلد الدراما، هي ما يمنح هذا الفيلم خصوصيته وجماله الداخلي.

عن الإخراج

لدينا اختيار جيد لمواقع الأحداث، وتصميم فني بديع: منزل ساره ودافيد الفسيح الجميل المنسق، في تناقضه مع شقة بيسان وسليم الضيقة الفقيرة (مصمم المناظر بشار حسونة). ولدينا تصوير يحرص على إضفاء الواقعية على الصور دون إفراط في الضوء، بل ينتقل في نعومة، من الداخل إلى الخارج، ومن النهار إلى الليل، بفضل براعة مدير التصوير الألماني سباستيان بوك. يتميز الفيلم أيضا بإيقاع متماسك داخل المشهد الواحد، وإيقاع عام للفيلم يتدفق بسلاسة دون وجود لقطة زائدة أو أخرى ناقصة. ويدرك المخرج بالتعاون مع المونتير (سمير قمصية) متى وأين ينتقل من مكان إلى آخر، لا تضيع منه شخصية في الزحام، ولا يغفل عن تفصيلة من التفاصيل التي ألقى بها في مسار الفيلم في البداية دون أن تلفت نظرنا، لكننا سنكتشف أن دلالتها كبيرة في ما بعد. ومثالا على هذا: يصر دافيد أمام رؤسائه أنه لم يبح لزوجته قط بتفاصيل سرية تتعلق بعمله. لكن رئيسه يفاجئه بتسجيل مكالمة أجرتها زوجته ساره، تطلب من سليم عدم الذهاب إلى رام الله "التي ستشهد عملية عسكرية تلك الليلة". وكان دافيد قد اعترف لها بالفعل أنه سيتولى قيادة القوة التي ستشن الغارة على رام الله.

يختار مؤيد عليان زواياه بعناية، يجعل الكاميرا تتلصص عندما يقتضي ذلك، أو يجعلها شاهدا على الحدث، أو اقتحامية من دون اعتداء، يهتم كثيرا بتكوين اللقطات، وبالحركة خارج الكادر، تستطيع أن تستنتج من دون أن ترى، وأن تشعر من دون أن تقترب. ولا يفرط كثيرا في تحريك الكاميرا لكي لا يفسد المناخ الواقعي. إنه يجعلها تهتز في ارتباك مع ارتباك بطله ضحية الواقع السياسي المتشابك في فلسطين. لكن سيطرة عليان على الممثلين مدهشة.

عن التمثيل

لا شك أن من أهم عوامل نجاح الفيلم وتأثيره الكبير يرجع إلى أداء مجموعة الممثلين جميعا وفي مقدمتهم بالطبع أديب صفدي في دور سليم، بتعبيره البليغ عن الفلسطيني "البسيط" الذي يريد أن يعمل ويعيش ويبحث أيضا عن المتعة خارج الزواج، ولكن خطيئته هذه ستسقطه في هاوية سحيقة. لا تقل عنه قوة في الأداء الممثلة سيفان كريتشنر في دور ساره، التي تنتقل ما بين المرأة المغوية اللعوب إلى الزوجة والأم، ثم إلى الشعور بالذنب والرغبة في التكفير في النهاية. وكعادتها تتميز ميساء عبدالهادي في دور بيسان، التي تعاني من آلام الحمل وتتحامل لكي تدافع عن كرامتها كامرأة، لكنها تريد أيضا أن ترد الضربة إلى المحتل قبل أن تنتقم من الزوج. من الأدوار المتميزة كثيرا أيضا دور "أبو إبراهيم" الذي أداه بصدق وإقناع وبساطة كامل الباشا رغم ظهوره القصير، ومحمد عيد في دور محمود الذي جاء شديد الإقناع، وإيشال غولان في دور دافيد المكتئب المكنب على دوره كممثل لشراسة المحتل.

"التقارير عن ساره وسليم" لا يقل أهمية عن فيلم "عمر" لهاني أبوأسعد. لكني أنصح مخرجه باختيار اسم آخر له أكثر تعبيرا ودلالة وبساطة أيضا من هذا العنوان "التقريري"!

ميساء عبدالهادي في دور الزوجة بيسان التي تبحث عن الحقيقة

سليم يواجه قضاء حياته وراء القضبان بسبب خطأ

الظواهر المناخية غير الاعتيادية عوامل جذب سياحي جديدة

أصوات البراكين المرعبة والانبعاثات السامة مصدر إلهام المؤسسات السياحية

هوس السلفي يتغلب على هاجس الخوف من الطبيعة الغاضبة

يعمل المهتمون بقطاع السياحة على إضافة مقومات جذب جديدة إلى قوائم الدليل السياحي ببعض الأماكن لضمان استقطاب أعداد غفيرة من السياح إليها، وركزت بعض وكالات السفر على عوامل جديدة ساهمت في انتعاش السياحة بمناطق دون أخرى للترويج لخدماتها متمثلة في ظواهر مناخية غير اعتيادية.

❑ **لندن** – يحتاج قرار تحديد وجهة سياحية مناسبة للاستمتاع بعطلة رائقة بالنسبة لعشاق السياحة والسفر إلى الكثير من عوامل الجذب، وظهرت عوامل جديدة ومثيرة يمكن أن تصبح في أعلى قوائم الدليل السياحي الرائج في الآونة الأخيرة، وكان أبرزها ظهور عوامل مناخية غير مألوفة ببعض الدول.

ويبحث محبو المغامرة عن أشد الأماكن خطورة لزيارتها وتمضية أوقات لا تنسى بها.

حمم البركان ثروة

تسبب ثوران بركان مايون في الفلبين في فرار عشرات الآلاف من السكان من منازلهم، لكنه في المقابل جذب أعدادا كبيرة من السياح الراغبين في مشاهدته من أقرب مسافة ممكنة.

> طبقة سميكة من الثلج غطت مدينتي زاكورة ووارزازات عند أبواب الصحراء في جنوب المغرب في ظاهرة مناخية غير مألوفة

وبدأ هذا البركان منذ مدة قصيرة يقذف ما في جوفه من حمم، دافعا عشرات الآلاف من السكان إلى مغادرة المناطق المجاورة له. لكن على تخوم "منطقة الخطر" المحددة بدائرة قطرها تسعة كيلومترات حول الفوهة، تعيش المطاعم والفنادق ازدهارا لم تعتد عليه في هذا الموسم الذي تنحسر فيه حركة السياحة عادة.

ويتوافد إلى هذه المطاعم والفنادق الآلاف من السياح الراغبين في مراقبة البركان من أدنى مسافة ممكنة، وهو ما ساهم في انتعاش اقتصادي على تخوم منطقة منكوبة.

وقالت بروينا أراوجو الموظفة في فندق فيستا آل مايون "نحن ممتنون للبركان لأننا ننعم بحركة زبائن نشطة".

وما زالت هذه المنطقة الزراعية عرضة لاحتمال وقوع ثوران كبير.

وتقع الفلبين على ما يعرف باسم حزام النار في المحيط الهادئ، وهو منطقة تتقاطع فيها الصفائح التكتونية، مصدر النشاط الزلزالي والبركاني.

ويبلغ ارتفاع البركان 2460 مترا، وهو يقع على بعد 330 كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من العاصمة مانيلا.

وهذا الثوران هو الثاني والخمسون في 400 عام، ما يجعل هذا البركان الأنشط من البراكين الاثنين والعشرين في الفلبين. لكن الأصوات المرعبة التي يصدرها البركان والانبعاثات التي عادة ما تثير الذعر في النفوس، تشكّل هذه المرة مصدر إلهام للمؤسسات السياحية التي صار جبل النار هذا حاضرا في صورها الدعائية ومنشوراتها.

ومن الأطباق المقدّمة في واحد من المطاعم المحلية مايون هوت لافا (حمم بركان مايون الساخنة)، وهو نوع من المثلجات على شكل بركان. أما الفنادق الفاخرة فتبث لنزلائها صورا مباشرة من ثوران البركان، ويتسابق لحجز غرفها الصحافيون والسياح الراغبون في أن يكونوا أقرب إلى مركز الحدث.

وبلغ الارتفاع في عدد السياح مؤخرا في مقاطعة ألباي 10 بالمئة مقارنة بالعام الماضي، وتعرب شركات السياحة والمرشدون السياحيون عن سعادتهم بهذا التدفق السياحي في وقت عادة ما يكون راكدا بعد انقضاء عطلة عيد الميلاد ورأس السنة.

ويحاول السياح التقاط صور تظهر البركان وراءهم، لكن الغيوم تبدد محاولاتهم أحيانا.

وقالت هوهانا لوتيرينا مرشدة سياحية "نروي للسياح الأسطورة التي تقول إن الغيوم تأتي لتحجب البركان حين لا يكون راغبا في أن يراه أحد".

وبعيدا عن حرارة البركان الثائر ومحبي المغامرة يستهوي منظر الثلوج المتساقطة الراغبين في التزلج واللعب بكرات الثلج، لا سيما إذا كان هذا الثلج أمرا مستجدا وغير مألوف يغطي صحراء شاسعة اعتاد زائروها على موجات حر كبيرة.

ثلوج في الصحراء

تغطي طبقة سميكة من الثلج مدينتي زاكورة ووارزازات عند أبواب الصحراء في جنوب المغرب في ظاهرة مناخية غير مألوفة عائدة إلى موجة برد آتية من شمال أوروبا.

وقد تداولت وسائل التواصل الاجتماعي صورا للمدينتين ومدينة تارودانت في جنوب البلاد وقد غطتها الثلوج.

وقال أحد سكان زاكورة الواقعة على بعد حوالي 700 كيلومتر من الرباط "لقد تساقطت الثلوج في زاكورة آخر مرة في الستينات، نحن معتادون هنا على موجات الحر والجفاف أكثر من الثلوج.. السكان مذهولون".

واتسمت عطلة نهاية الأسبوع الماضي في المغرب بموجة من البرد القارس، وهي الثانية في غضون أسابيع قليلة، وقد تسببت في تساقط ثلوج غير اعتيادية في مناطق قاحلة من البلاد.

منتجع الصواريخ الباليستية

وأظهر زعيم كوريا الشمالية كيم جونغ أون أن هناك عاملا آخر يمكن أن يساهم في التنشيط السياحي لمحبي المغامرة، من خلال سعيه إلى جذب السياح لبلاده عبر الإعلان عن منتجع سياحي فاخر، سيُقام في منطقة تستخدم لاختبارات الصواريخ الباليستية.

وكشف الزعيم الكوري الشمالي، بحسب تقرير لصحيفة دايلي ميل البريطانية، عن مسعاه "الغريب".

وأفاد الزعيم الكوري بأن المنتجع سيُبنى في كانغوون شرقا داخل المقاطعة التي هبطت فيها 3 صواريخ باليستية قصيرة المدى العام الماضي، بعد إطلاقها من الشمال.

وذكرت وكالة الأنباء المركزية الكورية الشمالية أن المنتجع السياحي الفاخر المنشود، سيلبي احتياجات السياح المحليين والأجانب، وسيكون المكان الأمثل لربط مختلف الوجهات السياحية بمنطقة وونسان مت كومغانغ السياحية الدولية.

وكشفت بعض التفاصيل أن المنتجع يشمل "شاطئا رمليا مشهورا"، مؤكدة أن المشروع المزمع سيضع السياحة في كوريا الشمالية "على مستوى عالمي".

وأشارت الصحيفة إلى أن المنتجع السياحي سيقام في مكان مخيم سونغدون الدولي للأطفال، في مقاطعة كانغوون، والذي أنشئ في ستينات القرن الماضي وأجريت له بعض التعديلات قبل زيارة كيم له عام 2014.

أفضل حدائق الألعاب البريطانية

❑ تتيح حديقة بولتونس الواقعة بمقاطعة هامبشير (جنوب بريطانيا)، بمساحتها الواسعة، للأطفال استخدام الكثير من الألعاب مثل لعبة الحصان، وملكة جمال الأرانب، والركوب على الديناصور. ويمكن القيام بالحجز عبر الإنترنت.

❑ صممت حديقة منتجع ليغولاند وندسور خصيصا للأطفال تحت سن الثانية عشرة، وتقدم جوا عائليا للاسترخاء، والكثير من المغامرات التي يمكن أن يشارك فيها جميع أفراد العائلة. وهنالك مركز مخصص لرعاية الأطفال الرضع وتقديم الأغذية المناسبة لهم.

❑ تتميز حدائق منتجع ألتون تاورز بمقاطعة ستافوردشاير باحتوائها على الكثير من الألعاب الخاصة بالأطفال، بالإضافة إلى فندق ملحق بها خاص بالسياح. ويمكن للعائلات الاستمتاع بـ14 لعبة مختلفة مثل لعبة الخفاش، وركوب القوارب الجميلة.

❑ تم تصميم حدائق غوليفر خصيصا للعائلات، ولا يسمح للبالغين من دون أطفال (بين 2 و13 عاما) دخول الحديقة التي تتميز باحتوائها على الكثير من الألعاب الخاصة بالأطفال كاللعبة الأفعوانية وركوب المياه والخيول.

زوم على السياحة

● أطلقت دائرة السياحة والتسويق التجاري بدبي "دبي للسياحة" جولتين رقميتين بعدة لغات للإرشاد السياحي لمساعدة زوار الإمارة الإماراتية على استكشاف أبرز المواقع التاريخية والسياحية والثقافية. وتتوفر الجولتان مجانا على كل من التطبيقين الرقميين "ويس ماب" و"بوكيت جايد".

● قال مكتب حكومي في سلوفينيا، مؤخرا، إن عدد السياح الأجانب الذين يزورون البلاد ارتفع إلى 17 بالمئة تقريبا العام الماضي ليصل إلى 3.4 ملايين سائح، مؤكدا أنه من بين أسباب هذه الزيادة أن ميلانيا ترامب زوجة الرئيس الأميركي الحالي دونالد ترامب ولدت في هذا البلد.

● كشف أحمد عظوم، وزير الشؤون الدينية التونسي، أن "التعايش بين الأديان في تونس أثبت أنها بلاد تسامح ومحبة، ولعب دورا مهما في انتعاش السياحة". واعتبر كبير أحبار اليهود في تونس، جاكوب لولوش، أن "العالم يدرك جيّدا أنّ تونس تحترم كل الديانات، وهو ما جعل منها مقصدا للعديد من السياح".

تقنية جديدة لتجديد الأنسجة

طباعة بيولوجية ترمم أعضاء الجسد التالفة

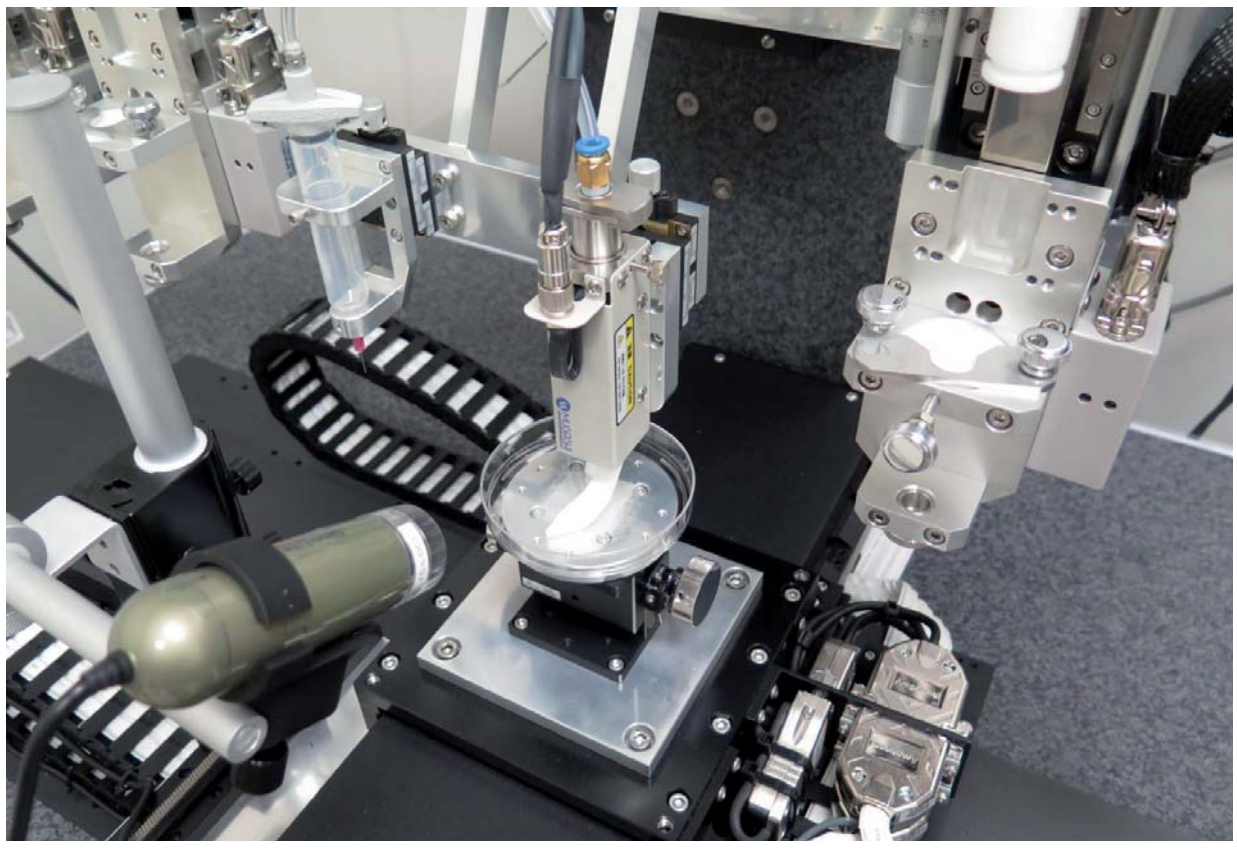

التكنولوجيا تحدث ثورة في عالم الطب

تستمر الطباعة ثلاثية الأبعاد في ثورتها خاصة في مجال التصميم وعمليات التصنيع في مختلف المجالات، وخاصة في ما يتعلق بأعضاء جسم الإنسان، حتى أنها توصلت إلى استنساخ المخ والرئتين، وتعطي تقنيات الطباعة ثلاثية الأبعاد الجديدة الأمل في استخدام أنسجة حية لترميم الأجسام، وتُعقد الآمال على فكرة زرع خلايا بشرية بنمط دقيق لاستبدال فك أو أذن مفقودة أو عضلة قلب ضعيفة.

❏ **لندن** – تمكن العلماء من تشكيل أذن من خلايا بشرية في المختبر وزراعتها لمريض، وذلك للمرة الأولى في عالم الطب التجديدي. واعتمد العلماء على تقنيات رائدة مكنتهم من استخدام الخلايا الغضروفية للأذن الخاصة بالمريض من أجل تشكيل خلايا جديدة.

وخضع 5 أطفال لعملية جراحية تجريبية، حيث يعانون من حالة تُعرف باسم "ميكروتيا"، تكون فيها الأذن الخارجية غير متطورة.

وتنطوي التقنية الجديدة على إجراء مسح مقطعي لأذن الطفل غير المتضررة من أجل الحصول على الأبعاد المتطابقة وتشكيل قالب مطبوع بتقنية ثلاثية الأبعاد، قابل للتحلل وتتخلله ثقوب صغيرة.

وشهدت تقنيات الطباعة ثلاثية الأبعاد منذ ظهورها في ثمانينات القرن الماضي تغييرات كبيرة، حتى أضحت واحدة من أهم التقنيات المستخدمة اليوم في الكثير من المجالات الصناعية والطبية خاصة.

وتستخدم خلايا غضروف الأذن غير المتضررة لملء ثقوب الأذن الجديدة في المختبر. وعلى مدى أكثر من 3 أشهر تنمو خلايا الغضروف على شكل القالب، وعقب هذه العملية تتم زراعة الأذن.

وأوضح العلماء، الذين طوروا هذه العملية ونشروا نتائجهم في مجلة "إي بيوميديتشين"، أنه لم تظهر أي علامات تدل على أن جسم الطفل الأول، الذي خضع للعملية قبل عامين ونصف العام، قد رفض الخلايا الجديدة أو استوعبها عن طريق الخطأ.

وحدد مختبر الأكاديمية الطبية في بلاغوفيشينسك بإقليم بريموريه الروسي نهاية العام الجاري موعدا لطباعة أول جلد اصطناعي باستخدام طابعة بيولوجية والتي لها نفس تقنيات الطابعة ثلاثية الأبعاد.

وقد تمكن قبل ذلك علماء من كوريا الجنوبية من استنساخ الجلد البشري باستخدام أحدث طرق الطباعة ثلاثية الأبعاد.

ووفقا للعلماء، فإنه يمكن استخدام الجلد المطبوع الجديد في الطب لإعادة تأهيل المرضى. وقد استخدم العلماء لتسهيل عملية الطباعة آلية جديدة عن طريق الجمع بين طباعة الحبر والمواد الخام المنصهرة، ونتيجة لذلك فقد حصلوا على مادة مكونة من الكولاجين والبوليستر.

وقد تم إنتاج عينات اختبار من هذه المادة، تشبه إلى حد بعيد، الجلد البشري الحقيقي.

وتم التوصل في هذه التجربة إلى تقنية جديدة ثلاثية الأبعاد تسمح للباحثين باستنساخ هياكل بيولوجية يمكن أن تستخدم لتجديد الأنسجة واستنساخ أعضاء في جسم الإنسان.

> استخدام تقنيات التجميد تسمح بطباعة هياكل لينة بما يكفي لمحاكاة الخصائص الميكانيكية لأعضاء مثل المخ والرئتين

ويتواصل اعتماد الطباعة البيولوجية في البحوث الطبية، وابتكر باحثو كلية أمبريال كوليدج في لندن أسلوبا جديدا لتكوين هياكل ثلاثية الأبعاد لينة باستخدام تقنيات التجميد، بحسب دورية "سيانس دايلي" ما يسمح بطباعة هياكل لينة بما يكفي لمحاكاة الخصائص الميكانيكية لأعضاء مثل المخ والرئتين.

وقد أثبت العلماء أن أعضاء الجسم التي يتم صناعتها في المختبر يمكن أن تعمل بشكل جيد جدا لدى المرضى.

يقول فريق العلماء في أمبريال كوليدج إن التوصل إلى تكوين هياكل قادرة على أن تتطابق مع بنية ونعومة أنسجة الجسم يعني أن هذه الهياكل يمكن أن تستخدم في الإجراءات الطبية لتشكيل السقالات التي يمكن أن تكون بمثابة قالب لتجديد الأنسجة، حيث يتم تشجيع الأنسجة التالفة على العودة للنمو مرة أخرى.

ونجحت تجربة أول استنساخ كليا بواسطة مجموعة من العلماء الذين سخروا تقنية الطباعة الثلاثية لإنتاج أعضاء بشرية عن طريق خلية تؤخذ من الشخص المريض ومن ثم يتم استخدامها لتشكيل كلية مطابقة ومتوافقة معه.

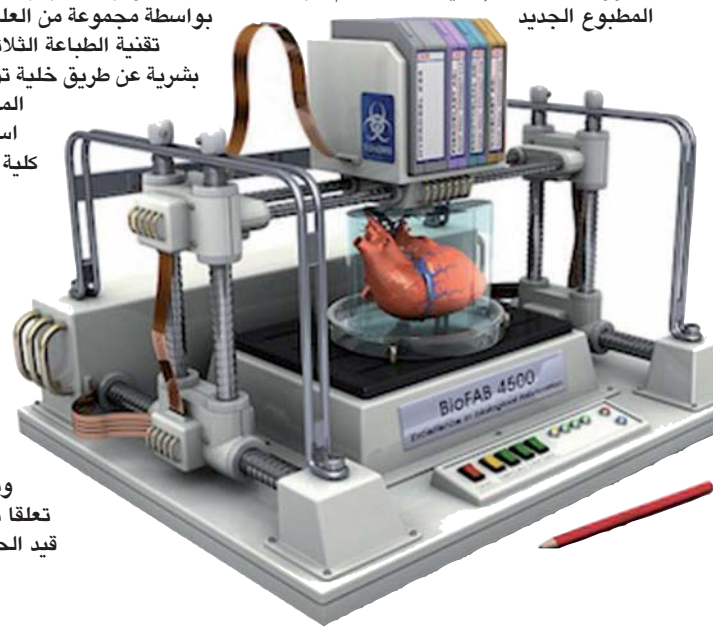

واختبر فريق العلماء الهياكل المطبوعة بتقنية ثلاثية الأبعاد وذلك بزرعها مع الخلايا الليفية الجلدية، التي تولد النسيج الضام في الجلد، وتبين لهم أن هناك تعلقا ناجحا وبقاء على قيد الحياة. هذا النجاح، بالإضافة إلى الأبحاث السابقة، يمكن أن يؤدي إلى المزيد من الاحتمالات حول النمو الناجح للخلايا الجذعية، وهو مثير طبيا بسبب قدرتها على التغير إلى أنواع مختلفة من الخلايا.

ويمكن أيضا استخدام هذه التقنية لتكرار أجزاء الجسم المتماثلة، أو حتى أعضاء بأكملها.

يقول زنغشو تان، أحد الباحثين من قسم الهندسة الميكانيكية في أمبريال كوليدج، "في الوقت الحاضر أنشأنا هياكل تصل في حجمها إلى بضعة سنتيمترات، ولكن من الناحية المثالية نود أن نخلق نسخة طبق الأصل من عضو كامل باستخدام هذه التقنية".

وتمكن العلماء في وقت سابق من إنتاج أعضاء بشرية حية باستخدام التقنية ثلاثية الأبعاد، وذلك في خطوة تعتبر تقدما كبيرا في عالم الطب التجديدي، فأنتجوا أجزاء من العظام والعضلات والغضاريف، والتي عملت بطريقة طبيعية لدى زراعتها في حيوانات.

ويتم العمل بالطابعة ثلاثية الأبعاد، بوضع عدة طبقات من الخلايا البيولوجية على أرضية تشكل الأساس، الذي يولد نسيجا عضويا ذا ثلاثة أبعاد.

وتعزز هذه الطباعة الأمل في استخدام أنسجة حية لترميم الأجسام، وتُعقد الآمال على فكرة زرع خلايا بشرية بنمط دقيق لاستبدال فك أو أذن مفقودة أو عضلة قلب ضعيفة.

وطور فريق علمي في مركز "ويك فورست بابتيست" الطبي في ونستون سالم شمال كارولينا تقنية جديدة لطباعة أنسجة ثلاثية الأبعاد مليئة بالقنوات الدقيقة تشبه الإسفنجة، تسمح للأنسجة بامتصاص المواد الغذائية فيها.

ويجمع نظام إنتاج الخلايا والأنسجة من خلال الطابعة ثلاثية الأبعاد بين بلاستيك قابل للتحلل وهلام مائي يحتوي على خلايا ويحفزهما على النمو.

وأكد العلماء أنه لدى زراعة الأجزاء في أجسام الحيوانات، فإن البلاستيك يتفكك ليحل مكانه بروتين تنتجه الخلايا، فيما تنمو الأعصاب والأوعية الدموية.

وقال الأستاذ الجامعي انتوني عطا الله مدير معهد "ويك فوريست"، إنه "يمكن طباعة الأنسجة البشرية.. في حال جاء مريض يعاني من إصابة في عظمة الفك، وهناك جزء مفقود منه، فإننا نأخذ صورة للفك وننقل بيانات الصورة من خلال برنامج خاص إلى طابعة لإنتاج قطعة من عظم الفك تطابق الجزء المفقود من فك المريض".

وبحسب محللين آخرين، فإن فرص نجاح استخدام الخلايا البشرية عالية، وذلك بسبب الميل الطبيعي لهذه الخلايا إلى الالتصاق معا أثناء التطور الجنيني، وأيضا التحرك معا بخواص شبيهة بخواص السوائل.

ويتابع عطا الله "تعتبر الطباعة ثلاثية الأبعاد، حقلا من العلوم ينمو بسرعة، والتي من الواضح أن لديها العديد من التطبيقات المحتملة في مجال الطب".

وقال مارتن بيرشال،من جامعة كوليدج أوف لندن، "إمكانية طباعة الأنسجة والأعضاء البشرية لزرعها أضحت حقيقة منذ وقت ليس ببعيد، إلا أنني لم أكن أتوقع رؤية هذا التقدم السريع".

أخبار الروبوت

إريكا لتقديم الأخبار

❏ من المقرر أن تنال الروبوت "إريكا"، المزودة بذكاء اصطناعي مطور، منصبا يؤهلها لقراءة الأخبار التلفزيونية في اليابان، خلال شهر إبريل المقبل.

ويمكن أن تصبح إريكا أقرب إلى الواقع قريبا، بالإضافة إلى احتمال حصولها على "روح"، وفقا للمصمم هيروشي إيشيغورو.

وأضاف إيشيغورو مدير مختبر الروبوتات الذكية في جامعة أوساكا قائلا "سنستبدل أحد مقدمي الأخبار بالروبوت". ويذكر أنه كان يحاول إطلاق الروبوت للعمل التلفزيوني المباشر منذ عام 2014.

وعلى الرغم من أن إريكا غير قادرة على تحريك ذراعيها، إلا أنها تستطيع تحديد جهة صدور الصوت ومعرفة من يوجه إليها السؤال. ويمكن للروبوت تتبع الناس في الغرفة عبر الأشعة تحت الحمراء وتقنية التعرف على الوجوه.

مونلاندر لإعداد الجبن

❏ نقل الروبوت "مونلاندر" بسهولة قرصا كبيرا من الجبن زنته 12 كيلوغراما من مكان إلى آخر، وقد صممه طلاب هولنديون لمساعدة منتجي مشتقات الحليب في مهامهم المتعبة. ومن شأن هذا الروبوت أن يصبح نجما في هولندا بلد الأجبان، فهو قادر على جمع القشدة حين يجمد الحليب، ونقل الأدوات الثقيلة المستخدمة في عملية الترويب، وتنظيفها. يفتح هذا الابتكار التقني آفاقا جديدة أمام صانعي الجبن تتيح لهم تطوير عملهم.

يتحرّك "مونلاندر" من تلقاء ذاته، ويحدد كيف سيكون شكل حركته لإتمام عمله في صنع الجبن، كما يشرح أحد مصممي تيمو فان. وهذا الروبوت واحد من ثمانية قدّمها طلاب في السنة الثالثة في جامعة ديلفت ضمن مشروع دراسي تقني لصناعة هذه الأجهزة.

طبيب يغوص في جسم الإنسان

❏ تمكن المهندس الطبي براد نيلسون وأفراد من فريقه تطوير روبوتات مجهرية لعقد من الزمن في المعهد الفيدرالي السويسري للتكنولوجيا.

وتتجهز تلك الروبوتات لتُحقن في أكثر المناطق الحساسة في الجسم، مثل العقل والقلب، لإيصال الأدوية بمنتهى الدقة إلى الأماكن التي تحتاجها، كجيش من أطباء جراحين يعملون داخل الجسم.

وأوضح نيلسون التقنية قائلاً "نحن نصنع الروبوتات المجهرية التي تتم قيادتها داخل الجسم باستخدام مجالات مغناطيسية تولّد خارجه".

وتم اختبار هذه التقنية في المنطقة السائلة في مقلة العين. ونجحت الروبوتات في إيصال مادة إلى منطقة الشبكية لعلاج مشاكل مرتبطة بالتقدم في السن. ويمكن استخدام تلك الروبوتات كبديل لعمليات القسطرة، نظرا إلى قدرتها على الوصول والتغلغل في الأماكن الأكثر دقة في الجسم، ما يسهّل حركتها في الدماغ والأمعاء الدقيقة والمسالك البولية.

سوير نادلة مقهى في اليابان

❏ افتتح أول مقهى روبوت ياباني أبوابه لوسائل الإعلام في بداية الأسبوع الماضي مع روبوت يحل محل النادلة لخدمة القهوة. ويجب على العملاء في مقهى هين نا «مقهى غريب» باللغة اليابانية، مسح رمز الاستجابة السريعة المطبوع على تذكرة مشتراة من آلة بيع للحصول على القهوة مقابل 320 ين ما يعادل ثلاث دولارات أميركية.

النادلة الروبوت تسمى "سوير" قادرة على خدمة بحد أقصى خمسة أكواب من القهوة دفعة واحدة، والكوب الواحد يستغرق حوالي أربع دقائق.

في المقهى الطبيعي عادة يتم توظيف حوالي أربعة إلى خمسة أشخاص لتشغيل الآلات وخدمة القهوة. هنا يتم استبدالهم بـ«سوير» وآلة القهوة.

يقول المدير العام في المقهى إن النظام الآلي سيساعد على الحفاظ على سعر منخفض لفنجان القهوة. وتم افتتاح مقهى «هين نا» للجمهور الخميس الموافق للأول من فبراير المقبل.

جديد الهواتف

هاتف ذكي جديد للاستخدامات الشاقة

❏ شركة لاندروفر تكشف عن هاتفها الذكي "أكسبلور" الجديد المخصص للاستخدامات الشاقة. وأوضحت الشركة البريطانية المتخصصة في إنتاج سيارات الأراضي الوعرة أن هاتفها الذكي الجديد، الذي يعتمد على نظام تشغيل غوغل أندرويد، يمتاز بمقاومة الماء والغبار والأتربة ومحمي ضد السقوط على الأرض.

وتستلهم الشركة في هاتفها الجديد التصميم حاد الزوايا لسيارات الدفع الرباعي، علاوة على أنه يعتمد على مفهوم الوحدات الوظيفية؛ حيث يمكن توسيع باقة وظائف الهاتف من خلال الوحدة التركيبية "أدفونتر باك"، والتي تشتمل على هوائي للنظام العالمي لتحديد المواقع الـ"جي بي أس وسعة إضافية للبطارية.

هواوي بي سمارت في منطقة الخليج

❏ مجموعة هواوي لأعمال المستهلكين تعلن عن إطلاق هاتفها الذكي الجديد هواوي بي سمارت في أسواق السعودية.

وسيأتي هاتف بي سمارت الذي يعد الخيار الأفضل لفئة الشباب بمزايا وتقنية متطورة وتصميم مبتكر يجمع بين أناقة التصميم النحيف والأداء المتقدم.

ويمتلك هاتف هواوي بي سمارت مزايا متكاملة وخاصة لعشاق التصوير، حيث يجمع بين التصوير الاحترافي عبر الكاميرا الخلفية ذات العدسة المزدوجة، بالإضافة إلى الكاميرا الأمامية التي تبلغ دقتها 8 ميغابيكسل والتي تم تصميمها بتقنية التعرف على لون البشرة وإضافة التأثيرات الجمالية المناسبة لالتقاط صور سيلفي رائعة.

اللياقة البدنية في العقد الثالث تحسن صحة العظام وتزيد قوة العضلات

حمل الأثقال من أفضل التمارين الرياضية لبناء العظام

عند بلوغ الإنسان عقده الثالث من العمر، تداهمه آلام المفاصل وتبدأ عضلات الجسد في التقلص، وأكد مختصون أن اللياقة البدنية تعد مطلبا مهما في أي مرحلة عمرية وذلك من أجل عضلات وعظام صحية، وقالوا إن التمارين مهمة لعلاج ومنع هشاشة العظام، فهي تحسّن من صحة العظام، كما أنها تزيد من قوة العضلات والتناسق والتوازن.

ممارسة التمارين الرياضية جزء من برنامج الوقاية

❑ **لندن** – ممارسة التمارين الرياضية في جميع مراحل العمر تكتسي أهمية بالغة، وفي العقد الثالث من العمر يتمثل هدفها الأساسي في الحفاظ على قوة وحجم عضلات الجسم التي اكتسبت على مدار السنوات السابقة.

وأفادوا أن العظام مثل العضلات، أنسجة حية تستجيب للتمارين الرياضية لتصبح أقوى، ويتضح هذا عند الرجال والنساء الذين يمارسون الرياضة بانتظام لذلك فإنهم يصلون لأكبر ذروة للعظام أي أقصى كثافة للعظام والقوة مقارنة بأولئك الذين لا يمارسون الرياضة. وبالنسبة لمعظم الناس، فإنّهم يصلون لقمة كتلة العظام القوية خلال العقد الثالث من حياتهم، وبعد ذلك الوقت يبدأون في فقدان العظام.

وقالت دراسات حديثة إن النساء والرجال الأكبر من 20 سنة يستطيعون مساعدة أنفسهم في منع فقدان العظام عن طريق ممارسة التمارين الرياضية بانتظام، فالرياضة تسمح لنا بالحفاظ على قوة العضلات والتناسق والتوازن، والذي يساعد بدوره في منع السقوط وحدوث الكسور ذات الصلة، وهذا أمر مهم بشكل خاص بالنسبة لكبار السن والناس الذين تم تشخيص هشاشة العظام لديهم.

ويعد حمل الأثقال من أفضل التمارين الرياضية لبناء العظام، إذْ يجبرك على العمل ضد الجاذبية، وتشمل بعض الأمثلة على حمل الأثقال: المشي والركض وتسلق السلالم ولعب التنس والرقص.

أما السباحة وركوب الدراجات فليسا من تمارين حمل الأثقال، مع أن هذه الأنشطة تساعد على بناء والحفاظ على عضلات قوية ولها فوائد ممتازة للقلب والأوعية الدموية، إلا أنها ليست أفضل وسيلة لممارسة الرياضة للعظام.

ونصح المختصون الأشخاص الذين يعانون من مشكلات صحية مثل أمراض القلب أو ارتفاع ضغط الدم أو السكري أو السمنة أو إذا بلغوا الـ40 سنة أو أكثر، باستشارة الطبيب قبل البدء في ممارسة التمارين الرياضية بانتظام، ويكون الوقت الأمثل هو 30 دقيقة على الأقل من النشاط البدني في معظم الأيام، ويفضل أن يكون يوميا.

وأشاروا إلى أنه عند البدء بممارسة التمارين، قد يحدث بعض الوجع في العضلات وعدم الإحساس بالراحة في البداية، لكن يجب ألا تكون مؤلمة أو تستمر أكثر من 48 ساعة، ويجب التخفيف من التمارين والتوقف عن ممارسة الرياضة عند الشعور بألم في الصدر أو عدم الراحة، والتوجه للطبيب قبل البدء بالتمرين التالي.

وبالنسبة للمصاب بمرض هشاشة العظام، نصح المختصون أن يطلب من طبيبه أن يخبره عن الأنشطة الآمنة والمناسبة له، وإذا كانت لديه كتلة عظام منخفضة؛ أوصى الخبراء بحماية العمود الفقري من خلال تجنب التمارين أو الأنشطة التي تجعله ينثني أو ينحني أو ينفتل.

كما يجب تجنب ممارسة التمارين عالية التأثير للحد من خطر كسر العظام، ويفضّل التشاور مع أخصائي رياضي لمعرفة التقدم السليم للنشاط، وكيفية مد وتقوية العضلات بأمان.

وبالإضافة إلى ذلك يجب أن يكون الأخصائي الرياضي على دراية بعلم وظائف الأعضاء والتربية البدنية والعلاج الطبيعي أو أي تخصص مماثل، كما يجب أن يكون على دراية بالاحتياجات الخاصة للأشخاص الذين يعانون من هشاشة العظام.

وتعتبر ممارسة التمارين الرياضية جزءا من برنامج الوقاية من هشاشة العظام أو العلاج، مثل النظام الغذائي الغني بالكالسيوم وفيتامين د، وممارسة التمارين التي تساعد على تقوية العظام في أي سن.

وقال الخبراء إن ممارسة التمارين المناسبة والنظام الغذائي قد لا يكونان كافيين لوقف فقدان العظام الناجم عن الظروف الطبية، أو انقطاع الطمث، أو عادات نمط الحياة مثل التدخين أو الاستهلاك المفرط للكحول، ومن الضروري جدا التحدث إلى طبيبك حول صحة العظام.

كما توصلت دراسة أميركية إلى أن التمرينات الرياضية في العقد الثالث من العمر قد تحمي المخ في منتصف العمر. وتعمل الأنشطة التي تحافظ على اللياقة البدنية للقلب مثل الجري والسباحة وركوب الدراجات على تحسين مهارات التفكير والذاكرة على مدى عشرين عاما قادمة.

وقال الباحثون إن الدراسة التي نشرت في مجلة طب الأعصاب، تدعم الأدلة التي تؤكد أن الحالة الجيدة للقلب تؤثر بصورة إيجابية على المخ. وتعد اللياقة البدنية للقلب مقياسا على مدى نجاح الجسم في امتصاص الأوكسجين أثناء ممارسة الرياضة ونقله إلى العضلات.

أجريت الدراسة في جامعة مينيسوتا بولاية مينيابوليس الأميركية على حوالي 3 آلاف شخص يتمتعون بصحة جيدة ويصل متوسط أعمارهم نحو 25 عاما، خضعوا لاختبارات اللياقة البدنية للقلب والأوعية الدموية على جهاز المشي خلال السنة الأولى من الدراسة، ومرة أخرى بعد 20 عاما. وطلب منهم الجري لأطول فترة ممكنة حتى تنفد قواهم أو يشعرون بضيق في التنفس.

وركزت الاختبارات المعرفية التي أجريت بعد 25 عاما من بداية الدراسة على قياس الذاكرة ومهارات التفكير.

وقدم الأشخاص الذين جروا لفترة أطول على جهاز المشي أداء أفضل في اختبارات الذاكرة ومهارات التفكير بعد 25 عاما، حتى بعد الأخذ في الاعتبار عوامل أخرى مثل التدخين ومرض السكري وارتفاع الكوليسترول في الدم.

وأوضح مؤلف الدراسة ديفيد جاكوبس، قائلا "تظهر العديد من الدراسات الفوائد التي تعود على المخ من الصحة الجيدة للقلب".

> العظام مثل العضلات، أنسجة حية تستجيب للتمارين الرياضية لتصبح أقوى، ويتضح هذا عند الرجال والنساء الذين يمارسون الرياضة بانتظام

وأضاف "هذه إحدى الدراسات الهامة التي ينبغي أن تذكر الشباب بالفوائد الصحية التي تعود على المخ من أنشطة اللياقة البدنية للقلب، مثل الجري والسباحة وركوب الدراجات وتمرينات اللياقة البدنية للقلب".

ونبه جاكوبس إلى أهمية ما يسمى بإجمالي اللياقة البدنية، والذي يتضمن الجوانب الاجتماعية والبدنية والعقلية للصحة.

ويمارس الكثيرون التمارين سنتين، ثم يتوقفون بعض الوقت، وحين يستأنفون التمارين يعود عمرهم التمريني إلى الصفر.

لذا يُنصح بممارسة التمارين مرتين أو ثلاث مرات على الأقل في الأسبوع، والاستمرار من دون انقطاع مديد للحفاظ على أعلى مستوى ممكن من اللياقة.

وأوضح الخبراء أن هذه التمارين تسمى تمارين مركبة، لأنها تشمل مجموعات عضلية متعددة في وقت واحد، وهي ليست مناسبة لمرحلة العشرينات وحدها، بل لكل عقد من حياة الشخص. ومن يجيد هذه التمارين يعد نفسه للمراحل التالية.

ومن هذه التمارين جلسة القرفصاء والضغط المتوازي على الذراعين، والهدف منها هو اكتساب لياقة بدنية تقلل احتمالات الإصابة وتحسن القدرة على تنمية قوة المفاصل وبناء الكتلة العضلية التي تُعزى إليها قلة الإصابات لاحقا في حياة الشخص.

ونصحوا بالتركيز على التمارين المضادة للثني والمط وطيّ الفخذ وليّ العضلات، وعلى النقيض من الحركات المتكررة مثل مط جزء من الجسم أو ليّه، لأن هذه التمارين تخفف من هذه الضغوط، وتقلل خطر إيذاء الأقراص الفقرية.

ونبهوا إلى أن الشخص الذي لم يمارس التمارين من قبل لا يمكنه أن يبدأ فجأة بممارسة التمارين المتواترة عالية الشدة مرة في الأسبوع، لأنه حتى في العشرينات من العمر حين يكون الجسم في ذروة مرونته ومتانته تكون احتمالات الإصابة عالية في هذه الحالة، لكن التمارين المكثفة لفترة قصيرة تفيد المنظومة اللاهوائية، وإذا أُجريت بصورة صحيحة، تكون أداة جيدة لرفع مستويات اللياقة.

أنظمة البحر المتوسط الغذائية تقلل خطر الإصابة بوهن الشيخوخة

❑ **واشنطن** – أفاد تحليل لأبحاث حديثة أنه كلما اتبع كبار السن أنظمة غذائية مستوحاة من أنظمة الدول المطلة على البحر المتوسط تراجع احتمال إصابتهم بالوهن مع الوقت.

وحلل الفريق الذي أجرى الدراسة بيانات تخص قرابة ستة آلاف من كبار السن شاركوا في أربع دراسات ثلاث منها أجريت في دول مطلة على البحر المتوسط وواحدة في آسيا.

وقالت كبيرة الباحثين في الدراسة كيت والترز لرويترز هيلث في رسالة بالبريد الإلكتروني "تعيش أعداد متزايدة من سكان العالم حتى الثمانينات وما بعدها ويوجد اهتمام كبير بمعرفة كيف يظل الناس أصحاء ومستقلين مع التقدم في العمر".

وأضافت والترز الباحثة بكلية لندن الجامعية بالمملكة المتحدة "قد يصاب بعض الناس الذين يعانون مشاكل صحية متراكمة مع التقدم في العمر بالوهن، وهو ما يجعلهم يشعرون بأعراض مثل نقص الطاقة وضعف العضلات وتراجع الشهية وفقدان الوزن والشعور العام بأنهم باتوا أبطأ ويجدون صعوبة في التعافي بعد المرض".

وتابعت قائلة إن ذلك يرتبط باحتمالات دخول المستشفى أو الاعتماد على عناية الآخرين. وأضافت "درسنا وسائل لمنع ذلك تشمل اتباع أنظمة غذائية وممارسة التمرينات الرياضية".

وقالت إن هناك "أبحاثا كثيرة عن أنواع التمرينات (وهي تؤكد أنها مفيدة لك) لكن هناك أبحاثا أقل بكثير عن دور النظام الغذائي وأنواعه المختلفة مثل نظام البحر المتوسط الغذائي".

وكتبت والترز وزملاؤها الباحثون في دورية الجمعية الأميركية لأمراض الشيخوخة، أن نظام البحر المتوسط الغذائي يعتمد على أنماط تقليدية للطعام في اليونان وجنوب إيطاليا تشمل أطعمة أساسها نباتي مثل الخضر والبقوليات والمكسرات إضافة إلى السمك والطعام البحري. كما أن المصدر الرئيسي للدهون في هذا النظام هو زيت الزيتون بدلا من الدهون الحيوانية.

وأعادت الدراسة تحليل بيانات دراسات نشرت سابقا أجريت في الصين وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا.

الأنظمة الغذائية مفيدة في الحفاظ على الصحة والاعتماد على النفس

وكانت هذه الدراسات قد سجلت الأنظمة الغذائية للمشاركين تبعا لمدى التزامهم بمبادئ أنظمة البحر المتوسط الغذائية.

وقالت والترز إن المشاركين في الدراسات كانوا في السبعينات والثمانينات من العمر في المتوسط، مما يشير إلى أن اتباع كبار السن لهذه الأنظمة الغذائية قد يكون مفيدا في الحفاظ على الصحة والاعتماد على النفس.

لكن مايكل بوجايسكي من قسم طب الشيخوخة التابع لمستشفيات (نظام مونتيفيوري الصحي) في نيويورك والذي لم يشارك في الدراسة، قال إن هناك عوامل أخرى قد تكون السبب في الاختلافات بين المشاركين في الدراسات من حيث خطر الإصابة بالوهن، وهي عوامل مرتبطة بالشخص الذي يتبع النظام الغذائي وليس بالنظام نفسه.

وأضاف بوجايسكي "على سبيل المثال فإن زيت الزيتون والأسماك والمكسرات والفاكهة والخضر الطازجة قد تكون باهظة. كما أن من يقدرون على شراء هذه الأطعمة قد يكونون قادرين أيضا على الحصول على رعاية صحية أفضل".

وتابع قائلا إنهم قد يكونون أيضا على قدر أعلى من التعليم أو العلم بالجوانب الصحية، وبالتالي تزداد احتمالية تناولهم طعاما صحيا أكثر وممارستهم التمارين الرياضية، وهو ما قد يقلل خطر إصابتهم بالوهن.

لكنه أضاف أن نتائج الدراسة "مثيرة للاهتمام" وأن هناك أدلة قوية تدعم اتباع أنظمة منطقة البحر المتوسط الغذائية لتجنب الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية.

> نظام البحر المتوسط الغذائي يعتمد على أنماط تقليدية للطعام تشمل أطعمة أساسها نباتي إضافة إلى السمك والطعام البحري، كما أن المصدر الرئيسي للدهون في هذا النظام هو زيت الزيتون بدلا من الدهون الحيوانية

انفتاح الشباب العرب ينتهي على عتبة مؤسسة الزواج

التخبط بين عادات المجتمع والثقافة الغربية ينتج ازدواجية معايير

يتأرجح الشباب بين الانفتاح والنظرة العصرية للواقع ومتطلبات الحياة وبين طبيعة المجتمع المحافظة والدينية، فتنشأ الازدواجية الثقافية التي تتحول لاحقا إلى معكر لصفو أسرهم في المستقبل، بعد أن يستفيقوا من كبوة "الليبرالية"، وفق تعبير البعض.

لندن – "الطريق نحو التغيير يبدو ضبابيا أمامنا، والوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في بلادنا غير مستقر بتاتا، وترافقنا كلمة انفتاح كما لو أنها وصمة عار في ظل نفاق اجتماعي لا ينتهي عند حدود العادات والتقاليد"، هذا حال الكثير من الشباب العرب وبشكل خاص الفتيات باعتبارهن العنصر الأضعف الذي تسدد باتجاهه سهام المحظورات والقيود المجتمعية.

غالبا ما يرتبط الحديث عن الانفتاح لدى الشباب بالتخلي عن القيم والأعراف الاجتماعية، بداية من اللباس والمظهر العام والسلوك ليصل إلى التحرر الجنسي، التابوه الأكثر اصطداما مع المجتمع.

ولا تعتبر الظاهرة جديدة إذ بدأ علماء الاجتماع العرب يدقون ناقوس الخطر مع دخول العالم لعصر المعلومات والاتصالات، وانتقال الثقافات المختلفة وتخطيها حاجز القيم والعادات، حيث أصبحت الثقافة الأميركية المصدرة إلى مصر، لسان حال الشباب سواء في الملبس أو حتى في التصرفات، وفق ما تقول سامية قدري أستاذة علم الاجتماع السياسي بجامعة عين شمس.

وأضافت أن ذلك الغزو الثقافي سيستمر في المستقبل ومن الصعب القضاء عليه أو التحكم في تعرض المواطنين لوسائل الإعلام التي تصدر الصورة الذهنية الأميركية الوهمية إلى الشعب المصري.

مظاهر انفتاح فقط

لكن المشكلة تكمن في دائرة النفاق الاجتماعي التي ينخرط بها الشباب أنفسهم إذ يرفضون علنا ما يمارسونه خفاء، وتقول رهف العلي الطالبة في كلية الاقتصاد بجامعة دمشق، إن ما نراه من ظاهرة الانفتاح والتحرر الشكلي ما هي إلا مظاهر فقط ولا تعني الفكر الحر، وما هي إلا رغبة لدى الكثيرين في ركوب الموجة واللحاق بالنمط الغربي ليس إلا.

وتتوافق وجهة النظر هذه مع ما يرى أشرف محمود، الصيدلي الثلاثيني بحي عين شمس شمال شرق القاهرة، فيقول إن ميزة انفتاح الشباب العربي بشكل عام أنه وقتي، أي أن له فترة صلاحية محددة تنتهي عند وصول الشاب إلى عمر معيّن، وتتغير ظروفه المعيشية والأسرية، لأن هناك فترات أخرى لا تقبل ولن تنجح إذا استمر مؤمنا بضرورة تطبيق ثقافات انفتاحية على حياته الجديدة الأسرية.

وأضاف في تصريحات لـ"العرب"، "أنا شخصيا كنت أؤمن بحرية المرأة في اللباس وأعتبر أن ذلك نوع من التقدم والتمرد على تقاليد المجتمع المتخلفة، لكن أدركت بعد زواجي أن القيام بذلك مع زوجتي سيتم توصيفه بكلمات مشينة، على شاكلة أني زوج لا أغير ولا أمتلك الشهامة، حتى زوجتي نفسها رفضت خلع الحجاب".

ويبتسم أشرف ويتذكر فترة تمرده على كل العادات والتقاليد قبل زواجه، "أي شاب لا بد وأن يعيش فترتين في حياته، الأولى بالتمرد على كل شيء ثم بعد تولي مسؤولية تكوين أسرة من زوجة وأبناء، يصب كل اهتمامه ليجعلهم الأفضل والأكثر التزاما ولا يريد أن يراهم متمردين مثله عندما كان شابا، وهنا المسؤولية الأسرية هي كلمة السر في تغيير سلوك الشباب من الانفتاح والتمرد إلى الالتزام والرضوخ لما يفرضه المجتمع من عادات تكون بمثابة قوانين صارمة".

استفاقة من «الطيش»

وبنفس الطريقة يفكّر باسم سعيد، وهو شاب تزوّج قبل بضعة أشهر من ابنة عمه، في القاهرة، ويعتبر أن انفتاح الشباب إذا استمر مصاحبا حياتهم حتى بعد تكوين أسرة أو على الأقل الزواج، فإن ذلك مقدمة لتدمير حياتهم الأسرية، لأن فترة "طيش الشباب" شيء، وتحملهم المسؤولية شيء مغاير تماما، فهو كان دائم السهر والتغيب عن المنزل وإقامة صداقات مع فتيات، لكن مسار حياته تغيّر بشكل اضطراري بعد الزواج.

ويؤكد باسم لـ"العرب" أنه كان دائما يحلم بالعيش في مجتمع منفتح ومتحرر، ورفض كل نصائح والديه بالسير وفق توجهات وتقاليد المجتمع، لكنه مع التقدم في السن والترتيب لخطوة الزواج، أدرك قيمة التخلي عن أفكاره المنفتحة التي لا تتناسب مع المجتمع الصغير المحيط به، بعدما تم رفضه من أكثر من فتاة لأنها شعرت بأنه ليس الشخص المناسب لها الذي سوف تثق أسرتها فيه لطبيعته المتمردة وأفكاره التي لا تتواءم مع أسرتها.

ويعود باسم بذاكرته لسنوات، حينما تقدم لخطبة 3 فتيات، وفي كل مرة كان يحكي لكل واحدة منهن عن رفضه الالتزام بكل ما يتعلق بالعادات والتقاليد، باعتباره تعلم في الجامعة الأميركية واقترب من الأفكار والثقافات الغربية، لكن الفتيات الثلاث رفضن الخطبة لأنه شخص متحرر "زيادة عن اللزوم" والحياة معه قد يشوبها بعض الشذوذ الفكري وعدم تحمل المسؤولية.

طرق متعددة للتمرد

تباين ثقافي ومجتمعي

ويقر الشاب أن الازدواجية الثقافية عند الشباب مطلوبة لأنها تعني استفاقته من غفوة التحرر والليبرالية إلى السير وفق ضوابط المجتمع، الأمر الذي يعكس أنه شخص سوي يعيش كل فترة وفق مقتضياتها وظروفها الفكرية والاجتماعية والثقافية، ولا يمكن لأي شاب أن يستمر طوال حياته يقدس الانفتاح، لأن التمرد الكلي على العادات والتقاليد سوف يقوده إلى الدمار الأسري.

مطاردة المؤثرات الاجتماعية

لكن إسراء محمود، وهي فتاة عشرينية تعيش في محافظة الجيزة القريبة من القاهرة، تعتبر أن تمسك الشباب بالأفكار المنفتحة الليبرالية يرتبط بإصرارهم على أن يكونوا مستقلين فكريا وثقافيا عن أي مؤثرات مجتمعية تطاردهم وتسعى لانغماسهم في العادات والتقاليد والأفكار البالية، لأن من يستسلم للعادات يمكنه الاستسلام أمام كل شيء.

وتقول إسراء لـ"العرب" إنها طالما حلمت بالزواج من شاب لا يعير العادات والتقاليد اهتماما، لكن ذلك نادر الحدوث، فهي عندما تقدم لخطبتها شاب أبلغته أنها تهوى السهر مع أصدقائها والعودة إلى المنزل في وقت متأخر، وعليه أن يفعل ذلك، لكنه رفض بشدة فاضطرت لعدم الارتباط به.

وتضيف إسراء "التمسك بالعادات والتقاليد بعد الزواج يعكس الازدواجية القبيحة لأي شاب، ويعني أنه من السهل أن يستسلم لأي متغيرات، لكن لن أتزوج من هذه الفئة، فأنا أهوى التحرر والاستقلال بحياتي، وأكثر الشباب حاليا نراهم يفضلون المرأة الصديقة دون حجاب لكنهم يصرون على حجاب زوجاتهم بدعوى نظرة المجتمع وتجنب الحديث عنهم من أقاربهم بأنهم بلا نخوة".

وحسب هذه الفتاة التي تصر على الزواج من شاب منفتح وأفكاره متحررة، فإن الازدواجية الثقافية عند بعض الشباب أصبحت معكرا لصفو أسرهم في المستقبل، لأنهم سوف يربون أبناءهم على التمسك بالعادات والتقاليد منذ الصغر وحرمانهم من العيش في كنف ذواتهم، إذ يشعرون بأن ما كانوا يفعلونه في الماضي خطأ جسيم، وبالتالي سوف ينظرون إلى تكرار نفس الفعل المبني على أفكار منفتحة من أبنائهم وهو أيضا خطأ، وهنا يكمن الصراع بين الأجيال الذي قد يدمر الأسر.

ولا تختلف وجهات النظر كثيرا بين الشباب العرب حتى من يعيشون في الدول الأوروبية، ويقول فراس كريم الصحافي السوري المقيم في السويد، إن الشباب العرب بشكل عام لديهم ازدواجية كبيرة في الثقافة، إذ ننشأ على تربية دينية واجتماعية محافظة لنكتشف لاحقا الأخطاء التي ارتكبت بحقنا ومدى الاختلاف مع الواقع والعصر الراهن، ما خلق شرخا كبيرا لدينا انعكس على نظرتنا للعادات والتقاليد.

ويضيف "أنا رجل شرقي وهذا لا يخلق لي مشكلة فكل مجتمع لديه خصوصيته وعاداته وتقاليده، ورغم أنني أعيش في مجتمع آخر له قوانينه وعاداته المختلفة تماما عنا، إلا أنني أتماشى وأنسجم معه ولا يشكل لي هذا حاجزا في الاندماج".

ويرى فراس أن المرأة الأوروبية لعبت دورا مختلفا نتيجة الثورة الصناعية والحاجة لها، في حين أن المرأة العربية مارست منذ القديم دورها وكانت طبيبة وفارسة وتاجرة، إلا أن العادات الاجتماعية التي جاءت في عصور الانحطاط ساهمت بتراجع دورها ودخلت مفاهيم متخلفة وبالية أساءت لمكانتها.

وتابع المشكلة أن الكثير من الشباب الذين يدعون الانفتاح، يفرضون قيودا مضاعفة على المرأة إن كانت زوجة أو أختا، نتيجة التصادم بين التربية والواقع.

وأضاف أنه عند إدراك هذه الحقيقة يمكن الالتقاء عند نقطة معينة والتصالح مع الذات والهوية، دون أن يكون الانفتاح مشكلة، كما أن من الغباء الاعتقاد بأنه يمكن فرض القيود على المرأة في هذا العصر.

ضغط الثقافة الغربية

وتُطرح مسألة الهويّة بقوة في ظل تأثير التصاعد الإعلامي وفق ما تشير يسرى بن الهذيلي الباحثة في علم الاجتماع في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في تونس، وتقول إن تحدي العولمة وضع ثقافات العالم النامي "تحت ضغط الثقافة الغربية"، وفرض عليها الدفاع عن نفسها "باسم الهويّة"، وطرحت قضية الشباب في واقع عربي هش "يعيش تجاذبات ثقافية الغلبة فيها للأقوى".

وفي ظل هذه الثقافة المزدوجة "تضيع الهويات والقيم التي لم تعد تقوى على الصمود أكثر في ظل طوفان العولمة، خاصة على وقع انتكاسة عربية وضعف واهن مسّ جميع المستويات الحياتية". وتضيف في دراسة بعنوان "الشباب العربي والثقافة المزدوجة: مراوحة بين الوافد والمحلي"، أن أزمة الهويّة تعاني منها خاصة فئة الشباب "الباحث عن هويّة هي أصلا متأرجحة بين الانبناء والتفكك في ظل ثورات إعلامية تعمل على تشكيل الوعي الجماعي للمجتمع والتنشئة الاجتماعية للشباب".

فراس كريم

> اكتشفنا لاحقا أخطاء التربية التي نشأنا عليها ومدى الاختلاف مع الواقع والعصر الراهن، ما خلق شرخا كبيرا لدينا انعكس على نظرتنا للعادات والتقاليد

وتابعت أنّ الشاب "الذي تستهدفه العولمة الإعلامية غير قادر على مواجهة هذا الغزو الإعلامي، وعلى أن يحصن ذاته، فيكون موقفه تبعا لذلك استهلاكيا وسلبيا، ممّا قد يدفع به إلى الاستكانة وربما إلى تغيير أنماط سلوكه بما يتلاءم مع خصائص المضامين الإعلامية المستهلكة".

كما أكدت الباحثة من جهة أخرى على أهمّ تبعات العوامل المنبثقة عن العولمة المتمثلة في انفتاح الشباب على الآخر والتطلع إلى ممارسة "الحياة بليبرالية محافظة، تجمع بين الحداثة والأصالة"، دون التنكر لحالة "القلق والفوضى" التي أدخلتها منظومة الاتصال الجديدة على مستوى العلاقات الاجتماعية، وتحديدا العلاقات الأسرية، سواء بين الزوجين أو بين الآباء والأبناء، وخاصّة داخل فئة الشباب.

وانتقلت الباحثة إلى الحديث عن الشارع بصفته "نسيجاً من العلامات والدلالات التي نتحرك فيها يومياً، فتخترقنا لكن دون أن ندرك منطقها. فالشارع، كما تقول، "ليس فضاء ساكناً أبداً، بل هو حي متبدل بتبدل الأنماط والناس، وحسب الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية".

الطموح السياسي للمرأة مكفول على الورق فقط

النساء في المناصب السياسية يوظفن ولا يحكمن

فشل سيغولين رويال مرشحة الحزب الاشتراكي الفرنسي وهيلاري كلينتون مرشحة الحزب الديمقراطي الأميركي في الوصول إلى منصب الرئاسة يدل على أن المجتمعين الفرنسي والأميركي ما زالا رافضين لفكرة أن تحكمهما امرأة، فما بالنا بالمجتمعات العربية.

يمينة حمدي
صحافية من تونس مقيمة في لندن

❏ تنصّ أغلب دساتير دول العالم على أحقية النساء في تولّي المناصب السياسية بالبرلمانات والإدارات والهيئات الحكومية، غير أنّ واقع التمثيل النسائي في المناصب الرسمية والسياسية لا يبدو مبعث تفاؤل بدور المرأة الحقيقي في صناعة الحياة.

وعلى الرغم من بروز شخصيات نسائية رفيعة في السنوات الأخيرة، فإنّ الفجوة في التمثيل السياسي بين الجنسين لا تزال كما كانت قبل عقود.

وترى دراسة أميركية حملت عنوان "الرجال يحكمون" أنّ عدم مشاركة النساء على نطاق واسع في الحياة السياسية يترك تأثيرا سلبيا لا سيما على البعض من القضايا الخاصة بالمرأة.

ورصدت الدراسة أسبابا لذلك منها خوف المرأة من البيئة الانتخابية وما يرافقها من منافسة شرسة وحملات إعلامية والثقافة الاجتماعية المحيطة بهنّ.

وانتقدت الباحثة تيريز هيوستن، المختصّة في علم النفس المعرفي بجامعة سياتل الأميركية، في كتابها الذي يحمل عنوان "كيف تتخذ النساء قراراتهن" ازدواجية المعايير في نظرة الناس إلى قرارات المرأة والرجل.

وقالت الكاتبة "فكرتُ ذات مرة في ما لو أنّ النساء جلسن على الطاولة، فهل ستؤخذ قراراتهن على محمل الجد كما هو الشأن بالنسبة إلى الرجال؟ ولكنني أظن أنهن أنفسهن لا يعتقدن ذلك، فالرجال لهم احترامهم عند اتخاذ القرارات أكثر من النساء خاصة في أماكن العمل، للاعتقاد السائد بأنهن عاجزات عن اتخاذ القرارات الصائبة في مجال العمل".

وأوضحت هيوستن أن البعض من الدراسات المبتذلة والسطحية التي تتحدث عن أن المرأة تنفق وقتا أطول في اختيار الملابس التي سترتديها، فيما لا يستغرق الرجل نفس الوقت عند قراره شراء سيارة، تكشف خلاصة النظرة النمطية التي تشكك في قدرة المرأة على اتخاذ القرارات الكبرى.

مواطنة درجة ثانية

في العالم العربي يبدو الحكم على الطموحات والقرارات السياسية للنساء أكثر صرامة مما هو عليه في بقية الدول الغربية، فالقيود الاجتماعية تفرض عليهن في الغالب العمل في مجالات محدودة، فيما لا تخرج النظرة العامة إليهن من إطار أنهن ناقصات عقل ودين، ويفتقرن إلى القدرات التي تمكّنهن من اتخاذ القرارات الصعبة التي تحتاجها المراكز السياسية.

واعتبر الدكتور بسام عورتاني، الباحث الفلسطيني المختصّ في علم الاجتماع أن "أهمّ عائق يقف أمام المرأة عموما وبما في ذلك طموحها السياسي هو صورة المرأة في ذهن الرجل وصورتها في ذهنها هي نفسها".

وقال عورتاني في تصريح لـ"العرب"، إن "صورة المرأة بُنيت على أسس التمايز الاجتماعي والطبقي والديني، فالمرأة في المجتمعات العربية خاضعة لثقافة ذكورية أبوية ممتدة، حتى وإن كانت في المجتمع المدني العربي فالممارسة القبلية والعصبية الثقافية ما زالت تحكم الدولة والمؤسسات".

وأضاف "إذن المرأة هي درجة ثانية وهي الأضعف وهي الفتنة دينيّا أيضا. وهنا يجب الإشارة إلى نقطة هامة وهي أن الرجل يتصدّر المشهد، والمجتمع أبوي ذكوري وفي الوقت نفسه يعتبر المرأة فتنة أو سبب الهزائم.. وهذا في حدّ ذاته يدل على حالة انفصام حقيقية في بنية التفكير والفكر العربي الرجعي".

وأوضح "صورة المرأة مرتبطة بهذه الثقافة التي تحدّ من تحقيق العدالة في المنافسة بعيدا عن الجنس أو العرق أو الدين. فهي ثقافة قمعية مبنية على إخضاع الآخر ولا يوجد احترام للمنافسة لأن المنافس يعتبر عدوّا. ولا يوجد قيمة للعمل المشترك أيضا".

وشدّد عورتاني على أنّ العلاقة بين الرجل والمرأة مبينة على أساس تصارعي وليس تشاركي، بدءا من العلاقة الزوجية ووصولا إلى العمل السياسي.

وواصل "حتى فكرة الحرية مجتزأة لأنها لا تعتمد على مبدأ هام وهو الاستقلالية. فالمرأة أقل استقلالا ماليا واجتماعيا. وغالبا ما تحتاج إلى الرجل لكي يساعدها وما زالت تربط طموحها بمدى مساعدة الرجل لها. وما زالت تستخدم الثقافة التقليدية عندما تخدم مصالحها. فمثلا نشاهد نساء يدعون إلى الحرية والمساواة وغيرها من القيم إلا أنهن عندما يرغبن في الزواج أو عند زواج أولادهن يفاوضن على المهر ويُردن رجلا يدفع بدلا منهن ويتكلف بكل مصاريف الزواج كما هو الشأن في فلسطين والدول المشابهة".

وأشار عورتاني إلى أن المرأة بحاجة لأن تكون حكيمة ومثقفة وصاحبة رأس مال لكي تستطيع أن تحكم وتنافس. ينقصها ما ينقص الرجل العربي الفكر الحر التشاركي والاستقلالية.

وبما أن الحال كذلك، فإنّ النساء العربيات استطعن أن يحققن تقدّما نسبيا في مجالات مختلفة مثل التعليم والحقوق السياسية، إلا أنّ ما لم يتحقق بعد ما زال كثيرا، والتفاوت بين الدول العربية في هذا الإطار ما زال كبيرا.

وتقدم نسبة النساء في البرلمانات العربية، التي لا تتجاوز 18 بالمئة، صورة دقيقة عن الفجوة الكبيرة بين الجنسين في المجال السياسي، كما لا تعكس مشاركة فعلية للمرأة في صنع القرار السياسي، وذلك بسبب مفاهيم وثقافة المجتمعات والأفكار النمطية الخاصة بالفروق بين الجنسين، التي تجعل العديد من النساء من يتخلّين عن طموحاتهن السياسية، وحتى عندما تحقق البعض منهن طموحاتها فإنها تضطر بسبب التصوّر العام بأن طبيعة الرجال أقدر على تولّي المناصب السياسية، العمل أكثر بكثير من الرجال، إلا أن التشكيك في قدراتها يستمر حتى بعد تولّي تلك المناصب والنجاح فيها.

ففي تونس على سبيل المثال، حصلت المرأة التونسية على مكتسبات تشريعية مهمة خاصة في عهد الرئيس الأسبق الحبيب بورقيبة، إذ وقعت تونس على اتفاقية "القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة" سنة 1979 ودخلت حيّز التنفيذ سنة 1981. وتنصّ الاتفاقية على المساواة بين الجنسين في حق التصويت بجميع الانتخابات، وشغل المناصب العامة، وممارسة جميع المهام العامة التي يحددها القانون الوطني، ولكن الفجوة بين القانون والواقع ما زالت كبيرة.

مشروعية وهمية

ترى حياة عمري النائبة عن حركة النهضة أن ثقة المجتمع في المرأة تختلف من مجتمع إلى آخر، مشددة على أن المرأة التونسية قد نالت الكثير من الحقوق السياسية، في حين ما زالت نظيرتها في البعض من الدول العربية تكافح من أجل نيل أبسط حقوقها.

وقالت عمري التي اختارها المجلس العربي للمرأة مؤخرا ضمن قائمة الـ100 امرأة عربية الأكثر تأثيرا لسنة 2017، وللمرة الثانية على التوالي في حديث لـ"العرب"، "تتمتع المرأة التونسية بحقوق واسعة ومكفولة في الدستور، وهذه المكاسب لا تقتصر فقط على ما تم التنصيص عليه في القوانين بل هي مكاسب اجتماعية واقتصادية ناضلت التونسيات لسنوات طويلة من أجل نيلها". وأضافت "على مستوى المجال السياسي تتواجد المرأة التونسية بنسبة تفوق 34 بالمئة، وتعدّ هذه النسبة من أعلى النسب في العالم، بل تفوّقت حتى على الدول الأوروبية، لكن المرأة التونسية ما زالت تطمح إلى مساواة حقيقية، وهي عاكفة على الوصول إلى درجة التناصف التام مع الرجل.

وتمنت عمري أن "يتحقق التناصف بين الجنسين في الانتخابات التشريعية القادمة، وتصبح نسبة حضور النساء مساوية للرجال على مستوى المجالس الجهوية ورئاسة البلديات".

وأوضحت "أما في ما يخص مواقع صنع القرار أو السلطة التنفيذية فهناك تحسّن كبير مقارنة بما كان عليه وضع المرأة السياسي قبل ثورة يناير، العديد من الوزارات غير التقليدية ترأسها نساء، ولكن عددهن محدود بالمقارنة مع الرجال".

وأكدت عمري أن "المجتمع التونسي لا يرفض عمل المرأة في المجال السياسي"، معللة رأيها بتواجد النساء في مناصب مثل معتمد أو والي (محافظ)، ولكن الأمر صعب بالنسبة لمواقع صنع القرار، حسب قولها "راجع إلى العقلية الذكورية ولذلك فوزارة المرأة مطالبة بعمل جبار على مستوى الإصلاح وعلى مستوى التشريعات حتى تصل المرأة التونسية إلى تناصف حقيقي مع الرجل في المناصب السياسية".

ويصف خبراء وصول النساء في البعض من الدول العربية والإسلامية إلى المناصب السياسية بالأمر الشكلي الذي تعتمده الأنظمة للظهور بمظهر الحكومات الديمقراطية والداعمة لحقوق المرأة والإنسان بصفة عامة، ولكن الواقع يقول العكس.

ويرى قيس سعيد أستاذ القانون الدستوري بتونس، أنّ الفرص التي تتاح للنساء للعمل في المجال السياسي يكون الهدف منها في الكثير من الأحيان تجميل وإضفاء مشروعية وهمية كاذبة على الأنظمة السياسية.

وقال سعيد لـ"العرب"، "ما زالت المرأة تُعامل في الكثير من الأحيان على أساس الجنس، لا على أساس التمثيلية الحقيقية ومن مظاهر هذا التعامل الذي يقوم على أساس الجنس، ما يسمّى التناصف (أفقيا أو عموديا) في القائمات الانتخابية، الذي لا يؤمّن الحضور الكمي والنوعي للنساء، فكم من قائمات احتوت على أسماء مرشحات لا يعرفن أصلا في أي قائمة ترشحن".

وأوضح "يقع توظيف المرأة لغايات لا علاقة لها بحقوقهن، ونظام الحصة (الكوتا) الذي اعتمدته البعض من الدول هو انتقاص للمرأة ولدورها في الحياة العامة". وأضاف "لا يجب أن يُقاس دور المرأة في نسبة تمثيلها بالمجالس، حتى لا يكون وجودها مجرد وجود صوري أو مجرد مسحوق تجميل، وفي كل الحالات مقاربة حضور المرأة في هذه المجالس التشريعية مغلوطة وتقوم على أساس الجنس وفيها مساس بالمرأة وحقوقها".

نحتاج تصويتها ونرفض أن يعلو صوتها

لا شيء يأتي بمفرده

في المملكة العربية السعودية حققت المرأة تقدّما نسبيًا في ما يخص الحقوق السياسية بعد أن سمحت لها السلطات في العام 2015 بالمشاركة في الانتخابات البلدية كمرشحة وناخبة، إلا أن رغبة الكثيرات في الترشح للمناصب السياسية العليا ما زالت أيضا تعتبر من أكثر الطموحات بعيدة المنال عن النساء، رغم المبادرات الحكومية الأخيرة في مجال تعزيز دور المرأة وتفعيل مشاركتها الفعلية سواء في الحياة العامة أو الحياة السياسية.

ويقول الخبراء إن الوقت قد حان لتغيير القوانين والأعراف الاجتماعية التي لا تزال تفضّل الرجال على النساء في العديد من المجالات، وإتاحة الفرصة للنساء لإحداث تغيير في مجتمعاتهن، لكن هذا الأمر لن يتحقق ما لم تسع المرأة إلى فرض نفسها في المناصب القيادية العليا، حتى لو كانت لديها أسرة وتحتاج إلى الاهتمام بها، لأن ذلك سيكسر الصورة النمطية عن جنسها، ويجعل المجتمع يرى أنّ المرأة قادرة على الجمع بين العمل ورعاية العائلة.

وقال الدكتور أحمد قران الزهراني أستاذ الصحافة والإعلام في كلية الاتصال بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة "منذ ما قبل الإسلام والمرأة تؤطر بحيّز ضيق في القيادة والتكليفات إلا عدد قليل منهن ممن استطعن أن يكنّ حالة فريدة بين قريناتهن".

وأضاف الزهراني لـ"العرب"، "في العُرف الاجتماعي العربي كانت المرأة تعتبر تابعة للرجل وتحت إمرته وهو من يسيّرها حسب رؤيته حتى جاء الإسلام فمنحها مساحة أكبر من التحرر من قيود الرجل، وإن ظلت أيضا مؤطرة بتشريعات لا تسمح لها بالمساواة في كل شيء مع الرجل".

وواصل "هناك أسماء نسوية عربية وإسلامية بارزة في كافة المجالات لكنها حالات نادرة ولا يقاس عليها، ففي حين نرى المرأة في العالم رئيسة ووزيرة خارجية ووزيرة دفاع ومسؤولة في المنظمات الدولية لا نرى المرأة العربية إلا في البعض من الوزارات الثانوية وفي بعض الدول العربية الاستثنائية وليس في كلها".

وعبّر الزهراني في خاتمة حديثة عن تفاؤله بأن "يكون المستقبل أفضل بالنسبة للمرأة العربية عموما، كونها استطاعت أن تحصل على الكثير من الحقوق التي كانت مسلوبة منها"، مشددا على ضرورة أن "تطالب المرأة دائما بحقوقها السياسية والثقافية والاجتماعية كاملة وتصرّ على مطالبها دون خوف من معارضة اجتماعية أو خشية من رأي ديني لا سياق له في الإسلام، وإن لم تفعل ذلك فلا شيء سيأتي بمفرده".

أما في العراق فتواجه المرأة عوائق بالجملة تحُول دون مشاركتها في الحياة السياسية بشكل فعّال وفي عملية صناعة القرار، بسبب التوجّه السياسي والعقائدي والعشائري للمجتمع، فضلا عن التخلف الاجتماعي الذي ساد في البلاد بعد صعود الأحزاب الدينية إلى الحكم، وتعدّيها على حقوق النساء التي كفلها لهنّ الدستور.

المصالح الشخصية

وصفت الإعلامية العراقية أسماء عبيد رجال السياسية ونساءها في بلادها بـ"الطفل الذي يحبو"، قائلة "رغم أن البعض لديهم خبرة طويلة تعدت أحيانا السنوات فهم لا يزالون يجهلون نسبة كبيرة من أسرارها ودهاليزها". وأضافت عبيد لـ"العرب"، "كما أنّ نماذج النساء الموجودات حاليا في المجال السياسي لم تكن في أغلبها مثالا جيدا، ولم تمثل المرأة العراقية خير تمثيل إلا قلة منهن، للأسف لقد غلبت المصالح الشخصية على المصالح العامة".

وواصلت "هناك مجموعة من الأسباب التي تعرقل وتحدّ من مشاركة المرأة العراقية في الحياة السياسة، منها العائلية أو العشائرية، بالإضافة إلى عقلية المجتمع الذكوري وسلطة العادات والتقاليد، كما أن بعضهن لا يمتلكن الجرأة والشجاعة الكافية لمواجهة غيرهن من السياسيين الأكثر خبرة، إلى جانب غياب أسباب الدعم المادي والمعنوي لحملاتهن الانتخابية، وأيضا نظام الكوتا جعلهن مجرد رقم صغير في قوائم كبيرة".

وتمنت عبيد أن "تشهد في الدورة الانتخابية القادمة نماذج لنساء عراقيات قويات قادرات على تحقيق نجاح ملموس لشعبهن وللنساء خصوصا".

شارك في إعداد التقرير:
آمنة جبران

أسماء عبيد:
النساء الموجودات حاليا في المجال السياسي لم يكنّ في أغلبهن مثالا جيدا

أحمد قران الزهراني:
يجب أن تطالب المرأة بحقوقها السياسية والثقافية والاجتماعية دون خوف

قيس سعيد:
ما زالت المرأة تعامل في الكثير من الأحيان على أساس الجنس

حياة عمري:
تواجد النساء في مواقع صنع القرار ما زال صعب المنال

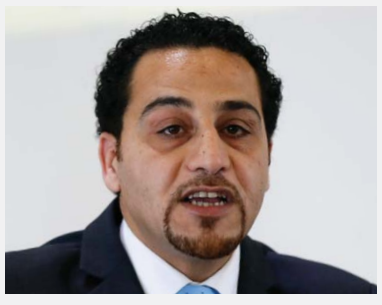

بسام عورتاني:
المرأة يعتبرونها مواطنة درجة ثانية وهي الفتنة دينيا أيضا

مدن الألعاب ضرورية للتغلب على الخوف الغريزي للطفل

الألعاب تمكن الطفل من استيعاب حركة التطور في المجتمع

من أكثر وسائل المعرفة التي يحصل عليها الطفل ما يبهره ويلفت نظره، ويجعله يسأل الكبار عن الأشياء التي لفتت انتباهه، لذلك تعتبر مدن الألعاب من أبواب المعرفة الضرورية للأطفال بأعمار 3 ـ 13 سنة، فهي تتيح للطفل رؤية يمتزج فيها الواقع بالخيال، وتجعله يعيش الجو الكرنفالي، الذي يعتبر مزيجا من الأصوات والضحكات، والصراخ الطفولي والأضواء الملوّنة، والحركة المنتظمة، لآلات كبيرة، فيرى فيها سحرا عجيبا يبهره.

فيصل عبدالحسن

أماكن الألعاب بوابة للاكتشاف والمعرفة

❏ التجربة الجديدة تحقق للطفل الكثير من الأحلام، كالطيران والقفز لمسافات طويلة وقيادة سيارات واعتلاء ظهور حيوانات خيالية. وقد أضافت له الألعاب الإلكترونية رؤية مخلوقات أسطورية صورها له خياله سابقا، مما روي له من قصص الأمهات والجدات. فيرى من خلال هذه الألعاب البصرية والحركية ما يظنه واقعا فعليا، فيوسع ذلك من معرفته الشفوية برؤية بصرية حقيقية توسع خياله وتعطيه الجرأة للمزيد من الخيال والابتكار.

وقد وجدت دراسة أميركية أعدتها "جمعية علم النفس الأميركية" أن التجارب الجديدة التي يخوضها الطفل تضيف لخبراته، وجرأته في الابتكار، وتجعله أكثر اجتماعية، ومفعما بحب الحياة والآخرين، وجعلت ميدان بحثها أمكنة اختارتها الجمعية بدقة.

> مدن الألعاب التي تخلط بين البهجة والاكتشاف أكثر الأمكنة تأثيرا على نفسية الطفل، وجعله تواقا للابتكار ومحبا لغيره، وميالا للتفوق والمنافسة والتحدي

شملت الدراسة 50 طفلا من مختلف الشرائح الاجتماعية، وتم تقسيمهم إلى خمس مجموعات بأعمار تراوحت بين 3 و13 سنة، ونظمت زيارات مختلفة لمدن الألعاب، والمراكز العلمية، والمتاحف، والغاليرات، والمسارح في أوقات إجراء البروفات واستوديوهات تصوير الأفلام السينمائية أثناء العمل.

أشرف على الدراسة الباحث النفسي الأميركي مارك بلوم، وتوصل إلى أن "مدن الألعاب التي تخلط بين البهجة والاكتشاف أكثر الأمكنة تأثيرا على نفسية الطفل، وجعله تواقا للاكتشاف، والابتكار ومحبا لغيره، وميالا للتفوق والمنافسة والتحدي".

واقترحت في السياق نفسه ماري إبرستاد الباحثة الأميركية في علم النفس في أحد فصول كتاب لها موضوعه عن غربة الأطفال وتدني خيالهم بسبب غياب الأبوين في العمل، حلولا لمعالجة هذه الغربة، ومنها "اصطحاب الأولاد بين فترة وأخرى إلى أمكنة ألعاب جماعية للأطفال كي ينفسوا فيها عن ضيقهم، وغربتهم، ويوسعون خيالهم بما يرونه في هذه الأمكنة من مبتكرات ميكانيكية، وكهربائية وإلكترونية، مما يزيد في بهجتهم، ويضيف إليهم بوابة جديدة للاكتشاف والمعرفة".

وفي مقال للباحث أندرياس لانجه نشر في موقع لجماعة ألمانية تدافع عن تطوير قدرات الطفل الفكرية والابداعية "أن شتى الألعاب الفكرية أو العضلية والإلكترونية التي يمارسها الطفل، هي ضرورة لنموه العقلي والفكري. وتتيح له تنمية قدرته على التواصل مع الآخرين، وتنمي مهاراته اللغوية، وتوسع مداركه وحواسه. وترفع قدرته على الخيال، خصوصا الألعاب الإلكترونية. وبالنتيجة يصير أكثر انفتاحاً على المجتمع، ويتمكن من استيعاب حركة التطور في المجتمع".

ومن جانبها أكدت الباحثة الأميركية الدكتورة كارلي دوتش من جامعة توليدو في بحث لها نشر بمجلة نيويورك تايمز سنة 2010 أن "الألعاب بمختلف أنواعها، ابتداء من 'سكة الموت' و'طريق الإلتواءات' و'القرص الطائر'، و'القطار السريع'، بالإضافة إلى الألعاب الميكانيكية والأراجيح الكهربائية، والكثير غيرها في مدينة والت ديزني للألعاب، فيها فوائد نفسية وإدراكية للطفل، كإثارة البهجة لديه، وروح الحماسة، وتعطيه سعة الخيال".

وتستطرد دوتش قائلة "لكنها تعرضهم أيضا إلى صدمات نفسية، خصوصا عند حدوث حوادث مؤسفة يروح ضحيتها بعض الأطفال بسبب سوء صيانة هذه الألعاب أو لخطأ ما من الطفل أو مشغل الآلات".

وتضيف دوتش "هناك أيضا مخاطر الإدمان على الألعاب الإلكترونية، والتي يجب ألا يتجاوز لعب الطفل بها أكثر من ساعة، لكي لا تحدث له تشويشا في تمييزه بين الواقع الافتراضي والواقع، ويبقى بسبب ذلك يفضل الواقع الافتراضي أكثر من الواقع"..

وفي هذا السياق يقول جمال نوري متخصّص بصيانة الألعاب الميكانيكية إن "مدن الألعاب قليلة في الدول العربية، وقديمة، وهي بالمناسبة يجب أن يتم تغييرها كل عشر سنوات، لكنها ببلداننا لا تبدل إلا نادرا بعد 15 أو 20 سنة. وأغلبها أقيم في مناطق محددة من العواصم، ومراكز المدن الكبيرة، وبسبب بعدها وغلاء تذاكر الدخول، قلة من العائلات تواظب على الحضور مع أطفالها إلى هذه الأماكن، ويقتصر زخم الحضور عادة في الأعياد وبعض المناسبات".

ويقول نوري موضحا "هي بالتأكيد مفيدة للأطفال، ويكفي ما تثيره فيهم من بهجة وفرح، وتحرك فيهم روح المنافسة خصوصا الألعاب الخطيرة، كالدولاب الأفعواني. وفيه عربات تدور على سكة ملتوية بسرعات كبيرة، والقرص الطائر، الذي يكون على شكل قرص فضائي يحلق عاليا بركابه، وينزل بهم، وينقلب 180 درجة في حركة اهتزازيّة. ودولاب الهواء الكهربائي، الذي يصعد براكبيه إلى أعلى، ويهبط بسرعة".

ويبين الباحث الاجتماعي يوسف حنون "لقد ثبت أن العديد من الألعاب التي كان يمارسها الآباء والأجداد في طفولتهم، وتعتبر اليوم تراثيّة، كانت تمارس لحاجات نفسية، واجتماعية لأطفال ذلك الزمن، فهي تمثل فرصة لاكتساب المهارات اليدوية، وكذلك بناء روح المنافسة لديهم، وجعلهم ينفتحون على أترابهم، والتعامل معهم كما لو كانوا في حلبة صراع، وهي توطئة لمستقبل هؤلاء الأطفال عندما يكبرون لممارسة حياتهم".

وتابع قائلا "ما جلبه التطور في وسائل اللعب في زمننا الحاضر مسألة طبيعية ستضيف للأطفال خبرات ومهارات وروح التحدي للتغلب على الخوف الغريزي لديهم من المجهول، وهم بحاجة إلى كل هذه المعارف لمواجهة تحديات المستقبل".

وأفاد مختصون في علم نفس الطفل أن اللعب يعتبر حاجة أساسية للأطفال لأنه يساعد على نموهم بشكل متوازن من الناحية الاجتماعية والفكرية والنفسية، كما أن الأطفال يمتلكون طاقة حركية كبيرة لا يستطيعون التعبير عنها إلا باللعب.

وأشاروا إلى أن مدن الملاهي لها فوائد تعليمية كثيرة، نظرا لأنها تكسب الأطفال خبرات جديدة عن طريق الألعاب، كما أنها تساهم في تعرفهم على البيئة ومحتوياتها.

كما أنها تزود مهارات الطفل وتكسبه قدرات عضلية وحركية ومعرفية يحتاجها، وتساهم في تنمية ذكائه وتوسع قدرته على حل المشاكل التي تواجهه، وينمي لعب الطفل في مجموعات الجانب الاجتماعي ويخلق لديه مهارات اجتماعية.

اللامبالاة من الأسباب الجوهرية لتفكك العلاقات البشرية

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ من الصعب جدا في بعض الأحيان أن تفهم بعض الظواهر التي تفشت في صفوف مختلف الشرائح الاجتماعية على اختلاف مراحلها العمرية، ولعل ظاهرة اللا مبالاة تمثل النموذج الحي لمثل هذه الظواهر. إنه سلوك يومي يمارسه، عن عمد مسبق، أشخاص عديدون في فضاءاتهم العائلية وفي مدارسهم وفي مراكز عملهم وفي الشارع، بل في كل الأماكن التي يمارسون فيها أنشطتهم اليومية.

وعلى قدر ما تفشت هذه الظاهرة وامتدت اجتماعيا على قدر ما أصبح الاعتقاد السائد يميل إلى اعتبارها سمة من سمات طبيعة الحياة الراهنة، وكأنها عوّضت نقيضها من معاني الجدية والتفاني والحزم.

فعلى سبيل الذكر لا الحصر، زرت في إحدى المرات ورشة لإصلاح السيارات وكان الاستقبال في بدايته حميميا يشي بحب الميكانيكي لعمله وحرصه على التفاني فيه وإرضاء طالب الخدمة. وبعد أن عاين السيارة بعين فاحصة أخذ قلما وورقة من "مكتبه" وراح يدون ويجمع ويطرح ثم أعلمني بالتكلفة المادية، فقبلت عن مضض لأن المبلغ المطلوب بدا لي مشطا. وتركت السيارة في الورشة واتفقنا على موعد للإنجاز، ولكن الأمر طال وبقيت أتردد عليه أياما بل أسابيع. بعدها أعلمني بأن السيارة جاهزة ولكنها لم تكن كذلك حيث تعطبت مرة أخرى، وتتالت الأعطاب ومعها زيارتي لهذه الورشة مرارا وتكرارا وفي نهاية المطاف اتضح أن الذي وقع إفساده أكثر من الذي أصلح.. ما كان مني إلا أن أودعت أمري لله ورحت أبحث عن غيره ربما يصادفني "ولد حلال" فيصلح ما أفسده، ويريحني نفسيا وجسديا وماديا.

إنها مجرد عينة تتكرر باستمرار في شتى المجالات، فالساهرون على أسرهم يؤجلون أعمالهم ولا يبالون بما قد ينجر عن عدم الاكتراث بتوفير ممهدات النجاح المادية والنفسية والذهنية لأبنائهم ومنظوريهم، فالناس لا يبالون بالأمراض وبالوقاية منها ولا تظهر جديتهم إلا عند حصول المكاره. لا يزورون الأطباء لتشخيص سبب أوجاعهم ويعمدون إلى التطبيب بالأعشاب وغيرها، والأدهى من كل ذلك يحاولون مداواة أبنائهم حديثي الولادة بنفس الطريقة، غير مكترثين لما قد يحل بهم نتيجة الإهمال. يخسر الأشخاص أسنانهم وأضراسهم بعدم مداواتها عند إصابتها وفي الوقت المناسب، فيعمدون إلى البحث عن تسكين الآلام بأقصر الطرق وأيسرها، في كل الأمراض تقريبا.

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نعرّض تربية أبنائنا الذين يمثلون مستقبل مجتمعنا إلى الإهمال بسبب لا مبالاتنا، يجب أن نهتم بكل الجزئيات والحيثيات والتفاصيل التي تخص منظورينا خاصة على مستوى تجويد التصرفات والسلوكيات الاجتماعية وفق نسق قيمي وأخلاقي يعير العلاقات الاجتماعية الحيز الأكبر. فلا يمكن أن يتقدم أي شعب ما دامت اللا مبالاة والاستهتار وعدم الاكتراث، سمات طاغية على المعاملات اليومية، حينها نفقد شعار ابن خلدون الشهير "الإنسان مدني بالطبع".

وتسربت هذه السلوكيات إلى المدارس والمعاهد والكليات فأضحى التلاميذ والطلبة غير مبالين بدروسهم وبالتحصيل الأدبي والعلمي والتكنولوجي. وبدأت عزائمهم تفتر شيئا فشيئا، لتعوّضها سلوكيات أخرى من قبيل الاهتمام اللا متناهي بهواتفهم الجوالة وبوسائلهم الإلكترونية، يتابعون بشغف لا مثيل له منصات التواصل الاجتماعي والتي تقودهم في أحايين كثيرة إلى الانحرافات الأخلاقية والسلوكية، وذلك رغم اجتهاد المربين للتحفيز وزرع الجدية في تلامذتهم، كتجذير قيمة المطالعة مثلا، وما لها من انعكاسات إيجابية على الفرد في أسرته ومجتمعه، ما يساهم في الرفع من قيم المواطنة والعيش المشترك.

فقدت المنافسة الشريفة التي تقوم على بذل الجهد والمواظبة والمثابرة في صفوف كل الفئات الاجتماعية على اختلافها، فلم تعد هناك حوافز، بحسب البعض، تشحذ الهمم لإنجاز الأعمال بدقة ومهارة مع الالتزام بالمواعيد وضبطها، وكذلك المحافظة على نقاء العلاقات الاجتماعية لأن من يحترم عمله وكلمته وموعده فهو بالضرورة يحترم علاقاته بالآخرين ويحافظ عليها.

ومن أبرز مظاهر اللامبالاة ما نلاحظه من بيروقراطية مقيتة تنخر الإدارة ومؤسساتها الخدمية، فلا نسمع سوى "ارجع غدوة" (عد غدا)، وهو مصطلح شائع يستعمله الموظفون دون اعتبار لما يكابده طالبوا الخدمات من مشقة وتعب وتعطيل لمصالحهم. ففي بعض الأحيان يتطلب توفير الوثائق المطلوبة لتأثيث ملف ما لإنجاز خدمة ما أسابيع وأشهرا عديدة، وذلك ليس إلا هدرا للوقت والطاقة والمال العام.

على الجميع مهما كانت انتماءاتهم الفكرية والأيديولوجية أن يقتنعوا بأن من أهم بوادر النجاح في الحياة، اتخاذ مجموعة من القناعات الأخلاقية تعتمد المفهوم العام للتشاركية الجماعية وتبادل المنافع والمصالح، وجعلها مقياسا حقيقيا للعلاقات الأسرية والاجتماعية وحتى الحضارية.

أما إذا واصلوا في لا مبالاتهم وتنصلهم من المسؤوليات التربوية والأخلاقية والعملية، فإن ذلك لن يساهم إلا في المزيد من التفكك على مستوى النسيج الأسري شديد الحساسية والذي يشكو أصلا من اتساع الهوة بين أفراد الأسرة الواحدة بسبب طبيعة الحياة المعاصرة وكذلك على مستوى النسيج الاجتماعي بجميع مظاهره القيمية والمادية.

طبق اليوم

كلمار محشو بالروبيان والأرز

* المكونات:

- 6 قطع كلمار كبيرة كاملة منظفة
- ملعقتان كبيرتان من الزبدة
- ملعقتان كبيرتان من زيت الزيتون
- 500 غرام روبيان صغير الحجم
- حبة بصل صغيرة
- 4 فصوص ثوم
- ملعقة صغيرة من الزنجبيل
- 4 ملاعق صغيرة من الملح
- ملعقة صغيرة من الفلفل الأسود
- كوبان من الأرز
- 3 أكواب من مرق الدجاج
- ملعقة صغيرة من الكركم
- 1 ملعقة صغيرة من الملح
- ملعقتان كبيرتان من الفلفل الأحمر الحار
- ملعقتان كبيرتان من الخل
- ملعقة كبيرة من عصير الليمون

طريقة الإعداد:

- يفرم البصل في شكل مكعبات صغيرة ويفرم الثوم ويبرش الزنجبيل
- يشوح البصل في زيت الزيتون مع القليل من الملح والفلفل حتى يذبل، ثم يضاف الثوم ويشوح قليلا، ويضاف الروبيان ويقلب حتى ينضج.
- يغسل الأرز وينقع في ماء بارد لمدة 30 دقيقة ثم يصفى، ويقلب في الزبدة على نار متوسطة، ثم يضاف المرق الساخن والكركم، ويترك على نار عالية حتى يصبح المرق بمستوى السطح.
- يضاف الروبيان ويقلب جيدا، تخفض الحرارة ويترك لينضج مدة 15 دقيقة، يرفع عن النار ويترك ليبرد تماما.
- لإعداد الصلصة يمزج الفلفل الأحمر مع ملعقة الخل وعصير الليمون وملعقة صغيرة من الملح.
- تملح قطع الكلمار من الداخل والخارج وتحشى بحشوة الأرز والروبيان حتى ثلاثة أرباعها، وتشق كل قطعة من الجهة العلوية شقين أو ثلاثة.
- تحمر قطع الكلمار في مزيج الزبدة وزيت الزيتون وتوضع في طبق الفرن وتغطى، وتخبز في فرن ساخن مدة 15 دقيقة.
- تقدم قطع الكلمار مع الصلصة الحارة.

موضة

القفطان المغربي ثوب تقليدي أنيق

❏ من ممشى العارضات في عروض أزياء محلية وعالمية، إلى أجساد ممشوقة لشخصيات نسائية بارزة، يكتسب القفطان المغربي المزيد من المغرمات في ربوع المعمورة.

والقفطان المغربي ثوب متميز ويعد مكونا أصيلا في عادات المغربيات بحفلات الزفاف والمناسبات الخاصة. ويمكن القول إنه القطعة الأساسية للمرأة المغربية في كل عرس أو حفل أو مناسبة خاصة، لم تزعزعه عن عرشه أرقى علامات الأزياء العالمية الحديثة لأثواب السهرة، ولا يزال خير شاهد على أناقة المرأة المغربية.

والقفطان المغربي ثوب يتكون من قطعة واحدة وعادة ما يلبس فضفاضا دون حزام. ولا يقتصر دور القفطان المغربي على كونه أداة أناقة فقط، لكنه يقوم بدور اقتصادي هام في المغرب حيث يسهم بنسبة 16 بالمئة من صادرات المملكة التقليدية وتضيف عائدات صادراته الملايين من الدولارات إلى الخزانة العامة للمملكة.

وتُصنع معظم أجزاء القفطان في البيوت بيد نساء أو رجال في ورش. والقفطان المغربي صناعة يدوية مئة بالمئة ويستغرق عمل القفطان الواحد بين شهر وشهرين.

تمرد النجوم.. لعنة الغرور التي تقضي على مستقبلهم في المنبت

المصري صالح جمعة نموذج اللاعب الذي قادته أهواؤه إلى الهامش

يعتبر مقياس الحكم على اللاعبين هو درجة انضباطهم والمستوى الأخلاقي الذي يحكمهم، إضافة إلى حس عال يطبع تحسّسهم نحو النجومية وشق طريقهم نحو مختلف الأندية الكبرى في العالم. الأمثلة كثيرة للعديد من اللاعبين الذين ساروا على هذا النهج، لكن في المقابل هناك العديد من النماذج لنجوم لم يتحرروا من "الأنا" واستسلموا لأهوائهم وأصيبوا بلعنة مبكرة ضلوا طريقهم على إثرها وباتوا أقرب إلى هامش المستطيل الأخضر منه إلى قلبه. النجم المصري صالح جمعة واحد من هؤلاء الذين أصيبوا بالغرور مبكرا وظل يعاني بسبب غياباته المتكررة، حتى أنه أصبح مهددا بفقدان مكانه داخل فريقه الأهلي المصري.

عماد أنور

❑ **القاهرة** – مثلما يعمل الكثير من نجوم كرة القدم، خصوصا من الناشطين في البلدان العربية، على اتباع أسلوب معين في العمل ومضاعفة جهودهم من أجل كسب ود أعرق الندية في العالم للانضمام إليها، فإنه في المقابل يتمسك العديد من اللاعبين المغمورين بالدفاع عن أهوائهم دون اكتراث لمستقبلهم مع أنديتهم التي تضع رهانها عليهم، ما يعجل برحيلهم وفك الشراكة معهم، وبالمقابل فقدانهم لروح اللاعب الذي يمكن التعويل عليه مستقبلا سواء في الفرق الوطنية أو داخل الأندية.

ويقر العديد من الخبراء والمحللين الفنيين في مجال كرة القدم في تحليلهم لهذه الظاهرة بأن اللاعب إذا ما واصل تعنته واستسلم إلى أهوائه فإنه حتما سيكتب بيديه سطور النهاية لمشواره على المستطيل الأخضر، ويخذل الجماهير والمدربين الذين آمنوا بموهبته.

ويعتبر لاعب فريق النادي الأهلي المصري صالح جمعة، واحدا من هؤلاء الذين قضوا على موهبتهم مبكرا، فقد قضى أكثر من عامين مع ناديه بين أزمات وعقوبات مالية، ولم يكن اللاعب الأول من نوعه، وربما ليس الأخير، طالما أن هناك من ينزلقون إلى دوامة الاستهتار.

ودخل صانع ألعاب الأهلي في أزمة جديدة بسبب تغيّبه عن مران الفريق الصباحي، ما عرضه لعقوبة مالية بخصم 200 ألف جنيه من مستحقاته (أكثر من 10 آلاف دولار)، وتعمّدت إدارة الكرة في النادي توقيع عقوبة مضاعفة على اللاعب، وتنص عقوبة التغيب عن المران على خصم 100 ألف جنيه (5 آلاف دولار).

وعقد مدير الكرة بالنادي الأهلي سيد عبدالحفيظ جلسة مع اللاعب على هامش استعدادات الفريق لمواجهة فريق الإسماعيلي في الدوري الممتاز والذي أنهاه الفريق لصالحه بهدف قاتل في الوقت بدل الضائع بإمضاء وليد سليمان، وطالب مدير الكرة جمعة بالانضباط والجدية في التدريبات، متوعدا بتوقيع عقوبات ضده في حال تكرر عدم التزامه.

وتم تغليظ العقوبة على جمعة (25 عاما)، بعد أن تكرر غيابه عن المران، وتخطى إجمالي العقوبات المالية ضده حاجز المليون جنيه (50 ألف دولار)، ومثلما تكرر الغياب والعقوبات، تكررت اعتذارات اللاعب الذي اعترف مرارا بالتقصير في حق نفسه وناديه.

وكتب جمعة على صفحته الشخصية عبر موقع "تويتر" قائلا "أعلم أني مقصر في حقكم وفي حق بيتي الذي طالما حلمت بالوجود بين جدرانه، لكن يعلم الله عز وجل أن تقصيري ما هو إلا قلة خبرة، وأعدكم وأعد بيتي النادي الأهلي والجهاز الفني الذي دعمني، أن أعود أقوى وأفضل".

وما هي إلا أيام قليلة مضت على هذه التغريدة، حتى عاد اللاعب إلى سهراته في الملاهي الليلية، ليكرر سيناريو سبقه إليه بعض أصحاب المواهب الذين ضلوا طريق

> صالح جمعة بدلا من أن يصبح مشروع نجم كبير تحول إلى مشروع جديد لسقطات اللاعبين، وهو ما أرجعه الخبراء إلى انسياق اللاعب وراء ملذاته

موهبة تتلاشى

الرياضة وانحرفوا إلى طريق النزوات، لأنه عندما تقود الشهرة صاحبها إلى الغرور تتحول إلى نقمة، وتتبدل أخباره في وسائل الإعلام من الحديث عن موهبة استثنائية، إلى حديث عن نزوات مع فتيات الليل.

ولم يكن لتصريحات اللاعب حول قلة خبرته أي مبرر، لا سيما وأن هناك لاعبين في مثل عمره خاضوا تجارب احتراف خارجية ناجحة بينهم أيقونة الكرة المصرية محمد صلاح، أحد أشهر لاعبي ليفربول الإنكليزي حاليا، ومحمد النني المحترف في صفوف فريق نادي أرسنال الإنكليزي، رغم أن هذا الثنائي مر بظروف اجتماعية قاسية لم يتعرض لها لاعب الأهلي المستهتر.

وانضم صالح جمعة إلى صفوف الأهلي عام 2015، بعد رحلة احتراف قصيرة وغير موفقة في صفوف نادي ماديرا البرتغالي، وتوقع خبراء أن يكون اللاعب خليفة صانع ألعاب الأهلي عبدالله السعيد، فيما وصفه آخرون بأنه مثل نجم الفريق السابق محمد أبوتريكة، لكنه خذل كل هؤلاء.

الانسياق وراء الملذات

بدلا من أن يصبح جمعة مشروع نجم كبير تحول إلى مشروع جديد لسقطات اللاعبين، وهو ما أرجعه الخبراء إلى انسياق اللاعب وراء ملذاته، لا سيما وأن كرة القدم لا تعطي إلا لمن يستحق، ولا تعترف إلا بالجهد في التدريبات.

وقال المدير الفني السابق للأهلي فتحي مبروك لـ"العرب"، إن لاعب الكرة أحيانا يكون أكبر عدو لموهبته، خاصة إذا قادته الشهرة إلى الغرور، وأن اللاعبين الذين يدخلون مع أنديتهم في أزمات بسبب الاستهتار من أصحاب المواهب العالية، فاللاعب يعتقد أن موهبته لن تتأثر.

وأضاف مبروك أن الموهبة تحتاج إلى تدريب مستمر، حتى يستطيع اللاعب تنفيذ مهاراته، لأن لعبة كرة القدم تعتمد في الأساس على عامل اللياقة البدنية، ودونها يفقد اللاعب أكثر من نصف مستواه، مشددا على أن السهر المتكرر يقضي على مستوى اللاعب ويؤدي إلى ضياع مستقبله، محذرا جمعة من التمادي في الغرور، بعد أن نال إشادة الجماهير في أول مباراتين له مع الأهلي.

ويتأثر بعض اللاعبين في مصر بأقرانهم في أوروبا ممن يقضون عطلاتهم الأسبوعية في الملاهي الليلية، غير أن الأمر مختلف تماما بين ما يحدث في مصر وهناك، وهو ما فسره رئيس قطاع الناشئين السابق بالأهلي عادل طعيمة قائلا "إن اللاعبين في الأندية الأوروبية يفرقون بين حياتهم الخاصة وبين عملهم كلاعبي كرة قدم".

وأضاف لـ"العرب"، أنهم يقدسون التدريبات ويطبقون أنظمة احتراف صارمة، عكس ما يحدث في مصر لأن اللاعب ينتابه الغرور بمجرد إحراز هدف أو اثنين، وهذا يحدث بكثرة من لاعبي الأندية الكبرى وتحديدا الأهلي والزمالك، لأن الأضواء تكون مسلطة عليهم بشكل دائم.

ولفت طعيمة إلى ضرورة التعامل مع نفسية اللاعب منذ مرحلة الناشئين وتحذيره من الغرور، فضلا عن ضرورة الاستعانة بطبيب نفسي للتعامل مع اللاعب في مثل هذه الأمور.

وبخلاف التغيب عن التدريبات، تعددت أزمات لاعب الأهلي، سواء مع المدربين أو مع زملائه من اللاعبين، فقد نشبت مشادة بين جمعة ومدربه حسام البدري في أحد تدريبات الفريق، بعد أن دخل اللاعب بقوة في كرة مشتركة

مع زميله حسام عاشور، وعندما لفت البدري نظره إلى الحفاظ على سلامة زملائه، رد عليه بشكل غير لائق وألمح إلى تركه النادي خلال فترة الانتقالات الشتوية، أي في يناير الماضي.

وقبل ذلك دخل اللاعب في أزمة مع مدرب الأهلي السابق الهولندي مارتن يول، بسبب جلوسه على مقاعد البدلاء، وقضت تصرفات جمعة خارج الملعب على جزء كبير من حب الجماهير له، لوجود شبهات حول تناوله مشروبات كحولية، لا سيما بعد تسريب صورة له مع إحدى المعجبات، وهي الصورة التي وصلت إلى مدير الكرة بالأهلي سيد عبدالحفيظ، وتسببت في توقيع عقوبة مالية على اللاعب قدرها نصف مليون جنيه (حوالي 20 ألف دولار).

ضلوا الطريق

يسير صالح جمعة على خطى نجوم أنهوا مسيرتهم الكروية مبكرا، على غرار لاعبي الأهلي إبراهيم سعيد وعمرو سماكة ولاعبي الزمالك عمرو زكي وجمال حمزة. ويعتبر إبراهيم سعيد واحدا من أفضل لاعبي كرة القدم في مصر، وكان أول لاعب يحترف في الدوري الإنكليزي مع فريق إيفرتون، لكن عُرف عنه ارتياد الملاهي الليلية، فضلا عن خلافاته مع مدربيه، ففي إحدى مباريات الأهلي كشف لزملائه عن نيته تقليد اللاعب الهولندي إدغار ديفيدز وارتداء نظارة شمسية، لكن عندما منعه مدرب الأهلي السابق البرتغالي مانويل جوزيه، هدد بإحراز هدف في مرماه، وكانت مباراة السوبر الأفريقي أمام فريق كايزرتشيفز الجنوب أفريقي.

كما اشتهر سعيد بصباغة شعره بألوان ملفتة ورسم الوشم على جسده، حتى انتهى به المطاف عند ظهوره قبل أعوام قليلة في إحدى مسابقات الرقص، وهو ما حدث مع مهاجم الزمالك السابق عمرو زكي، الذي أنهى مسيرته الكروية بسبب علاقاته النسائية ليتبدد تألقه الذي أشادت به الجماهير في بداية مشواره الاحترافي مع فريق ويغان الإنكليزي.

وتقضي مثل هذه الممارسات على مستقبل اللاعبين والأكثر قسوة أنها تسحب بساط الشعبية من تحت أقدامهم، لكن جماهير الأهلي قدمت النصيحة للاعبيها الشباب عبر مواقع التواصل الاجتماعي، بتغيير بوصلتهم إلى المسار الصحيح كي يعودوا إلى تشكيلة الفريق الأساسية.

وكثيرا ما يتخلف صالح جمعة عن السفر مع مستبعدي الفريق الأحمر عن مواجهات الفريق في المسابقة الدوري، لكنه سجّل حضوره مؤخرا قبل مواجهة أتلتيكو مدريد الودية التي خاضها الأهلي بعناصر عربية

> المدير الفني السابق للأهلي فتحي مبروك قال إن لاعب الكرة أحيانا يكون أكبر عدو لموهبته، خاصة إذا قادته الشهرة إلى الغرور

وعناصر تنتمي العديد من الفرق المصرية وقدم فيها مستوى راقيا شرف الكرة المصرية والعربية.

وداخل الملعب لم يخل أي لقاء يتم إشراك اللاعب فيه تقريبا من التسبب في مشادات كلامية وأسلوب لعب عنيف، حتى أنه بات يجد حجة لتبرير تخلفه باستمرار شكواه من الكدمات التي يتعرض لها.

وتلقى صالح جمعة، صانع ألعاب الأهلي، أكثر من عرض شفهي للرحيل عن القلعة الحمراء خلال فترة الانتقالات الشتوية، بعد حصوله على الضوء الأخضر من الجهاز الفني لإحضار عرض مناسب، بعد خروجه من حسابات حسام البدري المدير الفني للفريق في الفترة الأخيرة.

ودار حديث مؤخرا عن أن اللاعب يجد اهتماما من نادي النجم الساحلي التونسي وأحد أندية الوسط في الدوري السعودي الذين تواصلوا بالفعل مع اللاعب وأكدوا رغبتهم في إرسال عروض رسمية للأهلي للحصول على خدماته، ورحب جمعة باللعب في الدوريين السعودي والتونسي.

واستقر الرأي داخل جهاز الكرة بالأهلي على إعارة صالح جمعة بعد ابتعاده عن مستواه الفني والبدني وخروجه عن النص في أكثر من مناسبة، الأمر الذي دفع سيد عبدالحفيظ مدير الكرة إلى فرض غرامات عليه.

ويواصل صالح جمعة غيابه غير المبرر والمتكرر عن مران مستبعدي الأهلي في العديد من المناسبات، فيما يتدخل جهاز الكرة بفريق الأهلي في كل مرة لفرض غرامة مالية على اللاعب بسبب غيابه عن التمارين دون إذن، وهو ما يراه محللون طريقة غير مجدية للتعامل مع هكذا حالات منفلتة من اللاعبين.

وبرّر سيد عبدالحفيظ ذات مرة غياب جمعة بأنه حصل على إذن لارتباطه بأداء الامتحانات بجامعته.

ومهما يكن من مبررات أو حجج واهية لتفسير المستوى المهزوز لانضباط بعض اللاعبين أو ما يعبّر عنهم في الأهلي بصنف "المستبعدين"، على غرار ما يحصل مع جمعة، فإن الأساس في التعامل معهم يجب أن يبحث في حقيقة تحولهم من حالة شاذة إلى ظاهرة يمكن أن تنعكس وتؤثر سلبا على بقية المجموعة داخل النادي.

مانشستر سيتي يهدر العديد من الفرص ويتعادل مع بيرنلي

اليونايتد يستعيد الانتصارات بثنائية ويقلص الفارق مع السيتي

فشل فريق مانشستر سيتي في الحفاظ على تقدمه وأهدر بذلك نقطتين ثمينتين بعد سقوطه في فخ التعادل 1-1 أمام مضيفه بيرنلي خلال المباراة التي جمعتهما السبت، ضمن منافسات المرحلة السادسة والعشرين من المسابقة.

❏ **لندن** – اقتنص بيرنلي نقطة ثمينة أمام ضيفه المتصدّر مانشستر سيتي، بتعادله معه 1 – 1 السبت، على ملعب "تيرف مور"، في افتتاح الجولة السادسة والعشرين من الدوري الإنكليزي الممتاز.

وكانت الأمور تسير في مصلحة مانشستر سيتي بعد الهدف الذي سجله البرازيلي دانييلو دا سيلفا في الدقيقة 22، إلاّ أن يوهان بيرغ جودموندسون سجل هدفا لبيرنلي في الدقيقة 82، ليحرم مانشستر سيتي من حصد نقاط المباراة كاملة.

ورفع مانشستر سيتي رصيده إلى 69 نقطة في صدارة الترتيب، بفارق 13 نقطة عن أقرب ملاحقيه مانشستر يونايتد الذي استغل سقوط سيتي في فخ التعادل وقلص الفارق معه عبر الفوز على ضيفه هيديرسفيلد تاون 2 – صفر، في حين رفع بيرنلي رصيده إلى 36 نقطة في المركز السابع بعد تعادله مع السيتي.

ويذكر أن هذا التعادل هو الثالث لمانشستر سيتي هذا الموسم، مقابل الفوز في 22 مباراة والخسارة في مباراة، فيما يعد هذا التعادل هو التاسع لبيرنلي هذا الموسم مقابل الفوز في تسع مباريات والخسارة في ثماني.

وأجرى مدرّب سيتي بيب غواردیولا ثلاثة تعديلات على تشكيلته التي فازت على وست بروميتش 3 – صفر في الجولة الماضية، فشارك كل من فنسنت كومباني ودانيلو وإلكاي جوندوجان بدلا من إيميريك لابورت وأولكسندر زينتشينكو ودافيد سيلفا.

أما مدرب بيرنلي شون دايتش، فأجرى تعديلين على تشكيلته الأساسية التي تعادلت الأربعاء الماضي مع نيوكاسل يونايتد، فشارك كل من أرون لينون وسام فوكس مكان سكوت أرفيلد وأشلي ويستوود.

واقترب مانشستر سيتي من افتتاح التسجيل في الدقيقة 14، عندما رفع برناردو

> تعادل مانشستر سيتي هو الثالث هذا الموسم، مقابل الفوز في 22 مباراة والخسارة في مباراة، فيما يعد تعادل بيرنلي هو التاسع له هذا الموسم مقابل الفوز في تسع مباريات والخسارة في ثماني

تعادل مخيب للآمال

سيلفا كرة عرضيّة أمام المرمى كسر بها كومباني مصيدة التسلل، لكن الحارس نيك بوب ضيّق الزاوية عليه، وعوّض دانيلو في الدقيقة 22 عبر تسديدة يمينية من الناحية اليسرى استقرّت على يسار بوب.

وكاد مدافع بيرنلي بن مي يحقّق التعادل في الدقيقة 37 عندما وصلت كرة إليه أمام المرمى بعد كسر مصيدة التسلّل، ليسدّدها مباشرة، بيد أن الحارس إيديرسون أنقذ الكرة ببراعة، وتألّق بوب في التصدي لتسديدة بعيدة المدى من كيفن دي بروين، لم يستطع البرتغالي سيلفا متابعتها بالشكل الصحيح في الدقيقة 39.

وأرغمت الإصابة لاعب بيرنلي فيل باردسلي على الخروج من الملعب بين الشوطين، ليدخل مكانه ماثيو لوتون، وتفاهم سيلفا مع سيرجيو أغويرو بشكل جيد، ليمرّر الأخير كرة ذكية إلى زميله رحيم ستيرلينغ الذي سدّد برعونة بعيدا عن المرمى في الدقيقة 54، ثم حاول دانيلو تكرار هدفه بتسديدة مشابهة، لكن بوب تدارك الموقف هذه المرّة بالدقيقة 57. وضغط بيرنلي من أجل معادلة النتيجة، ووضع جاك كورك زميله لينون في أمام المرمى، بيد أن تسديدة لاعب إيفرتون السابق ارتدّت من يد الحارس إيديرسون إلى العارضة في الدقيقة 69، ورد مانشستر سيتي في الدقيقة 71 عبر فرصة خيالية مرّر على إثرها كايل ووكر الكرة أمام المرمى إلى ستيرلينغ الذي أهدرها بغرابة وهو على باب المرمى، ليستبدله غواردیولا بالشاب إبراهيم دياز.

وانتظر بيرنلي لتحقيق التعادل حتى الدقيقة 82، عندما رفع البديل لوتون كرة عرضية طويلة وصل إليها الخالي من الرقابة، الأيسلندي جودموندسون، ووضعها بلمسة مباشرة في الشباك.

ولحساب نفس الجولة، استعاد فريق مانشستر يونايتد نغمة الفوز على حساب ضيفه هيديرسفيلد تاون بثنائية دون رد في المباراة التي جمعتهما، السبت أيضا على ملعب "أولد ترافورد".

وصالح المانيو جماهيره بعد السقوط أمام توتنهام في الجولة الماضية، ورفع رصيده إلى 56 نقطة في المركز الثاني مع مديره الفني البرتغالي جوزيه مورينيو وتجمد رصيد هيديرسفيلد تاون بقيادة مديره الفني ديفيد فاغنر عند 24 نقطة في المركز التاسع عشر وقبل الأخير.

وسجل ثنائية مانشستر يونايتد الثنائي الهجومي البلجيكي روميلو لوكاكو والتشيلي أليكسيس سانشيز في الدقيقتين 55 و68، واتسمت المباراة في مجملها بسيطرة مانشستر على مجريات الأمور مع أداء دفاعي تام للضيوف.

وعلى ملعب "ذا هاوثورنس" نجح ساوثهامبتون في تحويل تأخره بهدف أمام مضيفه وست بروميتش إلى الفوز 3 – 2.

وتقدم المدافع المصري الدولي أحمد حجازي بهدف لوست بروميتش في الدقيقة الرابعة، ولكن ساوثهامبتون رد بثلاثة أهداف عن طريق ماريو ليمينا وجاك ستيفنز وجيمس وارد في الدقائق 40 و43 و55، قبل أن يسجل خوسيه سولومون روندون الهدف الثاني لأصحاب الأرض في الدقيقة 72.

ورفع الفوز رصيد ساوثهامبتون إلى 26 نقطة في المركز الرابع عشر، وتجمد رصيد وست بروميتش عند 20 نقطة في المركز العشرين الأخير.

وفاز برايتون على ضيفه ويستهام يونايتد بثلاثة أهداف مقابل هدف، ليرفع رصيده إلى 27 نقطة في المركز الثالث عشر بفارق الأهداف خلف ويستهام صاحب المركز الثاني عشر.

وسجل جلين موراي وخوسيه إسكيرو وباسكال جروز أهداف برايتون في الدقائق الثامنة و59 و75، وأحرز المكسيكي خافيير هيرنانديز الهدف الوحيد لويستهام في الدقيقة 30.

وعلى ملعب "فيتنس فيرست ستاديوم" نجح بورنموث في تحويل تأخره بهدف أمام ضيفه ستوك سيتي إلى الفوز بهدفين، ليرفع رصيده إلى 31 نقطة في المركز التاسع، فيما تجمّد رصيد ستوك عند 24 نقطة في المركز الثامن عشر.

وتقدم شيردان شاكيري بهدف لستوك في الدقيقة الخامسة، ثم رد بورنموث بهدفين حملا توقيع جوشوا كينغ وليس موسيت في الدقيقتين 70 و79.

دخول مؤجل للجنة

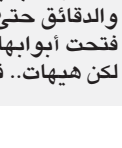

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❏ هو مزيج من الإحباط والذهول والصدمة وكذلك الحزن، أصاب اللاعب الدولي الجزائري رياض محرز نجم ليستر سيتي، هو خليط من المشاعر السلبية التي أثرت عليه إلى درجة أنه سئم من وضعه وكره ولو مؤقتا مداعبة "حبيبته" تلك الفاتنة المدوّرة، فآثر البقاء وحيدا بعيدا، علّه ينجح في تجاوز آثار فشله في تحقيق حلمه باللعب مع فريق قوي يملك طموحا ومشروعا أكبر ممّا هو موجود مع فريقه الحالي ليستر سيتي.

الحكاية تتمثّل في تلقي محرز عرضا لا يقاوم من مانشستر سيتي الذي يتأهّب للتربع من جديد على عرش الكرة الإنكليزية، وكذلك للمراهنة بقوة على لقب دوري الأبطال، هي صفقة أو مشروع صفقة إنتظرها النجم الجزائري طويلا، كان يمنّي النفس أن يرتقي إلى علياء نجوم اللعبة وصفوة القوم ويلعب لفائدة فريق قد يوفّر له المراهنة باستمرار على الألقاب.

لكن رغم جدية العرض القادم من الفريق "الأزرق السماوي"، ورغم أن كل الأمور كانت تسير بشكل سلس تمهيدا لإبرام صفقة العمر، إلاّ أن كل شيء سقط وانهار الحلم فجأة بسبب تعنّت إدارة ليستر التي لم تشأ أن تترك "الثعالب" بلا قائد مؤثّر في صورة رحيل محرز.

ففي اليوم الأخير من الميركاتو الشتوي في إنكلترا تأهّب محرز لارتداء ثوب الفرح، استعد كما لم يستعد من قبل تمهيدا لتحقيق هدفه الذي طالما حلم به مذ كان شابا يافعا، كان كأنما يعدّ الثواني والدقائق حتى يلج الجنة الموعودة التي فتحت أبوابها على مصراعيها لاحتضانه، لكن هيهات.. فالحلم لم يتحقق وولوج الجنة ربما يتأجل إلى أجل غير مسمى، وربما لن يتحقّق، فالفرصة الفريدة والاستثنائية قد تأتي مرة واحدة في الحياة، ومن لم يقدر على استثمارها و"اختطافها" قد يعض أصابعه مستقبلا من شدة القهر والندم والحسرة.

هكذا هي حال رياض محرز خلال هذه الأيام، فلا هو سينعم بجنة السيتي ولا هو سيستطيب البقاء في وجار "ثعالب" ليستر إلى أمد طويل، خاصة وأنه شعر بأنه ربما طعن في الظهر من مسؤولي فريقه الحالي الذين حرموه من فرصة العمر كي يلعب مع فريق أقوى قادر على تطوير مستواه ومساعدته على تحقيق غايات كانت في ما مضى مجرد أحلام بعيدة المنال.

وما يحزّ في نفس النجم الجزائري أنه كان محل إعجاب وتنويه من قبل أحد أشهر وأمهر المدربين في العالم في الزمن الحاضر، إذ ليس من السهل أن يهتم مدرب مانشستر سيتي جوزيب غواردیولا بلاعب، إلاّ إذا كان بالفعل موهوبا وقادرا على البروز والتألق وتسلّق سلم المجد والنجومية العالمية.

لذلك شعر محرز بالغبن والحسرة، لأنه يدرك أن هذه الفرصة قد لا تتكرّر مرة أخرى، خاصة وأن معطيات السوق قد تتبدّل خلال الصائفة المقبلة التي ستشهد بلا شك بروز نجوم جدد في المونديال الروسي المرتقب، وبما أن منتخب الجزائر لن يكون حاضرا، فإن رياض سينتظر بأعين حالمة وقلب مرتجف خشية أن ينساه غواردیولا ويعدل نهائيا عن رغبته في ضمه لكتيبة "السيتيزنزة" مستقبلا.

لكن ما يزيد في شعور هذا النجم العربي بالحنق والضيم أن الفرص تعدّدت في الموسمين الأخيرين، إذ انفتحت أمامه أفق رحبة لدخول "الجنة" الموعودة، غير أن إدارة ليستر رفضت في كل مرة مساعدته وإطلاق سراحه كي يسافر إلى النعيم، فكم من فريق عريق لهث طويلا من أجل التعاقد معه، وكم من عقد وضع على طاولته، لكن كل الظروف أبقته في وضعه الحالي، وجعلته يرضخ للأمر الواقع.

صحيح أن الفضل يعود إلى هذا النادي الذي حقق "معجزة" كروية لن تتكرّر بسهولة عندما أحرز لقب الدوري الممتاز في غفلة من الجميع، وصحيح أنه قدّمه للعالم بأسره وعرّف به، لكن بالمقابل فإن محرز أدّى ما عليه وقام بكل فروضه وواجباته، وكان مثلا في التحلي بروح الإيمان وعقيدة النصر مع ليستر.

ألا يكفيه إذن كل هذا الولاء والتفاني في دنيا ليستر سيتي كي يحقّ له دخول "الجنة" حلم الطفولة؟ ألم يقدّم محرز أحسن ما لديه في أفضل سنوات عمره خدمة لهذا النادي؟ إذن أزفت الساعة وحان وقت الحساب الذي يمنحه بلا شك كل صكوك النجاح والفلاح والتوفيق، وبالتالي الشرعية في الرقي إلى أفق أرحب.

لقد كره محرز البقاء ولم يعد متحمّسا لمواصلة التجربة مع الثعالب، ومن شبه المؤكّد أنه سيقضي في ما تبقى من منافسات هذا الموسم آخر أيامه مع ليستر سيتي، لكن بالتوازي مع هذا الأمر ربما يتوجّب عليه التسلح بالصبر، فبشائر النصر هي كنز الصابرين، وما على محرز سوى الإيمان بقدراته ومؤهلاته التي تخوّل له البقاء على صراط قد يؤدّي إلى الظفر بعقد العمر مباشرة إثر نهاية الموسم.

إذا كتب لمحرز أن يتمسّك برباطة جأشه ويقدّم مستواه المعهود، فإن كلّ الأبواب ستبقى مفتوحة أمامه، وحتى إن لم يكتب له الانتقال إلى "جنة" مانشستر سيتي، فإن في الفضاء جنات أخر قد تحتضنه وتوفّر له كل النعم التي طالما حلم بها.

إيبار يقسو على إشبيليا بخماسية

❏ **مريد** – تلقى فريق إشبيليا هزيمة مذلة أمام مضيفه إيبار 1 – 5، خلال المباراة التي جمعتهما السبت، ضمن منافسات المرحلة الثانية والعشرين من الدوري الإسباني لكرة القدم.

وسجل أهداف إيبار إنريكي غارسيا كيكي في الدقيقة الأولى وفابيان أوريلانا (هدفين) في الدقيقتين 17 و61 وإيفان راميس في الدقيقة 32 وأنايتز أربيلا في الدقيقة 83، فيما سجل هدف حفظ ماء الوجه لإشبيليا بابلو سارابيا في الدقيقة 22 من ركلة جزاء.

ورفع إيبار رصيده إلى 32 نقطة في المركز السابع بفارق نقطة خلف إشبيليا، الذي توقف رصيده عند 33 نقطة في المركز السادس.

يذكر أن هذا الفوز هو التاسع لإيبار هذا الموسم، مقابل الخسارة في ثماني مباريات والتعادل في خمس، فيما تعد هذه الهزيمة هي التاسعة لإشبيليا هذا الموسم مقابل الفوز في عشر مباريات والتعادل في ثلاث.

وفسر المدير الفني لإشبيليا، فينتشينزو مونتيلا، خسارة فريقه 1 – 5 من مضيفه إيبار على ملعب إيبوروا في الدوري الإسباني، حيث قال ردا على سؤال الصحافة الإسبانية بخصوص السبب وراء هذه الهزيمة الثقيلة "أنا لست صحافيا"، مشيرا إلى أنه يعجز عن تلخيص ما حدث في مجرد عبارة.

وأضاف "أعتقد أننا دفعنا ثمن ضغط جدول المباريات، أبارك لإيبار على الفوز وأتمنى أن تتحسن الأمور بداية من اليوم".

ويتصدر برشلونة جدول المسابقة برصيد 57 نقطة، يليه بفارق 11 نقطة أتلتيكو مدريد في الوصافة، علما أن البارسا سيحل ضيفا على إسبانيول، فيما يستضيف الروخيبلانكوس فالنسيا الأحد لحساب الجولة نفسها.

خماسية مذلة

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

ملتقى الكتاب مقهى بملامح ثقافية جديدة توحد العراقيين

يسعى عدد من الفنانين وعشاق الثقافة إلى إعادة بناء الموصل عبر إحياء العديد من الأنشطة والفعاليات الثقافية، وشكل تأسيس مقهى "ملتقى الكتاب" أبرز محطة للملامح الثقافية الجديدة في المدينة، تجمع وتوحّد العراقيين كبارا وصغارا.

نشر الثقافة المعرفية ما بعد داعش

❑ **الموصل (العراق)** – تضج الموصل اليوم بالأنشطة الثقافية، بدءا من المقاهي الأدبية والمعارض وصولا إلى المهرجانات، في مشهد يسعى من خلاله الفنانون وعشاق الثقافة إلى استعادة روح المدينة و"تحرير" الفكر بعد ثلاث سنوات من حكم داعش.

ويجلس داخل مقهى "ملتقى الكتاب" الثقافي في حي الأندلس في شرق مدينة الموصل العراقية، الصغار والكبار من رجال ونساء على مقاعد صغيرة، يتناقشون بشغف حول الأدب والموسيقى والسياسة والتاريخ.

ويرتشف هؤلاء الشاي والقهوة والعصائر، فيما يتصاعد دخان النراجيل على أنغام موسيقى عازف عود يرافق شاعرا يلقي أبيات قصائده على منبر خشبي.

في المقابل، على الجدار الوحيد الذي لا تغطيه رفوف الكتب، معرض صور يجاور فيه شاعر القرن العاشر العراقي أبوالطيب المتنبي، الشاعر الفلسطيني محمود درويش، إلى جانب لوحات تجريدية.

وكانت قبل أشهر عدة فكرة افتتاح مقهى أدبي مختلط، يسمح بالتدخين في ثاني أكبر مدن العراق التي كانت خاضعة لسيطرة تنظيم داعش، ستؤدي بصاحبها إلى القتل أو أقله إلى الجلد. لكن رغم ذلك، حلم فهد صباح أحد مؤسسي المشروع، بهذا المكان في تلك الحقبة.

وقال صباح (30 عاما)، خريج هندسة ميكانيكية "خطرت لنا فكرة تأسيس هذا الملتقى عندما كنا محاصرين داخل الموصل من داعش، لزيادة وعي الناس وتنويرهم".

وبحسب صباح، فإنه بمجرد أن طرد التنظيم من المدينة، بدأ بالبحث عن مكان وتخيل تصميمه بنفسه. وخلال شهر واحد تمكن من إيجاد محل صغير قرب جامعة الموصل حيث استثمر كل مدخراته ومدخرات شريكه.

وأكد الشاب الثلاثيني أن الأمر يستحق التضحية، مشيرا إلى أنه يأمل من خلال هذا المشروع في "نشر الثقافة المعرفية ما بعد داعش وصولا إلى واقع جديد يتجاوز تلك الفترة المظلمة وآثار حربها".

وكانت المطالعة على مرّ الزمان رفيقة العراقيين. وتتفاخر الموصل التي كانت يوما مركزا تاريخيا للتجارة والثقافة في الشرق الأوسط، بشارع النجيفي الذي يضم مكتبات غنية جدا. لكن الجهاديين دمروا وأحرقوا بشكل ممنهج كل الكتب والمكتبات.

أما اليوم، فهناك "ملتقى الكتاب"، أحد أبرز الملامح الثقافية الجديدة في الموصل، والذي اتفق عدد من الناشطين على تأسيسه قبل أسابيع عدة أمام جامعة المدينة.

واعتاد علي ثائر (23 عاما) المجيء كل يوم جمعة للاطلاع على الجديد من الكتب، قائلا "الناس بحاجة ماسة إلى الوعي والثقافة بعد الظروف القاسية التي مروا بها". وأكد أن "المقهى ظاهرة ثقافية جديدة في الموصل أثارت اهتمامنا وتشجيعنا، وهي مهمة جدا لإعادة بناء العقول بعد الفترة الماضية أكثر من بناء البيوت والشوارع التي دمرها التنظيم خلال ثلاث سنوات من خلال سيطرته على العراق.

ويعتقد الباحث يونس محمد (33 عاما) أن "الموصل ستنهض من جديد" بهمة شبابها ومثقفيها.

ويلفت عبدالمنعم أمير، رئيس اتحاد أدباء نينوى، أنه يجب "إبراز الوجه الإنساني والثقافي والعلمي للمدينة، بعدما شاهد العالم أجمع صور خرابها ودمارها".

وأشار الكاتب حامد الزبيدي إلى أن "على الدوائر الحكومية والمدنية المعنية بأمر الثقافة القيام بواجبها".

وقالت المهندسة هند أحمد "للمرة الأولى أرى مثل هذه المشاريع الثقافية في الموصل بعد داعش، مشاريع تعمل على تحرير العقل والفكر بعد تحرير الأرض، وتتيح المجال للحضور والمشاركة أمام الجنسين".

المهندسون الإماراتيون أول فريق عربي ينجح في بناء قمر صناعي

❑ **دبي** – أعلنت دولة الإمارات العربية المتحدة، السبت، عن تدشين إمارة دبي القمر الصناعي "خليفة سات"، أول قمر عربي الصنع.

ويعد "خليفة سات" أول قمر يتم بناؤه وتصنيعه بالكامل في الإمارات، بكفاءات محلية بنسبة 100 بالمئة، ليفتح بذلك مرحلة جديدة لدخول المنطقة العربية عصر التصنيع الفضائي، والمنافسة في مجال علوم الفضاء.

وقال محمد بن راشد، نائب رئيس دولة الإمارات "دشنت اليوم أول قمر صناعي عربي يتم تصنيعه بواسطة فريق هندسي إماراتي بنسبة 100 بالمئة ومن دون أي دعم خارجي أجنبي".

ومن المقرر إطلاق القمر الجديد إلى الفضاء الخارجي خلال وقت لاحق من العام الجاري عقب الانتهاء من إجراء سلسلة تجارب الإطلاق.

وأطلق "مركز محمد بن راشد للفضاء" في 2009 "دبي سات-1" إلى الفضاء، كأول قمر صناعي للاستشعار عن بُعد، ومن ثم أطلق في 2013 القمر الصناعي الثاني "دبي سات 2"، فيما أعلن عن بدء تصنيع القمر الصناعي الثالث "خليفة سات" في 2013.

ويختلف "خليفة سات" عن نظيريه السابقين بأنه أول قمر صناعي في الإمارات والمنطقة يتم تطويره بالكامل.

فرقة سبايس غيرلز معا مجددا بعد انفصال عقدين

❑ **لندن** – أكدت فرقة سبايس غيرلز أن أعضاءها يعتزمن العمل معا مجددا في بعض "الفرص الجديدة" بعد عقدين تقريبا من الانفصال.

وجاء التأكيد بعد ساعات من بدء المغنيات الخمس – فيكتوريا بيكهام وميلاني براون وميلاني تشيشولم وجيري هورنر وإيما بونتون- تبادل الصور على المواقع الاجتماعية عن لقائهن في منزل هورنر خارج لندن. وقالت الفرقة في بيان لها "لقد تمتعنا بوقت رائع بعد الظهر واسترجعنا ذكريات رائعة أمضيناها معا". وتابع البيان "نشعر دائما بسعادة غامرة إزاء مدى الاهتمام في جميع أنحاء العالم بفرقة سبايس غيرلز، ويبدو الوقت الآن مناسبا لاستكشاف بعض الفرص الجديدة الرائعة معا".

وكانت الفرقة قد انقسمت في عام 2000، على الرغم من أن مغنياتها تجمعن في جولة بأوروبا والولايات المتحدة عام 2008، كما شاركن في حفل ختام الألعاب الأولمبية بلندن عام 2012.

جدة يابانية تتخطى 41 ألف متابع على إنستغرام

❑ **طوكيو** – يجذب حساب اليابانية كيميكو نيشيموتو التي تناهز عامها الـ90 أكثر من 41 ألف متابع في موقع إنستغرام تعجبهم صورها الابتكارية، التي بدأت تنشرها على الشبكة في نوفمبر الماضي.

وولدت نيشيموتو سنة 1928 ولم تكتشف ربة المنزل هذه فن التصوير إلا في فترة لاحقة من حياتها. وأخذت دروسا في هذا الاختصاص عندما كانت في الثانية والسبعين من العمر وهي تهوى التقاط صور مرحة لنفسها وتعشق هذه الهواية.

وقالت هذه العجوز من منزلها في كوماموتو، جنوب غرب اليابان "أعشق آلات التصوير وأنا أضعها إلى جانب سريري وقت النوم تحسبا لأي طارئ. وهي لا تفارقني".

ونظمت الجدة اليابانية، بعد 10 سنوات على خوضها مجال التصوير، معرضا بعيدا عن الأضواء في مسقط رأسها. لكن انتقالها إلى مواقع التواصل الاجتماعي ساهم في توسيع شهرتها على نطاق يتخطى حدود بلدتها. ففي ديسمبر الماضي، كرّمت في طوكيو بمناسبة معرض مخصص لأعمالها حضره معجبون كثيرون بصورها.

وأكدت نيشيميتو "لا أفكر بصراحة بأي مغزى لصوري. فجل ما أريده هو إضفاء بعض الفرح. فهذا هو سرّ سعادتي وسأواصل هذه المساعي طالما أنا على قيد الحياة".

إطلالات طريفة لا تنتهي

صباح العرب

عدلي صادق

رونالدو

❑ كثيرة ومتشعبة، وواسعة النطاق عالمياً، حركة اللاعب البرتغالي كريستيانو رونالدو، في أسواق الإعلان، والعمل المتلطي بالإنسانية وبفعل الخير، ومحاربة السرطان وفيروس إيبولا، والوقوف إلى جانب ضحايا الفيضانات، وفي ميادين الصناعة البترولية، وتطوير سرعة الإنترنت، وصنع الملابس الداخلية، وفي الشراكة مع "آيفون" في تطوير الألعاب عبر التطبيقات الرقمية، لإلهاب حماسة الناشئة حيال كرة القدم، والشراكة الإعلانية ـ الرياضية، مع قناة تلفزة إسرائيلية، وغيرها كثير. فالشاب الثلاثيني، كان في بعض السنوات أعلى الرياضيين في العالم دخلاً مالياً، وظل من أعلاهم حتى الآن، وتنافسه في الموسيقى المغنية الكولومبية "شاكيرا".

في هذه الأيام، يُشاهد رونالدو في إسرائيل، من خلال برنامج إعلاني يحث على التبرع بالدم، ومكمن الأذى السياسي من فعلته هذه، هو أن من يتابعونه عبر صفحات التواصل الاجتماعي، منذ بداية العام 2017 بلغوا 277 مليون إنسان، على ذمة شبكة البرامج الرياضية الأميركية إي إس بي إن. وهؤلاء سيرون نجم كرة القدم العالمي متعاطفاً مع إسرائيل مؤيداً لفرضية أن دمها ينزف وليس هي التي تسفك الدم.

ربما يكون الشاب أقرَّ بفضل الأميركيين عليه، بعد أن ساعدوه على إسقاط اتهامات أمام المحاكم، تتعلق بالتهرب الضريبي، ثم اتهامه بالاغتصاب. فقد أسقطت التهمة الأولى، باعتبارها نوعاً من الحَسد، وتقبلت منه المحكمة، بطريقة مطعون في نزاهتها، قوله إن الواقعة الجنسية حدثت بالتراضي. فهو أصلاً، استحدث لنفسه اسم رونالدو، في أوائل الثمانينات، تيمناً بالممثل الأميركي والرئيس الأسبق رونالد ريغان.

في الترويج له، جاء ضمن تعداد مناقبه، أنه باع الحذاء الذهبي الذي فاز به العام 2012 بمليون ونصف المليون يورو، تبرع بها للمساعدة في تمويل مدارس لأطفال غزة. ويبدو أن تلك اللقطة، جاءت على خلفية ارتفاع منسوب دماء الأطفال النازفة في فلسطين.

لكن السؤال الأهم، لماذا لا تكتفي القطاعات الشبابية العربية، وحتى قطاعات الكبار، الذين يتابعون رونالدو بالاستمتاع بالأداء، فيذهبون إلى جعل رونالدو نجماً محبوباً، معطوفاً على سجل الأسماء المبجلة؟ لعله زمن القطيعة مع قاموس المعاني، أو هو نوع من التعويض بـ"ريال مدريد" و"برشلونة" عن خواء الواقع العربي من الرموز ومن العنفوان.

في الستينات كان هناك لاعب برتغالي اسمه "أوزيبيو" من موزنبيق أصلاً. كانت له مآثر أكثر من مآثر رونالدو في الملاعب. كان "أوزيبيو" وطنياً أفريقياً منحازاً لحركات التحرر، وكان من يتابعونه يحبونه للسببين الرياضي والسياسي، لكنهم لا يتصايحون بسببه. غير أن الزمن تغيّر، فتغير معه الجمهور.